دكتور
محمد عبد الحميد عيسى صقر
مدرس التاريخ الاسلامى
كلية التربية ـ جامعة عين شمس

الفتح الإسلامى للأندلس

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة سعيد رافت
جامعة عين شمس
١٩٨٥

الاستفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سورة العلق ٩٦

---

(١) القرآن الكريم . السورة رقم ٩٦ الآيات من ١ ـ ٥ .

الإهـــداء

الى

أرواح الشـــهداء في شهر رمضـــان :

شـــهداء يـــوم بـــدر

شـــهداء فتـــح الانـــدلس

شـــهداء العاشر من رمضـــان

اعتـــذار

قال القاضى عبد الرحمن البيسـانى فى اعتذارة للعمـــــاد الاصفهانى عن كلام استدركه عليــه ٠

انى رأيت أنه لا يكتب أحـد كتابا فى يومـه الا قـال فى غـده : لو غير هـذا لكـان أحسن ، ولو زيـد هـذا لكان يستحسن ، ولـو قـدم هـذا لكـان أفضـل ، ولو ترك هـذا لكـان أجمـل ، وهـذا من أعظم العبر ، وهـو استيلاء النقص على جملة البشر (١) ٠

ويقـول حافظ عصره وأديب زمانه الشـيخ أحمـد بن محمـد المقـرى ٠

لكن قـدرة مثلى غـير خافيـة

والنمل يعذر فى القدر الذى حملا (٢)

---

(١) جلال مظهـر : حضارة الاسلام صفحة ٢٢ مطبعة الخـــانجى بالقـاهرة ١٩٧٤ م ٠

(٢) المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب جـ ١ صـفحة ١٥ ٠

مقدمة

ترددت كثيرا حين شرعت فى تسجيل هذه الصفحات ، ومصـــدر تـرددى هو الرهبة من التصدى للكتابة فى مثـل هـذا المجـال الوعـر ، وخاصـــة أن جلة من الاساتذة الكرام قـد تصدوا لقضية الفتح الاســـلامى للاندلس وسلطوا الاضواء على جوانبهـا المختلفـة ، وناقشـوا الكثير من قضاياها الغامضة ، وغلب على ترددى ، أن قضية الفتح الاسلامى للاندلس ، احدى العلامات البـارزة فى تاريخ أمتنـا الاسلاميـة ، ومن هنـا تستحق باستمرار أن تكون موضع الاهتمـام ، ومحل الدراسـة من قبل جميـع المختصـــين والدارسين فى هـذا المجال • وقناعتى الشخصية بأن دراسـة الجـــوانب المختلفـة لتاريخ المسلمين فى الاندلس على وجه التحديد ، تعـد مصباحـا مشـعا يلقى بضوئه ليضيىء فترة رائعـة من فترات تاريخ أمتنـا الاسلامية الحـافل بكل ألوان المجـد والعظمة ، والمتضمن عطـاء باذخـا للانسانيـة فى كل مجـال من مجالات الحيـاة •

والاندلس ، وتاريخ المسلمين فى الاندلس دون كل بقـاع العـالم الاسلامى الاخـرى ، درس التاريخ الذى لـم يستوعب ، بـل درس التـاريخ الـذى قـد يتكرر ، والذى يهتف بنـا : بأن التـاريخ يمكن أن يعيـد نفســه ما لـم يتعلم الانســان ، ويستفيد من التجربة الماضيـة ، وسأبين معنى حديثى هـذا بصورة أوضح لعل كلماتى تحرك ساكنـا ، أو لعلهـا تذكـر أحدا ، والذكرى تنفـع المؤمنين كمـا قـال الله سبحانه وتعالى •

ان ما يتعرض له العالم الاسلامى اليوم من هجمـات شرسـة يتعاون فيهـا الشرق والغـرب على السواء ، انمـا هـو صورة مكررة لمـا تعرضـت لـه بلاد الاندلس من قبـل ، وسوف نتعرض نحن حاليـا لنفس مصير أهل الاندلس ما لم نستوعب درس التـاريخ الاسلامى هنـاك ، نقرأ عن فترات أمجادهم وندرسـها ونتعلم منهم أسباب رقيهم وقوتهم ، ونقرأ أيضـــا أيضـا عن فترات ضعفهم وندرسـها ونتعلم منهـا أسباب الضـــــعف وعوامـل التفكك حتى نتفاداهـا حاليـا فى صراعنـا من أجـل البقـاء ،

والا فلن يكون مصير المسجد الاقصى فى القدس الشريف بأفضل من مصير المسجد الجامع فى قرطبة الغراء ٠

مرت بلاد الاندلس فى تاريخها بفترات مجد لا يضاهى ، أعطت فيها للعالم درسا بينا فى الاخلاص ، والتضامن والوحدة تحت راية الاسلام وخاضت بهذه الروح معارك شرسة وحروبا مميتة خرجت منها مرفوعة الرأس مكللة الجبين ، ثم أصاب المسلمين فيها عدوى التفرق والتحزب والتنافس ، وبعدوا عن روح الاسلام وطبيعته ، ودعوته للمسلمين بالاعتصام بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، واصبح بأسهم فيما بينهم أشد وأنكى من بأسهم على عدوهم ، والعدو جزل فرح يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستخلص منهم أرضهم وبلادهم قليلا قليلا الى أن قضى عليهم واحدا بعد الاخر ٠

شهد القرن الثانى الهجرى تفككا بين الفاتحين المسلمين وصراعا قبليا ، فعادت الشراذم المسيحية النصرانية الى تأسيس قواعدها وتنظيم نفسها ، وشهد القرن الثالث الهجرى فى نصفه الاخير تفكك المسلمين وانقسامهم فقويت هذه الجماعات ، وأسست دويلات بدأت فى الاتساع والزحف على بلاد المسلمين تستوطنها من جديد وتقيم عليها ممالك مسيحية لا يهدأ لها بال الا بالقضاء على المسلمين ٠

وتوحد المسلمون فى القرن الرابع الهجرى ، تحت راية الخلافة الاسلامية ، فسموا بأنفسهم وبلادهم الى ذروة التاريخ مجدا وحضارة وأذاقوا الممالك المسيحية الشمالية مرارة الهزيمة والخضوع حتى أصبح خليفة الاندلس هو الحاكم الذى يفصل بين أمراء هذه الممالك ويتدخل فى شئونها الداخلية ٠

عادت الاندلس الى التشتت والضعف فى القرن الخامس الهجرى وتقسمت الدولة الواحدة الى دويلات وطوائف ، وتصارع الحكام والاندلسيون فيما بينهم ، ونسوا أوامر دينهم ، وتفرقت أهواؤهم ، وعادوا شيعا يضرب بعضهم بعضا ، والعدو على أبوابهم ، ويجثم على صدورهم يحرك بينهم العداوة والبغضاء ، وينتظر أن يفنى المسلمون

بعضهم بعضا أو أن تسقط بلادهم فى يده كالثمرة الناضجة ، وفعلا سقطت مدينة طليطلة - ٤٧٨ هـ ٠ ١٠٨٥ م ٠ ، احدى حواضر المسلمين الرئيسة فى الاندلس وبعد أن نفذت ارادة الله وضاعت المدينة الخالدة - أعادها الله الى الاسلام - وأحس المسلمون بوطأة الفناء وأنه ملجأ لهم الا الى الله سبحانه وتعالى والتمسك بتعاليمه ونواهيه ، وحينما طبقوا ذلك فعلا وقولا باستعانتهم باخوانهم فى الدين فى شمال افريقيا ، وهم المرابطون ، ورغم أن العدو الخبيث وضعفاء النفوس قد حذروا المسلمين فى الاندلس من الاتحاد بالمسلمين فى المغرب حتى تظل الفرقة ، الا أن نور الاسلام قد أشرق فى نفوس المصلحين المسلمين وصاح ابن عباد فى أسبيلية ، « **لان أكون راعى جمال فى صحراء افريقية خير من أن اكون راعى خنازير فى وديان قشتالة** » وتعالى النداء الى الله والى الوحدة والجهاد ، وكان نصر الله رائعا فى معركة الزلاقة ٤٧٩ هـ ٠ ١٠٨٦ م (١)٠ ولم يكن عدد المسلمين أو عتادهم بأكثر مما لدى المسيحيين من عدد أو عتاد ، ولكنه الايمان كان يملا الصدور ، ويحرك النفوس ويحمس المجاهدين ٠ وانتصر المسلمون فى الزلاقة وانقذوا أنفسهم وبلادهم لعدة مئات من السنين ولولا عودتهم الى الفرقة والخلاف ما صمت فى بلاد الاندلس صوت الاذان ينادى أن لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وظلت مساجدها مجلسا للعلماء ومحطا للراحلين المتنقلين بين بلاد العالم الاسلامى (١) ٠ أليس صحيحا أن الدرس واضح وأن ليس على المسلمين حاليا الا أن يستوعبوه وأن يعودوا الى قراءته مرة ومرات لعل الله أن يفتح قلوبهم وعقولهم لتفهم هذا الدرس ، والعودة بأسرع ما يكون الى دينهم الصحيح ، والى وحدتهم حتى يمكنهم أن يواجهوا عدوهم الحاضر وأن لا يتحولوا مع التاريخ الى مجرد صفحات تذكر تذرف عليها الدموع ، بدلا من صفحات غار ومجد تشرق فى سماء التاريخ ٠

---

(١) انظر مقالتى عن « الزلاقة معركة كسبها الايمان وضيع آثارها الخلاف » مجلة الامة ، قطر سبتمبر ١٩٨٢ م ٠

نقطة أخرى أضعها أمام الذين لا يمدون ابصارهم لاكثر من مواقع أقدامهم : لم تضع بلاد المسلمين فى الاندلس بعد معركة واحدة ، أو بين عشية أو ضحاها ، كلا وانما استغرق ذلك ثمانية قرون كاملة ، نعم ، ثابر العدو — كما يفعل الان — على استخلاص قطعة قطعة ، وبلدة بلدة ، مهما كانت صغيرة ، واستغل فرقة المسلمين وعدم وحدتهم ، وضربهم ببعض ، الى أن تمكنت أجياله جيلا بعد جيل ، من تحقيق النصر النهائى على المسلمين فى عام ٨٩٧ هـ· ١٤٩٢ م · بالاستيلاء على غرناطة آخر معقل اسلامى على أرض الاندلس ·

مضى على ذلك الحدث الجلل ما يقرب من خمسة قرون زمنية ، وتبقى أعوام قليلة لتكتمل القرون الخمسة ، فهل يستوعب المسلمون الدرس ونتنبه الى نتائجه ؟ ·

وليس ذلك هدف الوحيد من كتابة هذه الصفحات ، اننى عاشق الاندلس معنى وحرفا ، لان الاندلس : التاريخ والحضارة بكل ما فى هاتين الكلمتين من معنى ، وبكل ما يمكن أن تذكره من تحليل أو تفصيل هى فى تاريخ المسلمين غرة التاج ودرته الثمينة ، فتاريخ الاسلام فى الاندلس — دون جدال — قمة العظمة ، ويستحق منا جميعا الوقفة الطويلة ندرس جوانبه ، ونستوعب كنه عظمته ، ونتعلم من دروسه ونمضى على هديه ، ناهيك عن العظمة والعبرة مما جرى هناك ·

واذا كان من كلمة أخيرة فى هذه المقدمة التى أخطها ذات صباح وعام ١٩٨٤ م · يلفظ أيامه الاخيرة ، ولم يتبق الا سبعة أعوام فقط بالتمام والكمال على ذكرى مرور خمسة قرون على سقوط غرناطة « ١٤٩٢ م · » فاننى أناشد أمتنا الاسلامية أن تتجمع لتحيى هذه الذكرى بالدرس والبحث لما خفى من جوانبها وابراز مناحى القوة والمجد فى صفحاتها ، لعلها تكون النواة التى تعيد الى الامة الاسلامية وحدتها ومن ثم تعيد قوتها وعظمتها وأسأل الله أن يلهم المسئولين عن شئون المسلمين الصواب والحكمة وهو على كل شيء قدير ·

ولقد اخترت موضوع « الفتح الاسلامى للاندلس » لكى أقدم للمسلمين واحدة من الصفحات الناصعة فى تاريخ أمتهم المجيد ، ولالقى الضوء على بعض جوانب هذه المسألة التى أثارت الكثير من الجدل بين الباحثين ٠

ولقد سبقنى الى الكتابة فى تاريخ الفتح الاسلامى للاندلس الكثيرون من مؤرخى المغرب والاندلس ، وأخص بالذكر منهم الاساتذة الافاضل د ٠ حسين مؤنس ، و د ٠ السيد عبد العزيز سالم و د ٠ أحمد مختار العبادى، وغيرهم ، ومع ذلك ، ورغم كتاباتهم القيمة فى هذا المجال ، فان القضية تبقى مطروحة باستمرار لما تتضمنه من جوانب هامة ما زالت حتى الآن فى حاجة الى المزيد من البحث والتمحيص ٠

ورغم أن الاستاذ الدكتور حسين مؤنس قد ألقى كثيرا من الضوء على هذه القضية فى مقالته القيمة (٢) اعتمادا على ما ظهر من كتب كانت حتى ذلك الحين حبيسة بعض المكتبات ، الا ان الرواية النهائية لقصة الفتح الاسلامى لم تكتب بعد فى صورتها النهائية ٠

لقد نشر المجلس الاعلى للابحاث العلمية فى مدريد كتاب « ذكر بلاد الاندلس » تحقيق د ٠ لويس مولينا ، ونشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد كتاب الزهرات المنثورة » تحقيق د ٠ محمود مكى وبه بعض الجوانب والامور المتصلة بالفتح ، علاوة على الكتاب المنسوب لابراهيم الرقيق والذى نشر بتحقيق المنجى الكعبى ، وكل هذه الكتب قد حملت بعض الآراء والاخبار التى تساعدنا على اعادة كتابة تاريخ الفتح الاسلامى للاندلس ٠

ولقد استطعت فى هذا الكتاب أن استعرض مناقشا عددا هاما من قضايا الفتح وخاصة أحوال اسبانيا قبل الفتح الاسلامى ومرحلة الاستعداد ، وقضية الخلاف بين موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وعودة هذين القائدين الى المشرق ، ومصيرهما هناك ، وكذلك دور الامير عبد العزيز بن موسى ، وقضية فتح شرق الاندلس ، وأعتقد أننى

---

(٢) حسين مؤنس : رواية جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ، العدد ١٧ ، عام ١٩٧٨ م ٠

توصلت الى الكثير من الآراء الجديدة ، والافكار البناءة حول تلك القضايا ٠

ولقد قسمت دراستى هذه الى قسمين ، أولهما ، واعتبره دراسة تمهيدية ، وان جعلته الفصل الاول وعنوانه « الطريق الى الاندلس » ، وتناولت فيه مجموعة من العناصر الرئيسية وهى التعريف ببلاد المغرب العربى ، ثم موجزا لتاريخ هذه المنطقة فى العصر الفينيقى القرطاجى ، يلى ذلك موجز لتاريخ المغرب فى العصر الرومانى ، ثم الوندالى الى أن يقع فى قبضة البيزنطيين ٠ وانتقلت الى دراسة مراحل الفتح الاسلامى للمغرب ، والعوامل التى تسببت فى اطالة مدة الفتح الاسلامى لهذه البلاد ٠

أما القسم الرئيسى من الدراسة ، فجعلت عنوانه « الاندلس : الارض والتاريخ » ، ويشتمل هذا الفصل على تعريف بجغرافية الاندلس ، ثم ملخص لتاريخ هذه البلاد فى العصور الباكرة ثم العصر الرومانى الى أن نصل الى الوجود الوندالى هناك فالعصر القوطى ، وأحوال هذه البلاد قبل الفتح سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وبعد ذلك كان التركيز على الفتح الاسلامى للاندلس ومراحله ، وقضاياه الكثيرة ٠

لقد بذلت فى هذه الصفحات جهدى ، واعترف أننى لم أوفها حقها كاملا ، وذلك بسبب ظروف وجودى فى القصيم وقلة المتاح من الوسائل المعينة على الدراسة ، لكننى أرضيت ضميرى ، ولم أدخر جهدا ، والكمال لله وحده سبحانه وتعالى ٠ وأود فى هذه المقدمة التى تسبق أول عمل جاد لى فى مجال التاريخ الاندلسى أن أوجه شكرى الى استاذين فاضلين أحمل لهما – ككل أساتذتى – وافر المحبة وعميق الاحترام وهما الاستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم أول من درسنى هذه المادة ، والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم مثلى الاعلى فى الدراسات الاندلسية والى كل من قدم لى يد العون والمساعدة ٠ ، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يثيبه عنى خير الجزاء وهو خير المكافئين ٠

د ٠ محمد عبد الحميد عيسى

بريدة فى ١٩٨٤/١٢/١ م

الفصل الأول

الطـــريق الى الانــــدلس

١ ـ التعريف بالمغــرب العربى ٠

٢ ـ المغــرب فى العصر الفينيقى القرطاجى ٠

٣ ـ المغــرب فى العصر الرومانى ٠

٤ ـ المغــرب تحت سيطرة الوندال ٠

٥ ـ المغــرب تحت سيطرة البيزنطيين ٠

٦ ـ مراحل الفتح الاسلامى للمغــرب ٠

٧ ـ أسباب طــول مــدة الفتح الاسلامى للمغــرب ٠


الفتح الإسلامي في إفريقية والمغرب
وبلاد الأندلس (1)
ورسم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
بحر الروم
الأندلس
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
برقة

المغـرب الاسلامى

تمهيـــد

يمتد تعبير المغـرب الاسلامى تاريخيـا الى آفاق أكثـر اتساعـا لما هـو عليـه المغـرب الاسلامى حاليـا . ونقصـد بهـذا أن المغـرب الاسلامى يشتمـل على كل البلاد الاسلامية التى كانت تقـع الى الغرب من الحدود المصرية ، وهى منطقـة شـاسعة تضم بين جوانبهـا بالاضـافة الى كل البلاد الاسلامية الحالية ، مـا رفرف عليـه الاسلام من بلاد اسبانيـا والبرتغـال ، وجنوب فرنسـا ، وجزيـرة صقلية ، وجنـوب ايطـاليـا ، وجزر سردينيـا وكورسـيكـا وجزر البليـار ، واذا كـان المغـرب الاسـلامى تقلص الان ليصبح ليبيـا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيـا فقط ، فلعل ذلك يكـون سببا كافيـا لكى يحـرك المسـلمين للتعرف على تاريخ هـذه المنطقـة الاسلامى ، والاسباب التى أدت الى خـروج أكثرهـا من نور الايمان ، والعـودة الى ما كانت عليه قبل أن تحـررهـا دمـاء المجـاهدين المسلمين .

وينقسم المغـرب الاسلامى حسـب تقسيمات المؤرخين والجغرافيين المسلمين الى عـدة أقسـام رئيسية هى :

١ - برقة وطرابلس ، وهى أولى الاقاليم دخولا فى الاسـلام وتقعان الى الغـرب مباشرة من الحدود المصريـة ، ويعتبرهـا كثير من المؤرخـين والجغرافيين جزءا من الاقليم المسمى بافريقيـة .

٢ - المغرب الادنى وقاعدة هـذه المنطقـة مدينـة القـيروان وتشتمـل على بلاد تونس الحالية وجـزء من شرقى الجـزائـر وتقع فى عمومهـا الى الشرق من بلاد المغـرب .

٣ - المغرب الاوسـط وهى المنطقة التى تشـكل حاليـا بـلاد الجمهورية الجزائرية تقريبـا ولـم يكن لهـا قاعـدة واحـدة فى العصـور الاسـلامية ، وان كانت تلمسـان أشـهر عواصم هذا الاقليم (١) .

---

(١) أحمـد مختار العبادى (الدكتور) . تاريخ المغـرب والاندلس - القـاهرة ١٩٧٨ م .

٤ — المغرب الاقصى : وهو الجزء الاخير المقابل البر العدوة الأندلسية ، ويشكل حاليا بلاد المغرب ٠

وعلى الرغم من ذلك التقسيم الذى وضعه المؤرخون والجغرافيون المسلمون لهذه المساحات الشاسعة من البلاد ، الا أننا نستطيع أن نلمح وجود وحدة طبيعية بين أقسامها عامة لا تقتصر على مظاهر السطح أو تشابه المناخ ، وانما هناك أيضا وحدة بين عناصر سكانها الأصليين ، وتتمايز فى ذلك عن باقى أقسام القارة الافريقية الكبرى (١) ٠

المغرب قبل الفتح الاسلامى :

ليس الهدف من كتابة هذه السطور التاريخ للمنطقة قبل الاسلام بصورة تفصيلية وانما القاء نظرة سريعة لنتذكر الملامح العامة لهذا التاريخ حتى يمكن لنا أن نرى بوضوح عظمة الاسلام والمسلمين فيما أدخلوه من تغيير أساسى وجذرى على حياة المنطقة وكذلك التعرف على ما أضفاه الاسلام على هذه البلاد من نعمة الاستقرار والرقى ، وهما شيئان لم يتاحا لها على مدى سبعة قرون أو أكثر قبل الاسلام ، كما يتيح لنا ذلك أن نتبين كيف أن المسلمين استطاعوا أن يخلصوا هذه المنطقة الى درجة كبيرة من آثار مجموعة من القرون الطويلة عاشتها تحت سيطرة شعوب أخرى وحضارة وديانة مختلفة سبقت المسلمين فى وصولها الى هذه المنطقة ، وتركت فيها آثارها ، وطبعت عليها بصماتها ٠

وجدت الحياة الانسانية على ارض المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ ، لكن الفترة التاريخية تبدأ فى هذه المنطقة مع وجود الفينيقيين بها ، واتصالهم بشواطئها واقامة بعضهم هناك ويرجعها المؤرخون الى الفترة الزمنية الممتدة من ١٢٠٠ — ١٤٦ ق ٠ م ٠

---

(١) السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) المغرب الكبير — ج ٢ بيروت ١٩٨١ م ٠

وفى القرن التاسع قبل الميلاد بدأ الفينيقيون تأسيس مستعمراتهم الدائمة هناك وفى القرن السادس قبل الميلاد أخذت هذه المستعمرات خطواتها الاولى نحو استقلالها عن المستعمرات الفينيقية فى المشرق (١) .

عاشت المنطقة تحت سيادة قرطاجة عدة مئات من السنين كان للفينيقيين فيها السيطرة شبه الكاملة على حوض غرب البحر المتوسط ، ودخلوا من أجل ذلك فى صراع مع اليونانيين أولا ، ثم مع الرومان بعد ذلك وهو الصراع الذى يعرف تاريخيا باسم الحروب البونية التى انتهت بتدمير قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م. وسيطرة الرومان على شمال افريقية ، وتحويل المنطقة كلها الى محافظة خاضعة للرومان (٢) .

العصر الرومانى :

نشأت ولاية أفريقية سنة ١٤٦ ق.م. بعد تهديم قرطاجة وكانت صغيرة جدا عرفت باسم افريقية القديمة (٣) ثم أخذت أراضى الرومان فى الازدياد ، حتى استقر الامر ليوليوس قيصر الذى بدأ فى تغيير النظام السياسى لافريقة بجعله من نوميدية الشرقية ولاية جديدة أخذت اسم أفريكا الجديدة ، ثم أدمجت بعد ذلك فى أفريكا القديمة فى عام ٢٧ ق . م . – ضمت اليها بعد ذلك ولاية بربطانية سنة ٤٠ وبذلك اصبحت افريقية ولاية خاضعة للحكم الرومانى (٤) .

---

(١) سيد الناضورى (الدكتور) المغرب الكبير ج ١ العصور القديمة ص ١٦٧ ، ص ١٧٤ .

(٢) انظر فى ذلك الدراسة القيمة للدكتور السيد الناضورى ضمن سلسلة المغرب الكبير ج ٢ ص ١٥٣ – ٢٨٨ .

(٣) أحمد صفر ، مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، تونس ١٩٥٩ م ص ٢٩٥ وما بعدها .

(٤) نفس المرجع ص ٣٠٤ – ٣٠٩ .

شهدت المنطقة ابان تلك الفترة ازدهارا اقتصاديا حيث اتجهت السياسة الرومانية الى استغلال اقاليم المغرب استغلالا شاملا فى المجال الاقتصادى ، وكان المغرب الى جانب مصر بمثابة المخزن الطبيعى للغلال الذى تعتمد عليه روما ، ومن ثم اهتم الرومان بتطوير الحياة الزراعية ، وما يترتب عليها من مشروعات انمائية (*) ٠

وكان للتقدم الاقتصادى أثره أيضا فى تطور الحياة الاجتماعية ، بدأت المراكز الحضارية فى الانتشار وأخذت مدنها باشكال مختلفة من أنماط الحياة لكنها جميعا تستلهم النظام الرومانى حتى كونت روما فى الافريقيين حركة ارتقاء وصعود نحو الحياة الرومانية وزرعت فى نفوسهم روح المنافسة والمباراة ، وبذل الجهد للتدرج فى سلم المعالى والرقى (٥) ٠

ولم يقتصر الرومان فى فرض حضارتهم على المغرب على تلك الجوانب المادية حسب ، لكنهم حاولوا أيضا نشر ثقافتهم بكل الوسائل ضمن سكان المنطقة فحاولوا فرض اللغة اللاتينية ، كما أنهم سعوا الى نشر نظمهم الدينية المتعلقة بعبادة الامبراطور وان لم يتقبل السكان هذه المسائل بصورة اقتناعية ، ولذلك فاننا نجد منهم اقبالا على المسيحية التى بدأت فى الانتشار فى المغرب منذ القرن الاول الميلادى ، حتى أن بعض المؤرخين يعلل سرعة انتشارها هناك ، وكذلك ظهور بعض الحركات الدينية والاجتماعية فى المغرب على أنها رمز لعدم الخضوع للرومان أو رغبة فى التعبير عن معارضتهم مما أدى الى ازدهار المسيحية هناك ، وظهور بعض الادباء المسيحيين فى المغرب مثل أغسطين (٦) ٠

بدأت الامور فى الاضطراب فى المغرب نتيجة لعدة عوامل منها الاقتصادية والسياسية والدينية ، وكانت نتيجة هذه القلاقل

(*) د ٠ سيد الناضورى ص ٣٤٠ — ٣٤١ ٠
(٥) أحمد صقر — المرجع المذكور صفحة : ٣١٨ — ٣١٩ ٠
(٦) د ٠ سيد الناضورى — المصدر المشار اليه صفحة : ٣٤٢ ٠

اختلال الامور فى المستعمرات الرومانيـة ، وضعف نفوذ حكامهم ، حتى وصل الامـر ببعض الولاة الى الاستنجاد بالوندال المتغلبين على أسبانيـا فى ذلك الحين ، فقدموا ، وكان قدومهم الضربة القاضـية على حضـارة ودولـة الرومان بافريقيـة ، حيث استولوا فى عـام ٤٣٩ م على قرطـاجـة ومن ثـم انتهى الحكم الرومانى فى افريقيـة (٧) ٠

العصر الوندالى فى افريقيـة :

الوندال قسـم من القبائل التى عرفت فى التاريخ بالقبائل الجرمانيـة والتى نزحت الى حدود الامبراطورية الرومانيـة منذ القـرن الثالـث الميلادى ثـم توغلت الى داخلهـا على مدار القـرن الرابع والخامس من الميلاد ، واستقر الوندال فى أسبانيـا فى تلك الفترة ثـم ما لبثـوا أن نزحوا الى افريقيـا نتيجة لضغط القوط الغـربيين عليهم ، وسـنوح الفرصـة حين استنجد بهم أحـد ولاة الرومـان فى المنطقـة ، لكى يعبروا جبل طارق فى حدود ثمانين الفـا بقيادة ملكهم جنسريك فى عام ٤٢٩ ، وتمكنوا من الاستيلاء على البـلاد ، وتوجوا انتصـاراتهم بالاستيلاء على قرطاجة فى عام ٤٣٩ ، وبذلـك ضـاع على الرومـان جـزء هـام من أجزاء امبراطوريتهم (٨) ٠

ويعتبر جنسريك قائد الوندال من أشـهر زعمـاء هـذه الفترة من التـاريخ واستطـاع أن يجبر رومـا على الاعتراف بـه ملكـا مستقـلا فى سـنة ٤٤٢ (٩) ٠

ويجمـع المؤرخون على أن سياسة هـذا الرجـل مـع سـكان المنطقة كانت سيئة للغاية ، فلقـد نهج فى حكم مملكته الجديدة نهجـا اسـتبداديـا ٠

---

(٧) أحمـد صقـر — المرجـع المذكور صفحة : ٣٧٩ ٠

(٨) سعيد عاشور (دكتور) أوروبا العصـور الوسطى ج ١ ج ٩١ القـاهـرة ١٩٨٣ ، صفحة : ٨٩ ٠

(٩) الباز العرينى (الدكتور) تاريخ أوربـا العصور الوسطى — بيروت ١٩٦٨ ص ٩٦ ٠

عنيفـا فصادر الضياع ، وانتزع الارض من أصحـــابها وتعســف فى جمع الاموال والضرائب من الاهالى ، وعاملهم فى قسوة بالغـة (١٠) ٠

أمـا عن علاقاتهم بالرومان فكانت سيئة الى أقصى حـد ، وخاصـة بعد أن أصبحوا قـوة بحرية قوية ، فهاجموا صقلية وسردينية ، وكورسيكـا كمـا أنهم هاجموا رومـا نفســها سنة ٤٥٥ م ٠ وتفككت قــوة الوندال بعـد وفـاة جنسريك سنة ٤٧٧ م ٠ ، وتمكن البيزنطيون من القضاء على دولتهم والسيطرة على شـمال افريقيـة ، واعادته الى حظيرة الامبراطوريـة البيزنطية (١١) ٠

العصر البيزنطى فى افريقيـة :

حينما تولى جستنيان عرش الامبراطورية البيزنطية عـام ٥٢٧ م كان همه الاول اعادة توحيـد الامبراطورية الرومانيـــة القديمـة ، واسترداد أملاكهـا من أيدى القبـائل الجرمانيـة التى أسست لهـا دولا مستقلة بهـا ٠ وبدأ بالوندال ، حيث أرسـل قائده بليزاريوس على رأس جيش رومانى تمكن من تحطيم دولة الوندال وادخـال المنطقـة مـرة أخـــرى فى دائرة الامبراطوريـة البيزنطية ، وعـاد الرومان الى تملك الاراضى ، وازالـة آثار الوندال ، الا أنهم لـم يجدوا استجابة كافيـة من السكان الاصليين الذين نظروا اليهم نفس النظـرة الى سابقيهم ، باعتبارهم مغتصبين لخيرات البلاد ٠

أصبحت بـلاد المغـرب أرضـا بيزنطيـة يولى عليها قـادة من قبـــل الامبراطور ، حتى بـدأ الضعف يتفشى فى أنحـاء الامبراطوريـة البيزنطيـة عـامة ، وخاصـة بعـد وفـاة جستنيان ، وتأثـر المغرب بذلـك فضعف النفوذ البيزنطى هنـاك ، ثـم ازدادت المشـــاكل حـدة بالخـلافات المذهبية الدينية المسيحية التى بدأت تحطم جســم الامبراطوريـة سواء فى الشرق

---

(١٠) سعيد عاشور (الدكتور) أوربا العصور الوسطى ج ١ صفحة : ٨٩ ٠

(١١) سعيد عاشور : المرجع الســابق صفحة : ٩٠ ٠
الباز العرينى ، المرجـــع المشـار اليه صفحة : ٩٦ ٠

أو الغرب مثـل قضية « طبيعة السيد المسيح » على عصر جستنـــــان وخلفـائه ، وقضية الايقونيـة واللاأيقونيـة فى عصر الامبراطـور ليو الثالث الأيسورى ٠

وفى سنة ٦٤١ م ٠ أعلن جريجوريوس استقلاله ببلاد المغـرب عن الامبراطورية البيزنطية واستقر فى مدينـة سبيطلة كعاصـمة لـه بعيـدا عن قرطاجنـة ، ولكى يتحصن بهـا من غـزو البيزنطين ، أو هجمات المسلمين التى بدأت تدق أبواب افريقية فى تلك السنوات (١٢) ٠

---

(١٢) السـيد عبد العزيز سالم — المغـرب الكبير ج ٢ صفحة : ٧٨ ٠

الفتح الاسلامى لبلاد المغرب

بدأ المسلمون نشر رسالة الاسلام خارج شبة الجزيرة العربية اعتبارا من نهاية عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما قام ، عليه السلام بارسال سرايا المسلمين الى أطراف الشام ولم يكد ينقضى القرن الاول الهجرى حتى كانت راية الاسلام ترفرف على آفاق واسعة من العالم المعروف حينذاك ، ووصلت كلمة لااله الا الله من حدود الصين شرقا الى المحيط الاطلنطى غربا ومن منتصف أراضى فرنسا الحالية شمالا الى جنوب الصحراء الكبرى فى غرب العالم الاسلامى ، ومن أواسط البلاد الروسية حاليا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا فى شرق هذا العالم الكبير .

وليس هذا مجال الحديث عن أسباب هذه الفتوحات الاسلامية ودوافعها الحقيقية ، كما أنه ليس مجال الرد على افتراءات المفترين وأصحاب الاغراض والاهواء ممن يحاولون التقليل من عظمة هذه الفتوحات وروعتها وانما قد تتاح هذه الفرصة أمام المؤرخين حين تأريخهم وكتابتهم عن بداية هذه الفتوحات الاسلامية ، وخاصة عند دراستهم لعصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وقيام المسلمين بالجهاد بقيادتهم لنشر الاسلام خارج ربوع شبه الجزيرة العربية .

هناك ملاحظة أساسية يجب أن نشير اليها لصلتها الوطيدة بالفتوحات الاسلامية فى المغرب . وهى أن انتشار الاسلام وتوسع دولته قد ضرب مثلا فريدا فى السرعة والانجاز ، بحيث أن مناطق واسعة مثل بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وبعض ماجاورها من اقاليم قد دخلها المسلمون فى فترات زمنية وجيزة جدا .

أما المغرب فقد تميز بظاهرة اخرى عكسية ، وهى أن فترة

الفتح قد طالت الى درجة غريبة ، وامتدت هناك فترات النصر والهزيمة الى أكثر من ستين عاما بدأت من أوائل سنة ٢٢ هـ على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه بعد اتمامه فتح مصر ، ولم تنته الا فى حدود عام ٨٥ هـ ٠ على يد القائد المسلم حسان بن النعمان رضى الله عنه ، قائد الجيوش الاسلامية فى افريقية والمغرب من قبل عبد الملك بن مروان واستقرت نهائيا على يد موسى بن نصير الذى عينه الخليفة الوليد بن عبد الملك ٠

وحتى نتفهم ذلك تفهما صحيحا ، فلا بد من أن تجرى دراسة هذه الفترة من فترات الجهاد الاسلامى ضمن نظرة شاملة تتناول كثيرا من الابعاد ، وحتى يمكن دراستها دراسة واقعية فانها لا يمكن أن تتم بمعزل عن دراسة البيئة السياسية فى باقى انحاء الدولة الاسلامية ومدى تأثير ما كان يجرى فى عاصمة المسلمين — وهى المدينة المنورة حينذاك — على مجريات الامور فى الفتوحات الاسلامية فى افريقية وخاصة استشهاد خليفة المسلمين ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وما اعقب ذلك من فتنة بين المسلمين على عهد على كرم الله وجهه وما واجهه الامويون من مشكلات وثورات قام بها العلويون ، والموقف من خلافة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى أن استقر الامر لعبد الملك بن مروان ٠ وكذلك دراسة علاقات الدولة الاسلامية بالدولة البيزنطية ٠ لان ميدان الصراع كان واحدا فى شرقه وغربه وكثيرا ما كان يتأثر جنود الاسلام فى افريقية والجند البيزنطى بمدى تطور هذه العلاقات سلبا أو ايجابا ٠

يضاف الى ذلك دراسة البيئة المصرية الاسلامية بعد الفتح الاسلامى لها ومدى ارتباط عمليات الفتح فى شمال افريقية بتفرغ ولاتها للجهاد أو قيامهم أنفسهم بقيادة هذه الفتوحات ، ومدى علاقاتهم بالخلفاء وتأثير ذلك على القيادة فى المغرب ٠

وكذلك لا يمكن أن تكون الدراسة منعزلة عن تتبع العلاقات بين البتر « والبرانس » — وبين هؤلاء والروم البيزنطين مما كان له

أثره الواضح على المعارك بين العرب المسلمين من جهة والروم والبربر المسيحيين من جهة ثانية ، والى أى حد نجح العرب المسلمون فى اجتذاب بعض فئات البربر الى الاسلام ، والاستفادة من العلاقات التى كانت تربط هاتين الفئتين من البربر لاستكمال حلقات الفتح الاسلامى لافريقية الشمالية ·

نتيجة لطول مدة الفتح الاسلامى لمنطقة افريقية والمغرب فان المؤرخين يميلون الى تقسيم هذه الفتوحات الى عدة مراحل من أجل تسهيل دراستها واستيعابها ·

فهناك من يقسمها الى مراحل عدة بحسب القادة الذين تولوا الجهاد هناك (١٣) وهناك من يقسمها الى مرحلتين أساسيتين أولاهما قبل تأسيس مدينة القيروان والاخرى تالية لها ·

وليس هناك تعارض بين التقسمين لان أصحاب الرأى الثانى انما يعودون أيضا الى تقسيم كل مرحلة رئيسية الى تقسيمات داخلية نسبة الى امراء الفتح فيها ، وسنتبع التقسيم الاول فى عرضنا السريع لفتح المسلمين للمغرب (١٤) ·

المرحلة الاولى : مرحلة عمرو بن العاص رضى الله عنه :

ما كاد عمرو بن العاص رضى الله عنه يستقر فى الاسكندرية حتى بدأ يفكر فى تأمين حدودها الغربية وذلك بفتح اقليم برقة وطرابلس اللتين كانتا تابعتين لمصر من الناحية النظرية وان تمتعتا بالاستقلال فعليا منذ اواخر الحكم البيزنطى للمنطقة · (١٥) ولم

---

(١٣) د · حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤٦ وما بعدها · د · السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة ٢٥ وما بعدها · محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ج ١ صفحة : ١٥ وما بعدها ·

(١٤) انظر الدراسة القيمة للدكتور السيد عبد العزيز سالم فى كتابه المغرب الكبير الجزء الثانى من سلسلة المغرب الكبير ، ابتداء من صفحة : ١٤١ وما بعدها ·

(١٥) السيد عبد العزيز سالم — المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٤١ ·

يكن هدف عمرو بن العاص قاصرا على تأمين حدود مصر الغربية فحسب ، وانما كانت تحثه دوافع الجهاد الاسلامى من أجل مواصلة نشر الاسلام . واذا كان ابن عذارى يذكر أن عمرو بن العاص قد وجه عقبة بن نافع الفهرى الى لوبية وافريقية فافتتحهما . ثم توجه عمرو بنفسه الى برقة فصالح أهلها على الجزية ، دينار على كل حالم، وتوجه منها الى طرابلس ، ففتحها (١٦) فان ابن عبد الحكم يقول « فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية » (١٧) .

وبعد أن انتهى من فتح برقة بدأ الاستعداد لفتح طرابلس ولكن كان لابد وأن يؤمن خط الرجعة خشية أن يؤتى من قبل السكان المقيمين فى الواحات الداخلية وخاصة فزان ، ومن هنا ادرك ضرورة تقسيم جيشه الى فرقتين أحداهما بقيادته تتجه الى طرابلس ، والثانية بقيادة عقبة بن نافع الفهرى لتتجه لاخضاع المناطق الداخلية ، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن مهمة عقبة فى هذا المجال كانت فى المقام الاول الاستيثاق من طاعة أهل الواحات أو على الاقل من وقوفهم موقفا حياديا (١٨) .

ولا شك أن عقبة بن نافع فى هذه الفترة كان مازال حدثا لاننا سنراه بعد أربعين عاما يقود الفتوحات الاسلامية فى المنطقة حتى يستشهد فى عام ٦٤ هـ . ، ويميل الى ذلك الدكتور حسين مؤنس حيث يقول بأن عقبة كان قائدا صغيرا فى جيش عمرو فأرسله الى زويلة وفزان وودان ، وأن عقبة قد أقام فى هذه النواحى نحو عشرين سنة يدعو للاسلام ، ويضرب لاهلها مثلا للمسلم الصحيح المتفانى فى دينه (١٩) .

---

(١٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ صفحة : ٨ طبعة كولان وليفى بروفنسال .

(١٧) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والاندلس صفحة : ٢٨ تحقيق عبد الله أنيس الطباع .

(١٨) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير صفحة : ١٤٤ .

(١٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٧ .

ووصل عمرو بن العاص الى طرابلس فى سنة اثنتين وعشرين فحاصرها لمدة شهر وصمدت المدينة بأسوارها المنيعة حتى تمكن المسلمون من دخولها والاستيلاء عليها ، وذلك بأن جماعة منهم تسللوا الى داخل المدينة عبر الجهة التى تربطها بالبحر ، حيث استولوا على الكنيسة وفتحوا الابواب ليدخل جيش المسلمين المدينه ويضعها تحت حمايته ، ولم يضيع المسلمون وقتا فقام عمرو بن العاص بتجريد سرية من خيله على مدينة سبرت ، والتى كانت تساند طرابلس ، وفاجأ المسلمون أهل المدينة ، ودخلوها عنوة ، وأفاء الله عليهم ما بها من خيرات (٢٠) ٠

وفى أثناء حصار عمرو بن العاص لمدينة طرابلس ارسل قائده بسر بن ارطاة الى ودان فافتحها سنة ٢٣ ، وقصد من ذلك القضاء على أية محاولات من جانب البربر لانجاد مدينة طرابلس ومساعدتها (٢١) ٠

يذكر ابن عبد الحكم ، أن عمرو بن العاص بعد أن افتتح طرابلس ، كتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنه طلب منه الاذن لمواصلة الجهاد فى افريقية وكتب اليه يقول « ان الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين افريقيا الا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يده فعل » فكتب اليه عمر » لا ، انها ليست بافريقيا ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت (٢٢) ، أما رواية ابن عذارى فانها أكثر اختصارا حيث يقول وفى سنة ٢٣ افتتح بلاد أطرابلس ، وكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح ، وأن ليس أمامه الا بلاد افريقية وملوكها كثير وأهلها فى عدد عظيم ، وأكثر ركوبهم الخيل ، فأمره

---

(٢٠) ابن عبد الحكم : فتوح افريقيا ٣١ ، ٣٢ ٠

(٢١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٨ — المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٤٩ ٠

(٢٢) ابن عبد الحكم صفحة ٣٢ ٠

بالانصراف عنهـا ، فأمـر عمرو العسكر بالرحيل قافـلا الى مصر (٢٣) ٠

ونتسـاءل عن موقف الخليفـة عمـر رضى الله عنـه لعـدم السـماح بمواصلة الجهـاد فى هـذه المنطقة ، وهـو الذى دفـع بالمسـلمين الى الجهـاد فى ميادين شتى وتم على يديه انهيـار قواعـد أكبر امبراطوريتين همـا فارس والروم ٠

يرى الدكتور ابراهيم بيضون أن القيـادة العربيـة اكتفت بهـذا القدر من الانتصـارات التى حققتهـا فى برقـة وطرابلس ولذلـك أمـرت قـائد الحملة عمرو بن العاص بالعـودة الى مصر حيث أصبح حاكمـا عليها (٢٤)٠

أمـا الدكتور السيد عبد العزيز سالم فانه يستشف من تصرف الخليفة رضوان الله عليـه ، انـه كان على علم بمجريـات الامور فى افريقيـا وكان محيطـا بثورات أهلهـا ونكثهم بالعهـود ، وغدرهم بأصحـاب السلطـان ، وأنه كان من الطبيعى أن يرفض طلب عمرو بن العـاص خشية التغرير بالمسلمين فى مخاطـر لا يعلمهـا الا الله (٢٥) ويميـل الدكتـور أحمـد مختـار العبادى الى نفس الـراى ، ويقـول أن صـحت روايـة رفض الخليفـة رضى الله عنـه قائمـا يـدل ذلـك على أن عمـر كـان يخشى على جيوش المسلمين من أن تنسـاب وتتبعثـر فى هـذه المنـاطق الشـاسعة وهى لـم تزل بعـد فى حاجـة الى توطيـد نفوذهـا وسلطانهـا فى البلاد التى فتحتهـا ، واستقرت فيهـا حديثا كالشـام ومصر ، ويـدل هـذا الرأى على سلامة تفكير الخليفـة عمـر بن الخطـاب كقـائد عربى ممتـاز (٢٦) ٠

ويرى الاستاذ شكرى فيصـل أن « عمـر لـم يأذن لـه ولعلـه رأى بعـد هـذا التمدد العريض ، حاجـة المسلمين الى فترة من الهـدوء

---

(٢٣) ابن عذارى ج ١ صفحة ٩ ٠

(٢٤) ابراهيم بيضون (الدكتور) الدولة العربيـة فى أسبانيـا — بيروت ١٩٨٠ صفحة : ٢٤ ٠

(٢٥) السيد عبد العزيـز سالم : المغـرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٥١

(٢٦) أحمـد مختار العبادى : فى تاريخ المغـرب والاندلس صفحة : ٣٦ ٠

يثبتون فيها أقدامهم فتستقر بهم الارض ، وتدين لهم الاطراف ويكونون على دلالة مما يستدبرون ، اذا أقدموا (٢٧) .

عاد عمرو بن العاص الى الفسطاط بمصر ، مقر ولايته ، تاركا عقبة بن نافع فى برقة التى أصبحت منذ ذلك الحين مقرا للجيوش الاسلامية على مشارف الحدود المصرية ، ونجح عقبة بن نافع خلال فترة اقامته فى الدعوة الى الاسلام ، حيث بذر البذرة الاولى لنشر الدعوة فى هذه المنطقة .

وفى سنة ٢٤ استشهد الخليفة عمر بن الخطاب وتولى خلافة المسلمين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقام بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، وعين بدلا منه عبد الله بن سعد بن أبى السرح الذى سيتولى أمر الجهاد مع المسلمين فى منطقة افريقية (٢٧ ب) .

المرحلة الثانية : حملات عبد الله بن سعد بن أبى السرح .

لم يكن جريجوريوس وتسميه المصادر العربية « جرجير » الحاكم البيزنطى على علاقة طيبة بالامبراطورية وجاءت الاحداث الجديدة لترفع من درجة الخطر المحيط به ، حتى اضطر الى التقهقر الى داخل البلاد ليتخذ من مدينة سبيطلة عاصمة له ، كما أنه عمل على تحصين قابس وسفاقس وقفصة لكى تشكل حاجزا دفاعيا أمام عاصمته التى ابتعد بها عن البحر وغارات البيزنطيين وليحمى نفسه فى ذات الوقت من هجمات المسلمين .

وفى نفس الوقت كان عبد الله بن سعد بن أبى السرح والى مصر الجديد ، قد أخذ فى تجريد السرايا على أفريقية واستأذن الخليفة رضوان الله عليه فتردد فى ذلك مسترشدا بموقف الخليفة عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص وتطورت الامور فى افريقية لغير صالح المسلمين ، فخرجت طرابلس عن طاعتهم وكثرت كتابات عبد الله بن سعد الى الخليفة عثمان يطلب منه السماح بغزو افريقية وامداده

---

(٢٧) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى ، ط ٣ ـ بيروت ١٩٧٤ م . صفحة : ١٥٧ .

(٢٧ ب) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٣ صفحة : ٤٨ ـ ٤٩ .

بالمجـاهدين من المسلمين حتى أستجاب الى ذلك (٢٨) ٠

ويرى ابن عبد الحكم وكذلـك ابن عذارى ، أن عثمـان رضى اللـه عنه قـد ندب الناس للجهـاد فى افريقيـة فخـرج المسلمون فى جيش عظيم ، عليهم الحـرث بن الحكم وبـه جلة من أعـلام الصـحابة وأعاز خليفـة المسلمين رضى الله عنه الناس بألف بعير يحمـل عليهـا ضعفـاء الناس ، وفتح بيوت السلاح التى كانت للمسلمين (٢٩) ٠

ولما وصـل هـذا الجيش الى مصر ، تولى قيادته عبد اللـه بن سعد بن أبى السرح وضم اليـه المجـاهدين من جنـد مصر ومن معهم ممن يعاونهم حتى وصـل عـدد الجيش الى حوالى عشرين الفـا ٠ (٣٠) وبـدأ فى بث سراياه لغزو آفـاق افريقيـة دون أن يتوقف لحصـار طرابلس أو قابس – على أسـاس أن هـدفه الاسـاسى كان اللقـاء مـع البيزنطيين المتمثلين فى جرجير وجيوشـه والتقى عبد الله وجرجير فى وضح النهـار فى موضع يعرف بسبيطلة وكان عـدد جيش العـدو حـوالى مائة وعشرين ألفـا (٣١) ٠

حقق المسلمون انتصـارا باهرا فى هـذه المعركـة ، وقتل جرجـير قائـد الروم ، وغنم المسلمون غنائم جمـة ، وذلـك فى عـام ٢٨ هجرية ٠ وتنسـب الروايـة الاسلاميـة كبير فضـل فى هـذه المعركة الى عبد اللـه ابن الزبير رضى الله عنهمـا ، ولقـد أفـرد الاستـاذ الدكتور السـيد عبـد العزيـز سـالم لـذلك دراسـة ممتعة ضمن كتـابه القيـم عن المغرب

---

(٢٨) انظـر الطبرى ، المجلد الثالث ، جـ ٥ صفحة : ٥٠ وابن كثير فى البدايـة والنهـاية جـ ٧ صفحة : ١٦٦ وكذلـك محمـد على مغربى – عثمان بن عفان صفحة : ٦٩ – ٧٠ الطبعـة الاولى ١٩٨٤ م ٠ والشـيخ محمـد الخضرى اتمـام الوفـاء فى سيرة الخلفـاء صفحة ١٨٩ دار الفكـر بيروت ٠ أنتهى من تأليفه عـام ١٣١٦ هـ ٠

(٢٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر صفحة : ٣٥ ٠ ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ صفحة : ٩ ٠

(٣٠) ابن عذارى جـ ١ صفحة : ٩ ٠

(٣١) اليعقوبى – تاريخ اليعقوبى جـ ٢ صفحة : ١٦٥ ابن عذارى جـ ١ صفحة : ١٠

الكبير (٣٢) ٠

وعاد عبد الله بن الزبير الى المدينة مبشرا بانتصار المسلمين وحمل نصيب بيت مال المسلمين الى الخليفة عثمان رضى الله عنه ٠

وبعد هذا الانتصار الحاسم على البيزنطيين الذى يرى فيه الدكتور حسين مؤنس أنه كسر سلطان البيزنطيين كسرة لن يعود بعدها الى ما كان عليه قبل الفتح الاسلامى ٠ ثم يستطرد قائلا ولو أن عبد الله بن سعد بن أبى السرح أقام فى البلاد أو ترك فيها حامية لكان لانتصار سبيطلة نتائج بعيدة حاسمة لكنه عجل بالعودة لاسباب غير ظاهرة - مكتفيا بمال عظيم جمعه من أهل البلاد ، فكان على من أتى بعده أن يبدأ من جديد (٣٣) ٠

أما الدكتور عبد العزيز سالم ، فانه يرى أن عبد الله بن سعد بعد أن استولى على سبيطلة ، فانه أراد استغلال النصر فى الاستيلاء على قرطاجنة ، وأنه بث جيوشه فى البلاد ، فبلغت قفصة ، فسبوا واغتنموا وسير عسكرا الى حصين الاجم وفتحه ولما رأى رؤساء المدن فى افريقية ذلك ، طلبوا من عبد الله بن سعد الصلح على أن يدفعوا له مبلغا كبيرا من المال ، ومن ناحية أخرى فان أنباء مزعجة عن تحركات الروم كانت قد بدأت تساوره ، وغيبته الطويلة عن مصر وفقده لعدد كبير من جنوده فى معركة سبيطلة ، ذلك كله كان الدافع الذى جعله يعود الى مصر وأنه وان لم يتخذ قيروانا أو قاعدة فى هذه المنطقة الا أن غزواته هذه كانت تجربة مفيدة للمسلمين (٣٤) ٠

---

(٣٢) اورد ابن كثير وصفا مسهبا لحالة المسلمين فى المعركة ، وموقف عبد الله ابن الزبير فيها ٠ انظر البداية والنهاية ج ٧ صفحة : ١٦٦ وكذلك السيد عبد العزيز سالم - المغرب الكبير ج ٢ صفحة ١٥٢ - وانظر أيضا كتاب الشيخ محمد الخضرى ، اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء صفحة : ١٨٩ - ١٩٠ ٠

(٣٣) حسين مؤنس - فجر الاندلس صفحة : ٣٧ ٠

(٣٤) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٧٣ - ١٧٤ ٠

وانظر كذلك شكرى ٠ فيصل : حركة الفتح الاسلامى صفحة : ١٥٩ ٠

وقبل أن تنتقل الى المرحلة القادمة من الدراسة فاننا نود أن نشير الى ملحمة خالدة قادها القائد المسلم عبد الله بن سعد وكان مجالها البحر هذه المرة مما يدل على عظمته وقدراته العسكرية سواء على البر أو فى البحر ، وهذه الملحمة هى المعركة الخالدة « ذات الصوارى » التى وقعت فى حدود عام ٣٤ هـ ٠ بين الاسطول الاسلامى وأسطول البيزنطيين وانتصر المسلمون فيها انتصارا باهرا حينما نجحوا فى تحويلها الى شبه معركة برية عن طريق جذب سفن الاعداء بالخطاطيف ولصقها بسفن المسلمين ثم الهجوم عليها ، وربط سفن المسلمين بعضها ببعض بالسلاسل مما منع البيزنطيين من اختراقها ويشير الدكتور احمد مختار العبادى الى أن هذه المعركة قد وقعت بالقرب من سواحل الاناضول الذى يزخر بغابات السرو والارز التى تستخدم فى صناعة السفن مما يبين أهمية هذه الاماكن لكل من المسلمين والبيزنطيين (٣٥) ٠ هذا وقد اورد ابن كثير وصفا دقيقا مؤثرا عن المعركة فيقول : قصد الروم المسلمين فى جمع لم ير مثله منذ كان الاسلام خرجوا فى خمسمائة مركب وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبى السرح وأصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان ذات يوم بات الروم يقسقسون ويصلبون (*) وبات المسلمون يقرأون ويصلون ، فلما أصبحوا ، صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفا فى المراكب وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا الينا فى أمر لم يرد مثله من كثرة المراكب وعقدوا صواريها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح علينا فقلنا لهم : ان شئتم خرجنا نحن وأنتم الى البر ، فمات الاعجلون منا ومنكم ، قال : فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا الماء الماء ٠

قال : فدنونا منهم ٠ وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا واياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر وضربت

---

(٣٥) العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٣٧ ٠

(*) أى أن البيزنطيين يتلون كلمات القساوسة ، ويشيرون بالصليب طلبا للنصرة على المسلمين ٠

الامواج فى عيون تلك السفن حتى ألجأتها الى الساحل وألقت الامواج جثث الرجال الى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك · ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه وقد قلوا جدا — وبه جراحات شديدة مميتة ، مكث حينا يداوى منها بعد ذلك — وأقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى أياما ، ثم رجع منصورا مظفرا · (٤٢) ·

المرحلة الثالثة : حملة معاوية بن حديج ·

انقضت سنوات طويلة قبل أن تبدأ هذه المرحلة شغل العالم الاسلامى خلالها بأحداث شديدة أدت الى استشهاد خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقيام الحرب بين على بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان ، مما ترتب عليه توقف الفتوحات الاسلامية فى افريقية ، بل وضياع مكاسب المسلمين هناك اللهم الا ما اكتسبوه من خبرة ومعرفة بهذه المناطق ، وما تركوه هناك من بذور طيبة للديانة الاسلامية ·

وحينما استقرت الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، وتنازل الحسن بن على عنها ، وعاد المسلمون الى الجماعة والوحدة ، أعاد عمرو بن العاص مرة ثانية لولاية مصر ، لكن الامور بالنسبة لبه كانت مغايرة لما كان عليه الحال فى المرة الاولى ، فرغم أنه لم يهمل افريقية تماما ، الا أنه اكتفى بتجريد بعض الحملات والسرايا حيث يورد الدكتور عبد العزيز سالم ، نقلا عن المؤرخين المسلمين أن عمرو أرسل عقبة بن نافع لقتال لواتة ومزاتة ، كما أنه غزا بعض الاقاليم الجنوبية (٣٧) ·

وحين توفى عمرو بن العاص ، قرر الخليفة معاوية بن أبى سفيان فصل ولاية افريقية عن ولاية مصر ، وجعلها تابعة للخلافة مباشرة

---

(٣٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ صفحة : ١٧٢ ·
(٣٧) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ صفحة : ١٧٥ ·

ففى سنة ٤٤ هجرية حدث ذلك التطور الخطير فى علاقة المغرب بالخلافة الاسلامية ومنذ ذلك الحين أصبح المغرب ولاية مستقلة تابعة للخلافة رأسا ، وكان معاوية بن حديج أول وال اسلامى عين على أفريقية (٣٨) .

تجمع الروايات التاريخية على اهتمام الخليفة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بأمر افريقية ، وأنه طلب من ابن حديج مواصلة الجهاد فى افريقية ، وأمده بعدد كبير من المقاتلة منهم الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء صحابته الميامين أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وعبد الملك بن مروان ، وغيرهم .

خرج ابن حديج فى جيش كبير حتى وصل الى جنوب قرطاجة فى موضع يعرف بقونية ، وهو المكان الذى سوف تنشأ عليه قيروان المسلمين فيما بعد كما أنه المكان الذى سبق فيه قتال المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد للبيزنطيين بقيادة جرجير وهناك التقى مع الجيش البيزنطى بقيادة نقفور ، فانهزم البيزنطيون عند أول اشتباك وانسحبوا الى مدينة سوسة وتحصنوا الى داخل أسوارها ، ويؤكد الدكتور حسين مؤنس أن الرعب قد وقع بالبيزنطيين ولذلك فانهم بعد مناوشات قليلة مع المسلمين أقلعوا من سوسة الى صقلية ، واستولى المسلمون على سوسة (٣٩) . ويرى الدكتور عبد العزيز سالم أن ابن حديج سير جيشين : احداهما بقيادة عبد الله بن الزبير ووجهته سوسة ، والثانى بقيادة عبد الملك بن مروان ، ووجهته حصن جلولاء . وظل هو معسكرا فى منطقة القرن مدة طويلة ، حتى يقال أنه قد بنى مساكن سماها قيروان ، واحتفر هناك الآبار المعروفة باسم آبار معاوية بن حديج (٤٠) .

---

(٣٨) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٨ . وعبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٧٦ .

(٣٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٩ .

(٤٠) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٨٣ .

تمكن المسلمون فى هذه الغزوة من فتح سوسة وجلولاء وكذلــك من الاستيلاء على بنزرت وجزيرة جربة ، وهنــاك اشارات الى قيــام معــاوية من حديج بارســال أسطوله فى هــذه الفترة لغــزو جزيرة صقلية ، لكن معظم الدراســات الحديثة لا تميــل الى تصديق هذه الرواية (٤١) ٠

لـم تتح الفرصــة لمعاويــة بن حديج لاستكمــال فتح افريقيــة اذ عزله الخليفــة معــاوية بن أبى سفيــان عن قيــادة الجنــد فى افريقيا عــام ٤٨ هـ ٠ وعين بدلا منــه القــائد المجــاهــد عقبــة بن نافــع الفهرى الــذى تعتبر ولايتــه تعبيرا عن نظــرة الخلافــة الاسلامية الجديدة الى الفتوحات فى افريقيــة ، وأنـــه قــد آن الاوان — لاستقرار المسلمين الدائم هنــاك ، مما يــدل على أن عزل معــاوية بن حديج لــم يكن راجعــا الى نقـــص أو تقصير ، وانمــا كان اختيــار عقبة بن نافـــع مؤشرا لتطور جــديد فى استراتيجية الفتح فى المغرب ، ونابعــا من قنــاعة تامــة بأن القائــد الجديد وليس غيره رجــل المستقبل فى مرحلة انتهت بهــا حــرب الاستنزاف والسرايا العادية ، لتبدأ مرحلة ذوى الكفــاءات والألمعيــة العسكرية من فرســـان هذه الجهــة الموهوبين (٤٢) ٠

المرحلة الرابعــة : عقبة بن نافع الفهرى فى ولايته الاولى (٥٠ — ٥٥ هـ) ٠

يجمـــع المؤرخون على أن بداية ولاية عقبة بن نافـــع الفهرى تمثــل مرحلة جديدة من مراحل الجهــاد الاسلامى فى منطقة المغــرب ، وكان اختيار

---

(٤١) انظــر فى ذلك ٠ حسين مؤنس ، فجــر الاندلس صفحة ٣٩ وعبد العزيز سالم فى المغــرب الكبير صفحة : ١٨٥ — ١٨٦ ٠ وابراهيــم بيضون فى الدولة العربيــة فى أسبانيــا صفحة : ٣١ — ٣٢ ومــع ذلــك فقــد مال الى تصديقهــا الدكتور احمــد مختــار العبادى فى تاريخ المغـــرب والاندلس صفحة : ٣٨ ٠ وكتابه دراســات فى تاريخ المغــرب والاندلس صفحة ٦ — ٧ اعتمادا على كثير من المصــادر التاريخية ٠

(٤٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربيــة فى اسبانيا الصفحات ٣٢ — ٣٣ اعتمادا على كثير من المصــادر التاريخية ٠

معاويــة لعقبة اختيارا موفقــا جـدا ، نظـرا لتاريخه الطـويل وخبرته العميقة فى شئون هــذه المنطقــة ، فهــو واحــد من أوائــل المجــاهـدين حيث كان من قادة عمرو بن العــاص فى حملتــه الاولى على برقــة ، وكان عمـــره حينذاك فى حدود الرابعــة عشر عــاما ، وأنـــه ظــل مرابطــا هنــاك بعـــد عودة عمرو بن العاص الى مصر ، وخـــلال ذلـك شــارك فى كـافــة مراحل الكفــاح فى المنطقــة ، ففى حملة عمرو بن العــاص على طرابلس كــان عقبة على رأس الجيش الذى أخضــع قبيلة لواتة بتلك النواحى . كذلــك انضـم عقبــة الى حملــة عبد الله من سعــد بن أبى السرح وتشير المصــادر الى أنه فى الوقت الذى كان فيــه معاويــة بن حديج يرســل السرايــا الى الاقاليم الشماليــة الســاحليــة فى سوسة وبنزرت وقابس ، كان عقبة بن نـــــافع يحارب فى الصحراء الجنوبيــة فى فزان وودان ومــا وراءهــا من الواحـــات الجنوبيــة (٤٣) .

بالاضافة الى ذلك ، ركــز المؤرخون على ما كان يتصف بــه عقبـــة ابن نافــع من تقوى وورع شديدين ، فهــو عنــد الدكتور حســـين مؤنس « وكان فى نفســه رجــلا شديد الايمــان تميــل نفســـه الى نشر الدين (٤٤) وعند العبادى » كان رجلا مرابطا مجاهدا فى سبيل الله لدرجـــة أن بعـــض الروايات جعلت منــه بطــلا أسطوريــا بــل قطبا عارفــا مســتجاب الدعوة (٤٥) وعنــد الدكتور عبد العزيز ســالم » من أكابــر التــابعين وأفاضلهم (٤٦) .

هو عقبة بن نافــع بن عبد قيس الفهرى ، ولد قبـــل وفــاة رسول الله صلى الله عليــه وسلم بعــام واحــد (٤٧) ويــرى الدكتور ســـالم أنه قــد ولد على عهــد الرسول عليــه السلام ، على أســاس اشتراكــه فى فتــح مصر وأقليم برقــة وطرابلس ، وأن عمرو كان يقــدر بلاءه ، ويــرفع

---

(٤٣) مختار العبادى : فى تاريخ المغــرب والاندلس صفحة : ٣٨ ــ ٣٩
(٤٤) حسين مؤنس : فجــر الاندلس صفحة : ٣٩ .
(٤٥) العبادى : فى تاريخ المغــرب والاندلس صفحة : ٣٩ .
(٤٦) عبد العزيز سالم : المغــرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٩١ .
(٤٧) ابن عذارى : البيــان المغــرب ج ١ صفحة : ٩ .

منزلته ، ويثق فى كفايته ، ويجعله قائدا وليس من المعقول أن يكون ذلك لشاب لم يجاوز العاشرة (٤٨) ٠

وتعتبر ولاية عقبة بن نافع على افريقية بداية استقرار لفتوحات المسلمين هناك ٠ ولقد طال الزمن بعقبة بن نافع وهو يترقب الفرصة ليستأنف فتوحاته التى بدأها منذ حملة عمرو من العاص الاولى فى فزان وودان وما يجاورها من جوف الصحراء ٠ ولا نزاع فى أن طول عهده بافريقية ، وكثرة اشتغاله بحروبها قد مكنه من تكوين فكرة واضحة عن هذه البلاد التى جال ربوعها ، وتعرف على الكثير من أخلاق وعادات أهلها ، وتأكد أن فتح افريقية والمغرب لا يثبت الا بأمرين أساسيين : أولهما انشاء مركز للمسلمين تعسكر فيه جيوشهم ، ويأمنون فيه على نسائهم وذراريهم وأموالهم ومنه يخرجون للغزو بدلا من العودة فى كل مرة الى فسطاط مصر ٠ أما ثانى الامرين فهو غزو البربر أنفسهم ، والتوغل فى قلب بلادهم ، وأدراكهم فى منازلهم سواء فى الهضاب أو فى الجبال ، دون الاقتصار على غزو مدن الساحل ، ثم العودة الى الفسطاط ، لانه — كما سبق القول — بعودة المسلمين الى مصر تعود الامور فى افريقية الى ما كانت عليه لاتصال هذه المناطق عن طريق البحر بالبيزنطيين وتتلقى منهم الامدادات الدائمة ، وكانوا كما وصفهم المؤرخون المسلمون « اذا دخل عليهم أمير أطاعوا ، وأظهر بعضهم الاسلام ، فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم والى هذا المعنى أشار عقبة بن نافع (٤٩) ٠

تلك كانت الخطة التى وضعها عقبة بن نافع ، وأراد أن ينفذها على مرحلتين ، لكنه اذا كان قد نجح فى أن ينفذ المرحلة الاولى ببناء القيروان ، فانه ما كاد يشرع فى العمل فى المرحلة الثانية حتى رأت الخلافة أن تعهد بقيادة جيوش المسلمين فى افريقية الى أبى المهاجر دينار ، مولى مسلمة بن مخلد الانصارى ، والى مصر حينذاك من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان ٠

---

(٤٨) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة ١٩١ ٠

(٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ١٩ ، ابن الاثير الكامل فى التاريخ ٠ ج ٣٧ صفحة : ٢٣٤ ٠

خرج عقبة الى افريقية فى سنة ٥٠ هجرية فى جيش تتراوح تعداده ما بين عشرة آلاف على ما يذكر ابن عذارى (٥٠) أو أكثر من ذلك على ما يذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم (٥١) ، وتجنب السير على الطريق الساحلى المعروف والذى كان عليه اتجاه الحملات من قبل واتخذ طريقا داخليا لعله يتمكن من مفاجأة البربر والسكان ، ومضى يفتح الحصون والقصور ، ويضرب بين القبائل ، ويترك فيها من يحرسها حتى وصل الى الموضع الذى سبق أن عسكر فيه من قبل قائد جيوش المسلمين فى افريقية معاويه بن حديج والذى يرى بعض المؤرخين أنه هو أول من فكر فى اتخاذ قاعدة للمسلمين فى أفريقية وأنه سبق له ، أن اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان وأقام بها اقامته بافريقية . (٥٢) ولكن عقبة عدل عن هذا المكان الى مكان آخر أكثر عمقا فى داخل الصحراء خشية تعرض مدينته الجديدة لغارات البيزنطيين وقال ، انى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركه صاحب البحر الا وقد علم به (٥٣) كما أنه اختار مكانا صالحا للرعى ، يقول ابن عبد الحكم أن عقبة ركب « والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان واديا كثير الشجر ، كثير القطف » (٥٤) .

شرع عقبة فى تأسيس مدينته فى عام ٥٠ هـ . أو ٥١ هـ . فاختط دار الامارة والمسجد وأقام حوله دور عسكره ، واستغرق بناء المدينة ٤ سنوات كاملة مما جعل المؤرخين يعجبون من طول فترة البناء خاصة وأن المسلمين كانوا وسط محيط كبير من الاعداء وأرجع المؤرخون ذلك ، الى الظروف الدولية فى هذه الفترة ، وخاصة ما كانت تمر به

---

(٥٠) ابن عذارى البيان المغرب ج ١ صفحة ١٩ .
(٥١) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٧ صفحة : ١٩٧ .
(٥٢) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٥٤ .
(٥٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة ١٩ .
(٥٤) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية صفحة : ٥٤ . ابن عذارى — البيان صفحة (٢٠) .

الامبراطورية البيزنطية من مدافعة المسلمين عنهـا فى الشرق وما انتابها من أزمات داخلية (٥٥) ٠

عمرت القيروان بمختلف الابنية ، وأمها الناس من جميع الجهات وقامت بها الاسواق ، ويبالغ ابن عذارى فى وصفها وعدد دورها فيقول : ثم أخذ الناس فى بناء المساجد والمساكن ، وعمرت ، وشد الناس اليها المطايا من كل أفق ، وعظم قدرها ، وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع ، وستمائة ذراع حتى اكتمل أمرها ٠ (٥٦) ٠

وأصبحت المدينة هى قاعدة المسلمين الاساسية فى كل ما هو غرب مصر وترتب على ذلك ظهور هذه المنطقة كولاية لها أهميتها ، مما أكد نظرة الخلافة الخاصة بضرورة فصلها عن مصر ، كما جعلت الجهاد فيها مطمحا يمكن أن يسجل أسماء القائمين عليه فى هذه المنطقة فى سجل الخالدين ٠

ومن أجل ذلك سعى مسلمة بن مخلد الانصارى والى مصر لكى تكون له السيطرة على هذه المنطقة بالاضافة الى مصر واستغل فى ذلك صلته الوطيدة بالخليفة معاوية بن أبى سفيان الذى استجاب لآرائه وعزل عقبة بن نافع الفهرى عن ولاية افريقية وضمها الى مسلمة بن مخلد الذى أصبح بذلك أول وال ضمت اليه ولاية مصر والمغرب (٥٧) ، وقام مسلمة بتعيين مولاه أبا المهاجر دينار على افريقية ٠

المرحلة الخامسة : أبو المهاجر دينار ٥٥ — ٦٢ هـ ٠

تولى ابو المهاجر ادارة شئون جند المسلمين فى افريقية من سنة ٥٥ الى سنة ٦٢ هـ ٠ ، أى حوالى سبع سنوات الى أن عاد عقبة بن نافع

---

(٥٥) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا صفحة : ٣٤

(٥٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢١ ٠

(٥٧) ابن عبد الحكم : فتوح افريقيا والاندلس صفحة : ٥٥ ٠ وابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢١ ويؤكد ذلك أيضا الدكتور عبد الله أنيس الطباع نقلا عن ابن الابار فى كتابه الحلة السيراء ٠ انظر فتوح افريقيا صفحة ٢٢ التعليق رقم / ١ ٠

مـرة ثانيـة الى افريقيـة • وربمـا كان ذلـك سببا فى اهمـال بعـض المؤرخين لهـذه الفترة من جهـاد المسلمين فى المغـرب وانصرافهم عنهـا ، وذلك لتتبعهم أعمـال عقبـة بن نافـع ممـا جعلهم يعبرون فتـرة أبى المهـاجـر مسرعين •

لم يكن أبو المهاجـر دينـار أقل كفاءة من عقبـة بن نافـع فهمـا ينتميـان الى مدرسـة واحـدة هى مدرسة الاسلام ، وتعلم فيهـا الاثنـان معنى الجهـاد والتضحيـة فى سبيـل الله ورغم كل ما أثـاره بعـض المؤرخين من خلاف بين القـائدين أو ما حدث بينهمـا من اسـاءة فاننـا نجدهمـا يشتركـان فى هـدف واحـد هو العمـل ما أمكنهـما على نشر كلمـة اللـه سبحـانه وتعالى فى المغـرب ، وان اختلف أسلوب كل منهمـا فى تأدية هـذا الواجب •

لقـد كان عقبـة عسكريـا صرفـا تميـل طبيعته الى حسـم الامور مستخدما سيفه وجنده ، بينمـا كان أبو المهـاجر رجـلا سياسـيـا محنكا ، استخدم السيف حين كان لـه ضرورة وأعمـل فكـره لكى يتمكن من قلوب بعض البربر ويضمهم الى الاسلام ويخرجهم من سـاحـة الاعداء الى ساحة المحـايدين ان لـم يكونوا معاهدين •

كان ابو المهـاجر أول قائـد مسلم يقـدر لـه أن يخرج من سـهل تونس ليتوغـل فى هضاب المغـرب الاوسـط ، ويهـاجم القبـائل البربرية فى مواطنهـا الحصينـة ، ويوجـز ابن عبد الحكم حديثه عن أبى المهاجـر فيقول فلمـا قـدم افريقية كـره أن ينزل فى الموضع الذى اختطـه عقبـة بن نافـع ومضى حتى خلفه بميلين فبنى ونزل ، وكان النـاس قبل أبى المهاجـر يغزون افريقيـة ثـم يقفلون منهـا الى الفسطاط ، وأول من أقـام بهـا حين غزاهـا ، أبو المهاجـر مولى الانصـار ، أقـام بهـا الشتاء والصيف واتخـذهـا منزلا (٥٨) •

وتفسـيرنا لتخطى أبى المهـاجر دينـار قيروان عقبـة بن نافـع واتخـاذه مكانـا يبعـد عنه ميلين هو أن أبا المهـاجر أراد الاقتـراب

---

(٥٨) ابن عبد الحكم : فتوح افريقيـة والاندلس صفحة : ٥٦ ـ ٥٧

أكثر من مواقع قتاله ، وليس كما يذهب بعض الباحثين كراهة لما بناه عقبة بن نافع ، والله أعلم (٥٩) .

خرج أبو المهاجر على رأس قواته يفتتح ما يمر به من بلاد حتى وصل الى مكان تكثر به العيون بالقرب من تلمسان وتعرف هذه هذه العيون باسم عيون أبى المهاجر ، ومن هناك زحف الى قبيلة أوربة أقوى قبائل بربر البرانس ، وكان زعيم هذه القبيلة هو كسيلة بن لزوم الاوربى ، فانتصر عليه أبو المهاجر وظفر به ، وعرض عليه الاسلام فأسلم ، وأحسن اليه أبو المهاجر واستبقاه (٦٠) . وأسلم معه كثير من قومه ، ونجح أبو المهاجر بفضل مؤازرة كسيلة له فى الاستيلاء على تلمسان ، وبهذا يعتبر أول أمير مسلم وطئت خيله أرض المغرب الاوسط ، وتدل نتائج هذه الحملة على مقدرته السياسية وكياسته فى كسب زعيم بربر أوروبة الى جانب المسلمين (٦١) .

ويذكر المؤرخون لابى المهاجر دينار حملة أخرى ضد الروم فى هذه المرة بعد أن كانت حملته الاولى ضد البربر ، حيث اتجه الى قتال قرطاجنة عاصمة الروم فى افريقية وكان القتال شديدا بين الفريقين ، وكثر القتل بين الناس ، واستمرت المعركة يومين وبعدها صالح أبو المهاجر أهل قرطاجنة على أن يتنازلوا له عن جزيرة شريك ، وهى نتوء بارز فى البحر يشرف على قرطاجنة وما وراءها من ولاية افريقية ، وفى هذا دليل واضح على بعد نظر أبى المهاجر فهو قد وضع الارض كشرط للصلح بدلا من المال ، وفى هذا تمكين للمسلمين فى هذه البلاد ، كما أن هذه المنطقة ذات أهمية حربية كبرى يستطيع أن يحمى ما وراءه من أقطار ، ويرد غارات الروم المفاجئة من البحر (٦٢) .

---

(٥٩) انظر تحليل الدكتور عبد العزيز سالم لهذه الواقعة فى كتاب المغرب الكبير صفحة : ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٦٠) ابن عذارى البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٨ ـ ٣٩ .

(٦١) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة ٢١٩ صفحة ٢١٩ حسين مؤنس . فجر الاندلس صفحة : ٤٠ .

(٦٢) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى . صفحة : ١٦٦ ـ ١٦٧

وعاد أبو المهاجر دينار الى معسكره ليقيم فيه حوالى العام وفى هذه الاثنـاء كانت الظروف السياسية فى عاصمة الدولة الاسلامية قـد تغيرت، فمـات الخليفة معاويـة سنة ٦٠ هـ ٠ وتولى بدلا منـه ابنـه يزيـد الذى استجاب الى شكايـات عقبـة بن نافـع ورغبته فى العـودة الى موطن جهـاده فعزل الخليفـة أبا المهـاجـر دينـار وولى مكانه عقبـة بن نافـع وذلـك فى حدود عـام ٦٢ هـ ٠

المرحلة السادسة : عقبة بن نافـع فى ولايـة الثانية ٦٢ ــ ٦٤ هـ ٠

يمكن لنـا أن نتصور مشـاعر عقبة بن نافـع مع عودته الى القيـادة فى افريقيـة ، لقـد كان أحد أسباب عزله عن افريقيـة اتهـامه بالتقصـير فى الجهـاد والحـرب واضـاعة الوقت فى بنـاء القيروان ، ولعـل ذلك القـول ، وغيره ممـا لم يكن لـه أسـاس من الصحـة قـد بعث فى عقبـة الكثير من الافكار التى قـد لا تؤدى الى نتـائج مرضيـة ، فهـو قـد عـاد ونفسـه محملة بفكرة خوض المعـارك أيـا كان موقعهـا ، وأن يثبت عكس ما تقول بـه عليـه ، ونتبين خطته الجديدة حين وصوله الى القيروان مع من صحبه من صحـاب رسول الله والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، فانه يعيـد العمران الى مدينتـه ، ويدعـو لهـا قائـلا يارب املاءهـا علما وفقهـا ، واملاهـا بالمطيعين لك ، ، واجعلهـا عزا لدينك ، وذلا على من كفرك (٦٣) ٠ ثم يعزم على الغزو فى سبيـل الله ، فيترك حاميـة صغيرة فى المدينة برئاسة زهير بن قيس البلوى ــ الذى يماثله صلاحـا وورعـا ، ويجمـع عقبة أولاده ليقول لهم « انى قـد بعث نفسى من الله عز وجـل وعزمت على من كفـر به ، حتى أقتل فيـه والحق به ، ولست أدرى أترونى بعـد يومى هـذا أم لا ؟ ٠ لان أملى الموت فى سـبيل اللـه » (٦٤) ٠

كانت هـذه هى المشـاعر التى تنتاب عقبة رضى الله عنـه ، ومن هنا رفض سياسة أبى المهـاجـر القـائمة على اصطنـاع البربر والتقرب

---

(٦٣) ابن عذارى : البيان المغـرب ج ١ صفحة : ٢٣ ٠

(٦٤) ابن عذارى : البيـان المغـرب ج ١ صفحة : ٢٣ ــ ٢٤ ٠

منهم ، بل انه سجن أبا المهاجر وكسيلة وحملهما معه مقيدين بالحديد في غزوته الكبرى التى قطع فيها كل المغرب الاوسط والاقصى حتى وصل طنجة ، ومنها الى السوس الادنى ، حتى خاض بفرسه فى مياه المحيط ، فأقحم فرسه فيه حتى بلغ الماء نحره ، ثم قال « اللهم انى أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازا لجزت » (٦٥) ٠

ويبين لنا ابن عذارى فى تصوير واضح حالة عقبة بن نافع النفسية التى ملأت عليه نفسه ، وهى حبه للجهاد والقتال ، والتقدم الى أقصى ما يمكن الوصول ، دون توخى الحذر وأورد فقرات من هذا النص لاهميته ، وللنتائج الخطيرة التى ترتبت على تلك الغزوة فيصف لنا غزوات عقبة بعد أن اوصى أولاده بقوله « خرج رحمه الله غازيا للروم والبربر وهم اذ ذاك مجوس ونصارى ، وذلك بمدينتى باغاية وقرطاجنة وما والاهما ٠ فهزمهم ، وقتلهم تقتيلا ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وغزوته الى مدينة باغاية فلم ير المسلمون فى مغازيهم أصلب منها ، ٠٠٠ فحضر الى مدينة المنستير ، وكانت فى ذلك الزمان من أعظم مدائن الروم ٠٠٠٠٠ وغزوته بالزاب وقتاله اياهم على وادى المسيلة ٠٠٠ وغزوته بتيهرت ٠٠٠ وغزوته أيضا الى طنجة ، وذلك أنه لما توالت الهزائم على نصارى افريقية وبربرها وكثر القتل فيهم حتى كاد يستأصلهم لجأ من بقى منهم الى الحصون والمعاقل ، فلم يبرحوها فكره المقام على محاصرتهم ، فيفوته الغزو وقتل غيرهم من الطوائف الكفار اذ كانت أمم المغرب من نصارى وبربر لا يحصون كثرة وانتشارا — ولا يكاثرون بالرمل والحصى — فترك أهل افريقية متحصنين بحصونهم وأوغل فى الغرب ، يقتل ويأسر أمة بعد أمة ، وطائفة بعد طائفة بائعا نفسه عن مولاه ، لا تروعه كثرة ولا تعتريه هو ومن معه سآمة ولا فترة حتى صار بأحواز طنجة (٦٦) ٠

وفى غمرة هذا الحماس ، والانغماس فى محاولة تحقيق نصر حاسم على البربر والروم ، يهرب كسيلة زعيم البربر ، ويرتد عن الاسلام ،

---

(٦٥) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٦٠ ٠

(٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢٥ — ٢٦ ٠

ويتجمع حوله البربر من جديد ويعود التحالف القدم بين البربر والبيزنطيين وساعد على ذلك سياسة التسامح الدينى التى اتبعتها الامبراطورية العتيقة فى عهد قسطنطين الرابع ٦٦٨ — ٦٨٥ م ٠ (٦٧) ٠ وتربص الخطر بعقبة والمسلمين فى طريق عودتهم دون أن يشعروا به ، فلقد كانت انتصاراتهم الكبيرة وغزواتهم الموفقة مما يوحى للنفس بالامان والاطمئنان ، ولم يكن الامر كذلك ٠

بدأ عقبة بن نافع رحلة العودة الى القيروان بعد أن أرضى نفسه ، وكان جيشه قد تناقص كثيرا فى القتال ثم أنه صرف أعدادا كبرى منه لتسبقه الى القيروان ربما لان اخبارا مقلقة قد وصلته على ما يرى الدكتور العبادى (٦٨) أو لانه قد اطمأن الى ما أنجزه فى المغرب الاقصى كما يرى الدكتور بيضون (٦٩) ٠

ويرجع ابن عذارى تصرف عقبة الى ثقته الكاملة واطمئنانه لنتائج حروبه السابقة ، فيقول : لما وصل الى مدينة طبنة أمر أصحابه، فتقدموا ثقة منه بما دوخ من البلاد وأنه لا يقوم له أحد ، لينفذ قدر الله ومراده ، ويتعجل لعبده من كرامته ميعاده ٠ فينصرف أصحابه الى منازلهم عند قربهم منها وسار هو الى مدينة تهودة لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان ، فلما انتهى اليها بقية من كانوا معه وكانوا قليلا (٧٠) ٠

عند وصول عقبة ومن معه ، وكانوا حوالى خمسة ألاف ،، الى مدينة تهودة فاجأهم كسيلة البربرى فى جيش ينيف على خمسين ألفا أو يزيد ، ولم يكن بد من القتال فى وقت غير ملائم وبموازين عسكرية

---

(٦٧) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى صفحة ١٦٧ ٠
(٦٨) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٤١ ويوافقه على ذلك د ٠ السيد عبد العزيز سالم ٠ انظر كتابه المغرب الكبير ج٢ صفحة : ٢٢٧ اعتمادا على اقوال ابن عذارى ج ١ صفحة : ٢٨ ٠
(٦٩) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ٠
(٧٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢٨ ٠

غير متكافئة ، وكان على المسلمين ، رغم شـدة تعبهم ونصبهم أن يخوضوا حربا ضد عدو يفوقهم عددا وعدة ولم يكن من سبيل الا احدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة وقاتلوا قتال الابطال ، وتساقط الشهداء ، ويرى القائد المسلم أن لا أمل فى النصر ، فيأمر بفك قيود أبى المهاجر دينار ويطلب منه ان يلحق بالناس فى القيروان ، لكن متى كان المسلم حقا ينجو بنفسه ويترك أخاه فى معمعة القتال ، ولقد كان أبو المهاجر مسلما ، فظل الى جوار قائده الى أن استشهدا معا وأيديهما على سيفيهما الى جانب الالاف من جنودهما الذين فضلوا الاستشهاد ورووا أرض تهودة بدمائهم الزكية ٠

وهناك رواية أخرى تدل على ما كان يتمتع به قائد المسلمين من روح تعلو على كل حزازات شخصية ، وتتسامى الى تلك المكانة المعالية التى خلقها الاسلام فى النفوس ، ومفاد هذه الرواية أن أبا المهاجر رضوان الله عليه كان مقيدا بالحديد حين المعركة وكم آلم ذلك نفسه ، فهتف قائلا :

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا

واترك مشدودا على وثاقيه (*)

فلما سمع عقبة بذلك أمر بفك قيوده ، واشترك أبو المهاجر فى القتال الى أن لقى ربه مع جنود المسلمين فى هذه المعركة ٠

لقد انجلت معركة تهودة عن هزيمة قاسية للمسلمين ، وفقدانهم لاثنين من كبار قادتهم ، كما كان لها نتائج سيئة جدا ، وبعدا خطيرا أضاع على المسلمين كفاح ما يقرب من أربعين عاما ٠

لقد انتشى كسيلة بنصره ، وتقدم ليحتل قيروان المسلمين الذى سبق أن رحل عنه زهير بن قيس ، وانسحب بمن معه من المقاتلين

(*) روى القاضى ابو يوسف رحمه الله فى كتابه « الخراج » أن ابا محجن كان سجينا عند سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه أثناء معركة القادسية وانه انشد هذا البيت لكى يطلق سراحه ، على أن يعود الى القيد بعد المعركة » انظر ص ٣١ من كتاب الخراج ٠

الى برقة ، وعادت افريقية كما كانت ، الا من دخل فى الاسلام من البربر ، ويرى الدكتور حسين مؤنس ، أن الهزيمة لم تكن قاضية على كل أثر للمسلمين فى البلاد اذ أن افريقية تضم اذ ذاك جماعات اسلامية قوية فى القيروان وما حولها وفى بعض نواحى الاوراس ، وقد خضعت هذه الجماعات لكسيلة ، ولكنها ظلت تترقب عودة المسلمين (٧١)٠

ويتأكد هذا الرأى حينما نرى كسيلة يحسن معاملة مسلمى القيروان لعلمه بأن المسلمين لن يتركوها وسيعودون اليها ثانية ، ثم نراه بعد ذلك يرحل عنها ويعود ادراجه الى بلده ممس خوفا من وثوب المسلمين عليه فى القيروان ٠

ويعلق الدكتور شكرى فيصل على هذه المعركة بقوله : وكانت مأساة تهودة هى أقسى ما لقى المسلمون من هزيمة فى فتوح المغرب وقد تكون أقسى ما لقوا فى الفتوح الاخرى ، فلم نشهد الا مرة واحدة فى فتوح طبرستان حين هلك جيش مصقلة ، أن الجيش قد فنى كله ، ولم نشهد مرة أن حركة الارتداد شملت الاقطار المفتوحة بمثل هذه السعة الواسعة من طنجة الى القيروان أو برقة ٠

لقد خرجت افريقية من يد الجيش الاسلامى ، ولكنها لم تخرج من يد المسلمين فقد كانت أسلمت بعض قبائل البربر ، وكانت بقية فى برقة تنتظر ساعة الثأر ، وكان لا بد من جولة جديدة (٧٢) ٠

ونختتم الاشارة الى أثر هذه المعركة بالتعليق الذى أورده الدكتور السيد عبد العزيز سالم : ودوى خبر مقتل عقبة فى افريقية والمغرب دويا هائلا ، وكان له أثر عميق فى نفوس المسلمين ، وكان كسيلة قد زحف بجيوش لا حصر لها من البربر والروم الى القيروان « فانقلبت — افريقية نارا ، وعظم البلاء على المسلمين » (٧٣) ٠

---

(٧١) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤١ ٠
(٧٢) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى صفحة : ١٧٠ ٠
(٧٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٢٩ ٠

المرحلة السابعة : زهير بن قيس البلوى ٦٩ ـ ٧٠ هـ ٠

انسحب زهير ببقايا المسلمين من القيروان ، وأقام فى برقة أكثر من ٤ سنوات ينتظر ما تنجلى عنه الاحداث فى عاصمة الخلافة الاسلامية وسيطر كسيلة على كل افريقية والمغرب ٠

فى ذلك الوقت كانت الدولة الاسلامية فى دمشق تشهد أياما عصيبة ، فلقد دعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى نفسه وأرسل يزيد جيوشه لمحاربته ، وتعرضت مدينة رسول الله لموقعة الحرة، واتجهت جيوش يزيد لمحاصرة عبد الله بن الزبير فى مكة ٠ ومات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ٠ وتطورت الامور بعد وفاته تطورا خطيرا فى خلافة ابنه معاوية الثانى التى لم تستمر لاكثر من ٤٠ يوما فلم يتمتع بالملك لمرضه ولم يكن بد من انزوائه فى داره حتى مات (٧٤)٠

وعقد زعماء الاموية مؤتمرا بالجابية عام ٦٥ تناقشوا فيه أمرهم وبايعوا بالخلافة لمروان بن الحكم الذى تمكن من الانتصار على جماعة عبد الله بن الزبير فى معركة مرج راهط سنة ٦٥ هـ ٠ واستطاع مروان بن الحكم ان يسترد مصر من عامل ابن الزبير ، ثم أرسل مروان جيشين أحدهما الى العراق والاخر الى الحجاز ، تمكن جيش الحجاز فيما بعد من هزيمة جيوش عبد الله بن الزبير ٠ ومات مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ ٠ بعد أن عهد بالخلافة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز (٧٥) ٠

تمكن عبد الملك بن مروان من مواجهة كل الصعاب التى كانت تعترضه واستقر له أمر الخلافة ، وكان عليه ان لا ينسى ميدان جهاد المسلمين فى أفريقية ، وهو ميدان شهد بعض جهاده تحت امرة معاوية بن حديج ، واختار عبد الملك لذلك زهير بن قيس البلوى ، وذلك لتشابهه مع عقبة رحمه الله فى الزهد والورع ، وصحابته اياه ، وأنه أقرب الناس اليه ٠

---

(٧٤) حسن ابراهيم : (الدكتور) تاريخ الاسلام ج ١ ص ٢٨٨ ٠
(٧٥) حسن ابراهيم حسن : نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٠ ٠

يروى ابن عذارى أنه لما ولى عبد الملك واشتد سلطانه . اجتمع أكابر المسلمين اليه ، وسألوه تخليص افريقية ، ومن بها من المسلمين من يد كسيلة اللعين . فقال : « لا يصلح للطلب بدم عقبة من الروم والبربر الا من هو مثله دينا وعقلا » .

فاجتمع رأيهم على تقديم زهير بن قيس البلوى ، وقالوا : هذا صاحب عقبة ، وأعلم الناس ، بسيرته ، وتدبيره ، واولاهم بطلب دمه » (٧٦) .

كتب عبد الملك الى زهير بن قيس يأمره بجهاد البربر ، فرد عليه زهير يعلمه بقلة جنده وكثرة أعدائه ، فأمده عبد الملك بن مروان بالخيل والرجال والاموال ، وحشد اليه وجوه العرب ، وبعثهم اليه فوفدت الجيوش على زهير ، وتسرع الناس معه الى افريقية (٧٧) . أما ابن عبد الحكم فانه يروى أن عبد العزيز بن مروان والى مصر فى تلك الفترة هو الذى أمر زهيرا بالسير لقتال كسيلة (٧٨) .

كان زهير بن قيس قد صحب عقبة بن نافع منذ عام ٤٣ هجرية واشترك فى فتوح افريقية منذ ذلك الحين ، وكان من كبار رجال عقبة الذين يثق فى كفايتهم فيوليه شأن القيروان أثناء قيامه بحملته الكبرى على المغرب .

خرج زهير بالمدد الذى وصله من عبد الملك بن مروان ، وما أمكنه تجنيده من عرب افريقية ، وتوجه فى جيش كثيف للقاء كسيلة عند ممس ، وانتصر عليه انتصارا ساحقا ، وقتل كسيلة فى المعركة ، ومعه جموع كبيرة من البربر وتوغل فرسان المسلمين فى المغرب ، وينقل لنا تعليق السلاوى على هذه المعركة وهو « وفى هذه الواقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم ، وخضدت شوكتهم ، واضمحل أمر الافرنجة فلم يعد كما كان ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا

(٧٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ صفحة : ٣١ .
(٧٧) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ صفحة : ٣١ .
(٧٨) ابن عبد الحكم فتوح افريقية صفحة : ٦١ .

شديدا فلجئوا إلى القلاع والحصون وكسرت شوكة اوربة من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى وملكوا مدينة وليلى » (٧٩) .

عاد زهير بن قيس البلوى وجيشه الى القيروان ، وترك من اراد الاقامة وكان وجوده وجيشه فى القيروان يثيران خوف البربر مما جعلهم على حد قول ابن عذارى يلجأون الى الحصون والقلاع ولعل ذلك كان سببا فى أن يعود زهير الى برقة ، ومعه من أراد اصطحابه ، بعد أن اطمأن الى أنه قد أدى واجبه ، وانتقم لمصرع عقبة ومن معه من المسلمين ويقول عن ذلك ابن عذارى : ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا عظيما ، فأبى أن يقيم بها وقال : « إنى ما قدمت الا للجهاد وأخاف أن تميل بى الى الدنيا فأهلك » وكان من رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين ، فترك القيروان آمنة ، وانصرف عنها وأقام بها كثير من أصحابه » (٨٠) .

ولا شك أن الروم كانوا يراقبون الاحداث فى افريقية وقد أصابهم ما وقع بكسيلة ، وأفزعهم انتصار المسلمين الحاسم بقيادة زهير ، وعلموا أن جيش المسلمين كله يشترك فى المعركة « وقد كان بلغهم بالقسطنطينية سير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجو اليها فى مراكب كثيرة ، وقوة عظيمة من جزيرة صقلية ، وأغاروا على برقة ، فأصابوا منها سبيا وقتلو ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة ، فأخبر بالخبر فأمر العساكر بالسرعة والجد فى قتالهم (٨١) .

اضطر زهير بن قيس البلوى ، ومن معه من قوات قليلة الى الاشتباك فى معركة لم يكن مستعدا لها ، وفى ظروف غير مواتية ولم يكن النصر فيها حليف المسلمين ، واستشهد زهير ومن معه من أشراف العرب ،

---

(٧٩) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٣٧ ، نقلا عن السلاوى صفحة : ٩١ .
(٨٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٢ — ٣٣ .
(٨١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٤ صفحة : ٩٢ ، وانظر أيضا شكرى فيصل فى حركة الفتح الاسلامى صفحة : ١٧٢ .

ويصف لنا ابن عذارى المعركة فى هذه السطور : ثم رحل زهير الى الشرق فى خلق عظيم ، فبلغ الروم خروجه من افريقية الى برقة فأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا بها سبيا كثيرا ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم عسكر زهير الى برقة من افريقية ، فأخبر زهير بخبرهم ، فأمر عسكره بالسير الى الساحل ، طمعا أن يدرك سبى المسلمين ، فيستنقذهم . فأشرف على الروم ، فاذا هم فى خلق عظيم . فلم يقدر على الرجوع وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدخلونهم فى مراكبهم فنادى بأصحابه النزول ، وكانوا أشراف العابدين ، ورؤساء العرب المجاهدين أكثرهم من التابعين . فنزل الروم اليهم ، وتلقوهم بعدد عظيم ، والتحم القتال ، وتكاثرت عليهم الروم ، فقتل زهير رضى الله عنه — وأشراف من كان معه من العرب ، ومضى المسلمون الى دمشق ، فدخلوا على عبد الملك ابن مروان ، فأخبروه أن أميرهم وأشراف رجالهم قد استشهدوا » (٨٢) .

وهكذا استشهد قائد المسلمين فى افريقية زهير بن قيس البلوى بعد أن أعاد الى المسلمين ما ضاع بعهد هزيمة عقبة وانتصر لشهداء تهودة لكن هزيمته أمام الروم أثارت المشاكل من جديد أمام استقرار المسلمين فى افريقية ، وكان لابد من مواجهة حاسمة بعد أن طال الامر كثيرا .

المرحلة الثامنة : حسان بن النعمان ٧٤ — ٨٥ ﻫ .

تأثرت الخلافة الاموية بمصرع الامراء الثلاثة — عقبة وأبو المهاجر وزهير بن قيس — فى الميدان الافريقى ، وصعب على الامويين أن تضيع الانتصارات التى اكتسبها المسلمون بدمائهم وجهادهم فوق رمال هذه المنطقة ، وان تتاح الفرصة للروم البيزنطين لكى يثأروا لما لحقهم من هزائم على يد المسلمين فى الميدان الشرقى باكتساب انتصارات على المسلمين فى الميدان الغربى ، ميدان افريقية والمغرب .

---

(٨٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة ٣٣ . وانظر ابن الاثير ج ٩ صفحة : ١٦ .

كانت معركة الامويين مع البيزنطيين معركة واحدة سواء فى الشرق أو الغرب ، ولذلك أدرك المسلمون أن انتصارهم فى أفريقية لن يكون نهائيا الا بالقضاء على سلطة الروم فى المنطقة وربما كان هذا سببا فى اختيارهم لحسان بن النعمان الغسانى لقيادة معارك المسلمين فى هذه المنطقة وللغساسنة خبرتهم الطويلة بالروم منذ ما قبل الاسلام ، لهذا حينما اجتمع أشراف العرب ، وسألوا عبد الملك أن ينظر لافريقية من يسد ثغرها ويصلح أمرها ؟ فقال لهم عبد الملك : « ما أرى أحدا كفوا لافريقية كحسان بن النعمان » (٨٣) ·

من ناحية ثانية كان عبد الملك بن مروان قد خلص له الامر فى الخلافة ومات عبد الله بن الزبير ، ونجح فى القضاء على ثورات الشيعة فى العراق ، وأصبح خليفة للمسلمين بلا منازع ، وكان لابد له من عمل كبير يمحو به عن المسلمين ما خلفته تلك السنوات الطوال من الجهاد فى مجال افريقية والمغرب ·

أدرك الخليفة أن لابد من قوة كبيرة ، وموارد ثابتة ينفق منها على الفتح ، فأمد حسان بن النعمان بجيش يقدر بأربعين ألفا وأطلق يده فى خراج مصر ينفق منه على رجاله ، فيذكر ابن عذارى أنه فى سنة ٧٨ هـ · قدم حسان بن النعمان افريقية أختاره لها عبد الملك بن مروان ، وقدمه على عسكر فيه أربعون ألفا أقامه أولا فى مصر بالعسكر ، عدة لما يحدث · ثم كتب اليه يأمره بالنهوض الى افريقية ، ويقول له « انى قد اطلقت يدك فى أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك ، وأعط الناس ، وأخرج الى بلاد افريقية على بركة الله وعونه » (٨٤) ·

سار حسان الى افريقة فى هذا الجيش ، وهو أكبر جيش من المسلمين وجه لفتح هذه البلاد ، وقد وضع خطة ثابتة لعملياته ركزها أولا للقضاء على الروم ·

---

(٨٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٣ ·
(٨٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٤ ·

ولهـذا اتجه بكـل قواته الى قرطاجنـة ، وهى عاصـمة البيزنطيين فى افريقيـة ، ومصدر المقاومة الثابت ، وحاصر المدينـة التى خـرجت لقتاله ، وانتصر عليهم ، وقتـل منهم خلقـا كثيرا ، واضطر من بقى منهم الى الفرار بمـا فيهـا من سفن اتجه بعضهـا الى صقليـة ، والبعض الآخر الى الاندلس ٠

ويبدو أن حسان بعـد انتصـاره على هـذه المدينـة وقضـائـه على خطـر الروم ، غادر قرطاجنة فعـاد بعض أهلهـا وبواديهـا بعـد علمهم بهروب قائدهـا ، فـدخلوها واعتصموا بهـا ، ممـا اضطـر حسـان أن يعود الى حصارهـا حصارا شديدا حتى دخلهـا بالسـيف فقتلهم قتلا ذريعـا وسباهم ونهبهم ، وأرسـل لمن حواليهـا فاجتمعوا اليه مسارعين ، خوفا من عظيم سطوته ، وشـدة بأسه فلمـا أتوه ، ولم يبق منهم أحـد ، أمرهم بتخريب قرطاجنـة وهدمهـا ٠ فخربوهـا حتى صـارت كأمس الغابر ثم بلغـه أن النصارى اجتمعوا ، وأمدهم البربر بعسكر عظيم فى صطفورة * فرحـل اليهم حسـان حتى لقيهم ٠ وقاتلهم حتى هزمهم وقتـل الـروم والبربر قتلا ذريعـا ، وحمـل عليهم أعنة خيله ، فمـا تـرك من بلادهم موضعـا الا وطئه ٠ ولجـأ الروم هاربين خائفين الى مدينـة باجـة ، فتحصنوا بهـا ٠ وهـرب البربر الى اقليم بونة ٠ — وانصرف حسـان الى القيروان (٨٥) ٠

وهكذا تمكن حسـان بن النعمـان من القضـاء على النفـوذ البيزنطى فى المنطقـة باستيلائه على قرطاجنة ٦٩٧ م ٠ وهكـذا بـدأت شمال افريقية الخطوات الحقيقيـة لكى تتحـول « من الحضـارة اللاتينيـة الى الحضارة العربيـة ومن الديـانة المسيحية الى الديانة الاسلامية (٨٦) ٠

(*) عرفهـا الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، فقـلا عن الادريسى بأنهـا تقـع فى الاقليم المتصـل بأرض قرطاجنة من ناحية المغـرب (انظر المغـرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٤٣) ٠

(٨٥) ابن عذارى : نفس المصدر صفحة : ٣٥ ٠

(٨٦) سعيد عبد الفتـاح عاشور تاريخ اوربـا العصور الوسـطى ج ١ صفحة : ١٤٣ ٠

لم يكن المغرب قد استقر نهائيا بالانتصار الحاسم على الروم والبيزنطيين بل كانت هناك شوكة أخرى قائمة تتمثل فى مقاومة البربر ، وقد آلت زعامتهم الى امرأة كاهنة تطلق عليها المصادر اسم « داهيا بنت ماتيا » ، تقيم مع رجالها فى منطقة جبال أوراس ترقب الاحداث بين البيزنطيين وحسان ٠

عاد حسان بن النعمان الى القيروان للراحة أياما ولكى تبرأ جراح أصحابه ، وسأل عن من بقى فى افريقية ممن يخشى خطره على المسلمين فأعلموه بأمر الكاهنة « فجميع من بافريقية من الروم منها خائفون ، وجميع البربر لها مطيعون ، فان قتلتها دان لك الغرب كله ، ولم يبق مضاد ولا معاند (٨٧) ٠

استعد حسان للزحف على الكاهنة وجيوشها ، وتقدم نحو بلادها وبلغها خبر مسيره اليها ، فتقدمت الى مدينة باغاية فأخرجت عنها من كان بها من الروم وهدمتها حتى لا يتحصن بها حسان ورجاله وعلم بذلك حسان فنزل فى واد يسمى سكيانة ورحلت الكاهنة حتى نزلت على الوادى المذكور ، ويطلق ابن عبد الحكم على المكان اسم « نهر البلاء » حيث اقتتلوا قتالا شديدا فهزمته ، وقتلت من أصحابه ، وأسرت منهم ثمانين رجلا وأفلت حسان ، ونفذ من مكانه (٨٨) ٠

أما ابن عذارى فيقول بعد نزول الكاهنة على الوادى المذكور « فكان هو يشرب من أعلى الودى وهى من أسفله ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ فلما توافت الخيل ، دنا بعضهم من بعض ، فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار ، فبات الفريقان ليلتهم على سروجهم ولما أصبح الصباح ، التقى الجمعان ، فتقاتلوا قتالا لم يسمع بمثله وصبر الفريقان صبرا لم ينته أحد اليه ، الى أن انهزم حسان بن النعمان ومن معه من المسلمين ٠ وقتلت الكاهنة العرب قتلا ذريعا ، وأسرت ثمانين رجلا من أعيان أصحابه » (٨٩) ٠

---

(٨٧) ابن عذارى ٣٥/١ ٠
(٨٨) ابن عبد الحكم صفحة : ٦٣ ٠
(٨٩) ابن عذارى ٣٦/١ ٠

كانت الهزيمة شديدة على المسلمين ، عاد بعدها حسان بجيوشه الى برقة تاركا القيروان ، وبها قليل من المسلمين ، وكتب الى الخليفة عبد الملك بصعوبة الموقف وما حدث له ، وبرر ذلك قائلا « بأن أمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية كلما بادت أمة ، خلفتها أمم ؟ وهى من الجهل والكثرة كسائمة الغنم • فجاءه جواب أمير المؤمنين يأمره أن يتيم حيثما وافاه الجواب ، فورد عليه فى عمل برقة فأقام بها وبنى هنالك قصورا تسمى الان بقصور حسان (٩٠) •

كان الموقف حرجا ، فالوالى وقائد الجند يقيم فى برقة وقلة من المسلمين فى القيروان معرضة لخطر هجوم الكاهنة التى لوحظ أنها لم تحاول الهجوم على القيروان ، بل من العجيب أنها أحسنت معاملة أسراها من المسلمين ، ربما لقناعتها بأن ذلك النصر ليس آخر المطاف ، ولا بد من عودة المسلمين لنزالها والقصاص منها •

ولكن الخطر داهم القيروان من ناحية أخرى ، فقد شق على الروم أن تسقط قرطاجنة بين يدى حسان ، فاعدوا أسطولا كبيرا على رأسه البطريق يوحنا وظهر هذا الاسطول فى قرطاجنة سنة ٦٧ هـ/ ٦٩٧ م ، وتمكن من الاستيلاء على المدينة فى يسر ، وقسا فى معاملة من وقع تحت يده من المسلمين قسوة زائدة حتى ليقال أن قائدهم كان يقتل المسلمين بيده (٩١) •

أصبحت الامور شديدة التعقيد ، وبدأ الامر وكأن المسلمين قد خسروا كفاح ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، وتعاون البربر والبيزنطيون على استخلاص الاراضى التى سبق للمسلمين نزولها فالبربر يسيطرون على البلاد الداخلية ، والبيزنطيون على السواحل والمناطق الشمالية وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين ،

---

(٩٠) ابن عذارى ١/٣٦ •
(٩١) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى صفحة ١٧٤ •

والمسلمون فى برقة ينتظرون أوامر الخليفة ، ويراقبون ما يحدث في افريقية ، وبدأت تباشير نصر الله تترى .

انتظرت الكاهنة المسلمين مدة طويلة ، وأعماها الله سبحانه وتعالى فجال بخاطرها أن المسلمين انما قدموا طمعا فى خيرات هذه البلاد ، ومن ثم اذا خربت هذه الخيرات فان ذلك قد يقطع طريق العودة نهائيا أمام المسلمين وقالت لاعوانها ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى ، فلا نرى لكم الا خراب بلاد افريقية كلها ، حتى ييأس منها العرب ، فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر ، فوجهت قومها الى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون . » (٩٢) .

أثار هذا العمل السكان الافارقة والبربر والروم ضد الكاهنة وهرب كثير منهم الى خارج افريقية ، بل ولجأ الكثير منهم الى حسان ابن النعمان ، وفى نفس الوقت تلقى حسان المدد من الخليفة ووجد الفرصة سانحة لكى يخرج لقتال الكاهنة ، وانضم الى جيشه كثير من البربر ، وأحست الكاهنة بأن لاطاقة لها بقتال حسان ، فأرسلت اليه ولديها يستأمنان لنفسيهما مع بعض من سبق أن اسرتهم من المسلمين ، وتزايد جيش حسان فى طريقه بمن كان ينضم اليه من الناقمين على الكاهنة حتى أصبح فى خلق عظيم ، والتقى معها فى معركة فاصلة ، والتحم فيها القتال ، واشتدت الحرب والنزال ، حتى منح الله نصره للمؤمنين وقتلت الكاهنة ، وهزم جيشها هزيمة كبيرة .

وطلب البربر الامان من حسان ، فلم يقبل أمانهم الا أن يعطوه من قبائلهم اثنى عشر الفا يجاهدون مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على يديه . فعقد لولدى الكاهنة ، لكل واحد منهما على ستة الاف فارس ، وأخرجهم مع العرب يجولون فى المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر ، ويواصل ابن عذارى قوله : وانصرف حسان

---

(٩٢) ابن عذارى ١/ ٣٦ .

الى مدينة القيروان ، بعد ما حسن اسلام البربر وطاعتهم ، وذلك فى سنة ٨٣ هـ · وفى هذه السنة ، استقامت بلاد افريقية لحسان بن النعمان فدون الدواوين ، وصالح على الخراج ، وكتبه على عجم افريقية ، وعلى من أقام معهم على دين النصرانية (٩٣) ·

وينقل لنا د · سعيد عاشور رأى الكتاب الغربيين تعليقا على تحول شمال افريقية بعد ذلك الى الاسلام والعروبة قائلا : حتى البربر الذين طالما أظهروا عنادا يسترعى الانتباه ضد الغزاة السابقين ، سرعان ما اندمجوا فى تيار الحضارة الجديدة وأصبحوا مسلمين متحمسين ، وبذلك مرت السبعمائة سنة التى سيطرت فيها اوربا على شمال افريقية دون أن تترك أثرا فى تلك البلاد سوى الاساطير والاطلال فالمسيحية اندثرت ، والحياة الرومانية ذبلت ، والمدن تركها الرومان ليعودوا ادراجهم الى اوربا (٩٤) ·

اتجه حسان بعد ذلك الى قرطاجنة لمواجهة الروم ، واجبرهم على الفرار من المدينة ، وقد رأى حسان بعد ذلك أن يشرع فى بناء مدينة جديدة للمسلمين تشرف على مدينة قرطاجنة ، فبنى مدينة تونس، التى لعبت دورها فى تثبيت الاسلام والعروبة فى المنطقة بمثل ما قامت به من قبل مدينة القيروان ، ويعتبر بناء هذه المدينة دليلا على استقرار حركة الفتوحات الاسلامية فى افريقية ، ورمزا لانتهاء حقبة تاريخية وبداية حقبة أخرى جديدة ·

قام حسان بتنظيم الولاية الجديدة ودون الدواوين كما سبقت الاشارة ، وأقبل البربر على الاسلام ، وساوى حسان بينهم وبين العرب فى الفيء والغنيمة ، ثم أقام العمال على نواحى الادارة من خراج وزكاة وجند وأرسل الخليفة قاضيا للقيروان أسوة بغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى (٩٥) ·

---

(٩٣) ابن عذارى : ٣٨/١ ·
(٩٤) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ صفحة : ١٤٣ ·
(٩٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤٥ ·

وفى أوائل سنة ٨٦ هـ · عزل حسان بن النعمان عن افريقية وتولاها موسى بن نصير الذى استطاع بما وهب الله له من قدرة القيادة ومن الذكاء أن يثبت قدم الاسلام والمسلمين فى افريقية وأكمل الفتوحات فى منطقة المغرب الاقصى ، وأرسل قواده وجنوده لقتال القبائل التى مازالت خارج سيطرة المسلمين ، وتوغل الى الجنوب فى المغرب ·

ويذكر المؤرخون لموسى بن نصير جهادا بحريا رائعا ، حتى يقال أنه غزا صقلية وعاد منها بغنائم كثيرة ، كما أرسل المراكب أيضا بقيادة عياش بن أخيل فغزت سرقوسة فى عام ٨٦ هـ · (٩٦) · وأرسل ابنه مروان الى السوس الاقصى ، وواصل غزواته حتى دان له المغرب كله باستثناء مدينة سبتة المطلة على المضيق ، وتركها للصلة التى بدأت تنمو بينه وبين حاكمها المعروف باسم « يليان » ·

وبدأ موسى بن نصير مهمة أخرى لا تقل أهمية عن جهاده الحربى فى المغرب الاقصى ، وهى تثبيت الاسلام ، وتعليم اللغة العربية بين المسلمين الجدد من البربر ، فيذكر ابن عذارى ، أن موسى « استعمل مولاه طارقا على طنجة وما والاها فى سبعة عشرة ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر ، وأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن ، وأن يفقهوهم فى الدين ، ثم مضى قافلا الى افريقية (٩٧) ·

ولقد سبق موسى فى هذه المهمة الشهيد عقبة بن نافع الذى يذكر له ابن عذارى أنه كان قد ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام منهم شاكر صاحب الرباط وغيره (٩٨) ·

وليست هذه فقط هى مآثر ذلك القائد الاسلامى العظيم لكن ارادة الله كانت تدخر له مجدا خالدا حين أمكنه أن يقنع هذا الشعب الجديد فى الاسلام بالمشاركة فى الجهاد وحمل رسالة الاسلام لاول

---

(٩٦) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٥٦ ·
(٩٧) ابن عذارى : البيان ج ١ صفحة : ٤٣ ·
(٩٨) ابن عذارى : نفس المصدر ج ١ صفحة : ٤٣ ·

مرة عبر البحر الى القارة الاوربية ، وذلك بغزوها من الغرب بعد أن فشل المسلمون كثيراً فى دخول هذه القارة من الشرق • ولكن قبل أن تمضى مع الجيوش الاسلامية الى الاندلس ، علينا أن نتوقف قليلا لنتساءل عن أسباب طول مدة الفتح الاسلامى ، والتى نيفت على الستين عاما •

أسباب طول مدة الفتح الاسلامى

اتسمت الفتوحات الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية بصفة عامة بالجهد المنظم والسرعة والاستقرار ، على العكس مما حدث فى فتوحات المسلمين لمنطقة افريقية والمغرب •

ولنلق نظرة سريعة على الفتوحات الاسلامية فى اشرق لنتبين أوجه الخلاف بينها وبين ما حدث فى منطقة المغرب •

بدأت فتوح العراق بالمناوشات التى كان يشنها المثنى بن حارثة ، ثم توجه خالد بن الوليد رضى الله عنه لفتح الحيرة فى سنة ١٢ هجرية، وانتهت هذه الفتوحات بانتصار النعمان بن مقرن رحمة الله فى معركة نهاوند سنة ٢١ هـ • ، ولم يقع بعدها ارتداد من الفرس بصورة جماعية ، ولم تخرج بلادهم من أيدى المسلمين بعد ذلك •

أما فتوح بلاد الشام فقد بدأت بالجيوش التى سيرها الخليفة أبو بكر الصديق رحمه الله سنة ١٢ هجرية بقيادة أبى عبيدة من الجراح ، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وانتهت جميعها على الرغم المعارك القاسية والكبيرة التى واجهها المسلمون هناك بتسليم بيت المقدس للخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ هـ • وهى مدة لا تزيد على خمس سنوات ، على اتساع بلاد الشام وكثرة مدنها وسكانها •

أما فتح مصر فانه لم يستغرق أكثر من عامين بين سنة ١٩ ، ٢١ هـ • وذلك منذ بداية دخول المسلمين الاراضى المصرية عند رفح ، وحتى توقيع معاهدة الاسكندرية ويبين ذلك ضرورة التعرف على

الاسباب التى جعلت من فتح المغرب مسألة صعبة طال فيها جهاد المسلمين وقدموا كثيرا من التضحيات والمهج والارواح ، ويمكن تلخيص الاسباب فى النقاط التالية :

أولا : الاحوال السياسية فى الدولة الاسلامية :

لم يأخذ الفتح العربى لهذه البلاد نفس الصورة المنظمة التى رأيناها فى كل من الشام والعراق وفارس ومصر ، ففى هذه الفتوحات كان واضحا أنها تشكل عملا أساسيا من أعمال الدولة الاسلامية تتجه فها السلطة العليا وعلى رأسها الخليفة الى هذه الفتوحات بكل سمعها وبصرها واهتمامها الى درجة تنبيه هذه القوات بضرورة اخطار الخليفة بكل ما يدور فى المعركة من أحداث سياسية أو معارك حربية ، وتتلقى الجيوش تبعا لذلك توجهات الخلافة فى كل هذه الامور بعد استشارة أولى الامر فى العاصمة الاسلامية ٠

ودلالة ذلك الواضحة تتجلى فى الاهتمام الذى كان يبديه كل من الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب بأمر هذه الفتوحات وكيف كان خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح يحيطان الخلافة علما بكل الامور ويتلقيان التوجيهات من المدينة الى الحد الذى جعل عمر بن الخطاب يتدخل بنفسه فى أمر تولية قيادة الجند فى معركة اليرموك فيعزل خالدا ويعين أبا عبيدة ثم يذهب بنفسه لاستلام بيت المقدس ، هذا الى جانب التغييرات المختلفة التى كان يأمر بها الخلفاء أثناء سير عملية الفتح ، اذا أضفنا الى ذلك وجود قيادة عليا فى كل مجموعة من المجموعات الغازية فى كل من الشام والعراق ومصر يرجع اليها كافة القيادات الاخرى قبل اتخاذ الاجراءات الحاسمة وتشاورها فى أمورها وتتلقى منها تعليماتها حيث يذكر أن ابا بكر حين عقد لعمرو بن العاص قال له بعد أن سلمه الراية ، قد وليتك هذا الجيش فانصرف الى أهل فلسطين وكاتب أبا عبيدة وانجده اذا ارادك ولا تقطع أمرا دونه (٩٧) ٠

وكان قواد الجيوش العربية على اتصال بقائدهم العام وهو بدوره على اتصال بالخليفة ، كما أنهم اجتمعوا معا فى الشام لكى

---

(٩٧) الطبرى : تاريخ الامم ج ٤ صفحة : ٣٨ ٠ ابن الاثير ج ٢ صفحة : ١٩٥ ٠ حسن ابراهيم ٠ تاريخ الاسلام ج ١ صفحة : ٢٢٤ ٠

يتداولوا فى كيفيــة مواجهــة الروم • وكان رأى عمــرو بن العــاص أن تتحــد الجيوش الاربعــة لمواجهــة التكتــل البيزنطى ورأى البعض الاخـــر أن يبقى كل جيش فى مكانه لكى لا تنتقص عليهم الميادين ، وأرســـل أبو عبيدة يستشير الخليفة فجــاء رده مصوبا رأى عمرو • وتوحدت الجيوش فى مواجهــة الروم •

كل ذلك يدلنــا على مــدى التنظيم والاهتمــام الــذى كانت تلقـــاه الفتوحــات الاسلاميــة فى ذلك الوقت باعتبارهــا عمــلا أســاسيــا يشــد اهتمامات الدولة بأكملهــا • واذا كان ذلـــك قــد حــدث فى بلاد الشــــام فانه قــد حدث أيضــا فى العراق وفارس مع سعد بن أبى وقاص والنعمــان بن مقرن وفى مصر مــع عمرو بن العاص •

أمــا الذى حدث فى أفريقيــة فكان فى معظم الاحيــان اجتهــادا من ولاة مصر أو من الجنــد العــرب فى هــذه البلاد بقصـــد تمهيــد الطــريق وجس النبض والحصول على ما ينعم الله بــه من الغنــائم • الى أن بنيت القيروان ، وأصبحت هنــاك عاصمة اسلاميــة يسكنهــا المسلمون المستقرون، وبهــا الجامــع والخطبة والامــام ، وأصبح من مهــام خليفــة المسلمين أن يرعى من يقيم فيها ويؤمن شــعائر الاســلام هنــاك • ونستثنى من ذلــك الفترة الخاصــة بعهــد الخليفــة عمــر بن الخطــاب وعثمــان بن عفــان رضى اللــه عنهمــا ، فقــد كان اهتمامهما واضحا بميدان افريقية ومحددا •

كذلــك فان من أهم أسباب الاختلاف بين الميــدان الافريقى الغربى وبين الميـــادين العربيــة الاخــرى مــا طرأ على الدولة الاسلامية نفسهــا من مشكلات وفتن جعلت بأسها فى داخلها وليس على أعدائهــا ، فهناك الفتنة الكبرى التى صدعت الجبهة الداخلية والتى انتهت بمصرع عثمان بن عفان رضى اللــه عنــه ، ثــم هنــاك الخلاف بين على بن أبى طالب ، وبين طلحــة والزبير وعائشــة رحمهم اللــه جميعــا ، والذى انتهى بموقعــة الجمــل ، ثم الصدام الذى نشأ بين على بن أبى طالب وبين معاوية والى الشام ، وطبع بصماته على كل شبر من الدولة الاسلاميــة ثــم ما صــادف معــاويــة

بعد ذلك من عقبات كان لابد من مواجهتها قبل تأمين الخلافة الجديدة ، وما قابله خلفاؤه من بعده حتى عهد عبد الملك بن مروان من مشاكل الطالبين بالخلافة مثل الحسين بن على وعبد الله بن الزبير والخوارج بالاضافة الى معارك المسلمين مع الدولة البزنطية ٠

كل ذلك كان له أثره الواضح فى انصراف الحكومة المركزية عن متابعة وتنظيم الفتح الاسلامى لافريقية والمغرب مما كان سببا فى اطالة مدة الفتح على هذه الصورة ، ولم يكن ذلك راجعا الى افتقاد الشجاعة أو الرغبة فى الاستشهاد عند المسلمين ، لاننا نجد أن عمليات الفتح تسرع نحو نهايتها حين انتهى عبد الملك بن مروان من كل ما كان يواجهه من مشاكل وصعوبات وخلصت له خلافة المؤمنين بعد عام ٧٣ هـ ٠ ووجه اهتمامه للفتح ٠

ثانيا : بعد الميدان الافريقى :

كان بعد الميدان الافريقى المغربى عن الحكومة المركزية أحد الاسباب الرئيسية فى تردد الخلفاء المسلمين فى الاهتمام بهذا الفتح فاذا اضفنا الى ذلك الحاجة الى استخدام الاسطول وركوب البحر لادركنا عاملا آخر من عوامل التردد ، يحدثنا التاريخ عن تردد عمر بن الخطاب فى فتح مصر ، وتشبيهه للجنود على ظهر السفن بالديدان على العيدان ، وكان دائم الرغبة فى أن لا تفصل بينه وبين جنده فواصل مائية ٠ كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، منع عمرو بن العاص من غزو افريقية ، حين كتب اليه عمرو يقول بأن ليس أمامه الا بلاد افريقية وملوكها كثير وأهلها فى عدد عظيم ، وأكثر ركوبهم الخيل ، فأمره بالانصراف عنها (٩٨) ٠

وفى قول آخر أن عمرا أرسل الى عمر بن الخطاب قائلا ان الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين افريقيا الا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ، ويفتحها الله على يديه فعل ،

---

(٩٨) ابن عذارى ٠ البيان ج ١ صفحة : ٨ ٠

فكتب اليه عمر : « لا » انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت (٩٩) ٠

بالاضافة الى هذا فان افريقية والمغرب ميدان واسع مترام الاطراف يتكتل الروم عند السواحل ، فى حماية الاساطيل أما الجنوب فيمثل صحارى واسعة يسكنها أقوام عزوفون بالطبيعة على حب الاختلاط ، ميالون الى الدفاع عن الحرية ، وبوسعهم استخدام أساليب الكر والفر وساعدتهم معرفتهم بالطبيعة والجغرافية فى بلادهم فتميزوا على العرب وأمكنهم ايقاع الهزيمة بهم فى أكثر من معركة ، بل وصرعوا بعض قادتهم مثل عقبة وأبى المهاجر دينار ٠

ثالثا : مساعدات البيزنطيين :

كانت الدولة البيزنطية تعتبر ميدان الصراع مع الدولة الاسلامية واحدا ، فى مشرقه أو مغربه ، وكانت أساطيلها تهيىء لها سلاحا لم يكن قد استقر استعماله عند العرب بالقدرة المطلوبة ، ولذلك انتهزت الدولة البيزنطية كل فرصة تنجو فيها من مضايقات المسلمين فى الشرق حتى تسارع بارسال الاساطيل الى افريقية لمساعدة الروم المدافعين هناك وذلك فى كل مرة تصل السفن البيزنطية الى شمال افريقية كان الروم يستردون أنفاسهم وقواهم ويستعيدون عزمهم على القتال ويعاودون احتلال القرى والمدن على الساحل ، كما أن وصول الاساطيل كان مشجعا للبربر على الانتفاض على الحكم الاسلامى ، واستئناف الصراع وقد استطاع بعض قادة الاساطيل البيزنطية التفاهم مع بربر البرانس وشكلوا خطرا كبيرا على الفتوحات الاسلامية فى افريقية وكثيرا ما كانت هذه الاساطيل تدهم المناطق الساحلية التى كان العرب يقطنون فيها ويحملونهم أسرى الى بيزنطة أو يقضون عليهم ، وليس ببعيد ما حدث مع القائد زهير بن قيس البلوى ، أو ما حدث للمسلمين المقيمين قرب قرطاجنة حينما هاجمهم الاسطول البيزنطى بقيادة يوحنا بعد أن هزم حسان بن النعمان

---

(٩٩) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٣٣ ٠

من الكاهنــة فى حــدود عام ٧٥ هـ ٠ (١٠٠) ٠

رابعـا : اختلاف وجهـات النظـر بين قادة الفتح فى المنطقة :

لا شك أن اتســاع الميـدان الافريقى ، وكثــرة مشــاكله جعـلت وجهـات النظـر تتباين عنـد قادة الفتح الاسلامى للمنطقة وحيث انـه لم تكن هنـاك معرفـة سـابقة بأبعـاد الميـدان الافريقى وسكانه ، على عكس الحال فى المنـاطق القريبة من الجزيرة العربيـة فلـم تكن هنـاك خطة ثابتة ومحددة تسـير عليهـا الفتوحـات - الاسلاميـة ، ولعب الاجتهاد هنـاك دوره الرئيسى فى توجيـه العمليـات ، ففى الوقت الذى رأى بعـض القـادة أن القتـال أو العمليـات العسكرية هى الحل الامثـل ، رأى بعضهم ضرورة اقامة معسكرات ثابتة للمسلمين ، ولجـأ آخرون الى سـياسة اقامة علاقـات مع البربر وكان تباين وجهـات النظـر أحـد عوامـل تغيير السياسة فى المنطقـة ومـا يترتب على ذلـك من تغيير فى الوسائل وخطوات التنفيذ ٠

جانب آخـر من جوانب اختلاف وجهـات النظـر يمكن ارجـاعه الى السيطرة المزدوجـة التى كانت تمارس على الاقليم من قبـل ولاة مصر أو الخلفـاء فى دمشق مباشرة ، ولقـد كانت احدى القضايـا الاسـاسية تتمثـل فى العلاقـة التى تربط بين أراضى افريقيـة والمغـرب وولايـة مصر الاسلامية ، ونرى من دراستنـا لتعيين قادة الفتح فى هـذا الاقليم أن تبعيته كانت تتذبذب ما بين الخضوع للتعليمـات التى تصدر من ولاة مصر ، ومـا بين تلقى هـذه التعليمـات من الخليفـة فى دمشق مباشرة وليس ببعيـد عن الذاكرة موقف مسلمة بن مخلد الانصـارى والى مصر من عقبـة بن نافـع الفهرى ، أو موقف عبد العزيز بن مروان من حسان بن النعمـان ٠

خامسـا : موقف ولاة مصر ٠

ليس من شـك أن ميدان الجهـاد المفتوح فى افريقيـة كـان حافـزا لولاة مصر لفرض سيطرتهم على هـذا الاقليم الجديد كمـا أن ميـدان الجهاد عامة كان مطمحـا لكـل من يسعى ليقـدم جهـده فى سبيـل الله وغايته ،

---

(١٠٠) راجـع فترة حسـان بن النعمـان ٠

ومن هنا حرص ولاة مصر على أن تكون لهم اليد الطولى فى افريقية كما حرصت الخلافة فى دمشق على أن تكون لها هذه الامور • ووقف الخلفاء موقفا أساسيا يجعل من افريقية ولاية مستقلة من ولايات الخلافة ، لكن مرت بعض الفترات الزمنية التى تولى فيها امارة مصر بعض الشخصيات التى لها صلة خاصة بالخليفة بحيث كان الخلفاء فى موقف لا يجدون فيه مناصا من الاستجابة الى رغبات الولاة فى مصر •

ولسنا نستطيع أن نستبق الاحداث أو أن نعلم ما كان يمكن أن تسفر عنه الامور لو لم يتدخل مسلمة بن مخلد ليعزل عقبة بن نافع بعد انتهائه من بنيان القيروان فى سنة ٥٠ هـ • أو لو أن حسان بن نعمان قد بقى واليا على افريقيا بعد انتصاراته الرائعة على الكاهنة من ناحية والروم من ناحية أخرى ؟ •

سادسا : عدم وجود قواعد ثابتة للفتح فى افريقية •

كان الفتح الاسلامى للمنطقة وحتى تأسيس القيروان مجرد محاولات استكشافية أو حملات يمكن أن ندرجها تحت عمليات جس النبض دون أن تهدف الى الاستقرار فى المنطقة ، وربما لم يكن المسلمون قد كونوا فكرة واضحة عن أبعاد المنطقة وسكانها ، ولذلك فاننا نرى عودتهم بعد كل عملية الى الفسطاط فى مصر دون ترك قوات كافية للحفاظ على ما أمكن الاستيلاء عليه من أرض أو مدن ، مما كان يعطى الفرصة ، بمجرد أن تنتهى العمليات ويعود المسلمون من حيث اتوا ، لكى يستعيد الروم والبربر ما سبق لهم أن فقدوه فى معاركهم مع المسلمين •

ولم تتحول سياسة الفتوحات الاسلامية الا بعد بناء القيروان أو التفكير فى اتخاذ قاعدة ثابتة للمسلمين فى المنطقة •

وليس من شك فى أن بناء المدن الاسلامية فى الامصار المفتوحة قد لعب دوره الحاسم ، ليس فقط فى تثبيت أقدام المسلمين فى هذه المناطق ، وانما فى نشر العروبة والاسلام ، واخراج هذه المناطق من بقايا جاهليتها الى عصر جديد فى رحاب الامة الاسلامية • وهكذا كان دور القيروان وتونس ومن بعدهما مدينة فاس فى حياة هذا الاقليم الواسع الامتداد •

ولقد لعبت القيروان دورا أساسيا فى عمليات الفتح الاسلامى ففيها اختطت القبائل بيوتها حول المسجد الكبير ، وأصبحت المدينة كغيرها من العواصم الاسلامية كالفسطاط والكوفة والبصرة ٠

واصبح فرضا عمليا على خليفة المسلمين حماية المسلمين المقيمين فى افريقية والدفاع عن حدودها ، واتاحة الامن والاستقرار لهم لاداء شعائر دينهم ، وتأمين طريقهم الى بيت الله الحرام ، كما اخذ المسلمون هناك ينتشرون بالقرب من مدينتهم ، يدعون الى دينهم ، ويختلطون بسكان المنطقة الاصليين ، مما ساعد على تثبيت اقدامهم هناك ٠

ولذلك نجد أن فكرة اتخاذ قاعدة للمسلمين ، قد وردت عند معاوية بن حديج ، ونفذها بعد ذلك عقبة بن نافع وتابعها كل من جاء بعده من قادة الفتح الاسلامى فى المنطقة ٠

سابعا : طبيعة السكان فى افريقية :

اتفق المؤرخون على أن سكان افريقية كانوا ينقسمون عند اتصال المسلمين بالمنطقة الى ثلاثة أقسام رئيسية وهم :

١ ـ الروم البيزنطيون : وقد كانوا حكام البلاد ، والطبقة العليا وأقاموا فى المدن وعلى السواحل ، وملكوا الارض ، واستغلوا كل امكانيات المنطقة لصالحهم ، وكانوا العنصر المسيطر ، أداة الامبراطورية البيزنطية فى حكمها لهذه المنطقة ٠

٢ ـ الافارقة : واختلف هذا العنصر عن الروم وعن البربر على أساس انهم بقايا العصور السابقة على العهد البيزنطى ومن سكن المدن من الغرباء ، وليس يجمع هذا الخليط أصول دموية واحدة ولا جد أعلى ينتسبون اليه ، وانما تجمعهم هذه الحياة المشتركة وهذا الاستقرار فى الأرض ، وهذا الارتباط فى المعيشة (١٠١) ٠

٣ ـ البربر : وهم سكان هذه المنطقة الاصليون ، ولقد اختلف هؤلاء السكان فى طبيعة حياتهم ونظمهم الاجتماعية فمنهم من تحضر وأقام

---

(١٠١) شكرى فيصل : المرجع المشار اليه صفحة : ١٨٠ ٠

فى المدن أو بالقرب منها ، ومنهم من عاش عيشة البادية بكل ما تتطلبه من بداوة وقسوة الحياة .

ولقد جاءت التسمية بالبربر من قبل الرومان ، ولعلها من اسم صوت جاء من أن البربر يحدثون اصواتا غير مفهومة تغلب عليها الراء والباء حينما يتكلمون أى انهم يبربرون فى أحاديثهم (١٠٢) .

وكعادة المؤرخين العرب فانهم أرجعوا هذه التسمية الى اجداد هذه القبائل ، والتى نسبوها الى أصول عربية . كما أرجعوا البربر عامة الى شخصية عربية أسموها برين قيس الذى خرج من الحجاز واستقر فى بلاد المغرب حتى ليقول أحد شعرائهم :

وشطت ببرداره عن بلادنا
وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية
وما كان بر فى الحجاز بأعجما (١٠٣)

كما أورد بعض المؤرخين تفسيرا لهذه التسمية مرجعة الى الثياب التى كان يرتديها البربر فالبرانس هم الذين يرتدون البرنس ، والبترهم الذين لا يستعملونه (١٠٤) .

وأهم ما نبغى الاشارة اليه هو أن البربر يتشابهون كثيرا مع العرب فى أنماط حياتهم الاجتماعية وفى سماتهم الخلقية تشابها كبيرا فسكان المغرب يميلون الى حب الحرية والخلاء ويجيدون ركوب الخيل والكر والفر ، ويأنفون الضيم وهى سمات تجعلهم يتفانون فى القتال ولقد رأينا كيف أمكنهم استغلال طبيعة بلادهم التى كانوا

---

(١٠٢) مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ١٢ .
(١٠٣) مختار العبادى : المصدر السابق صفحة : ١٤ .
(١٠٤) عبد الحليم عويس « الدكتور » : دراسة فى أجناس الحضارة الاسلامية « البربر » مجلة كلية العلوم العربية - الرياض . العدد (٣) صفحة : ٢٤٦ .

يعرفونهـا معرفـة جيدة فى ايقـاع الهزيمـة بالجيوش الاسلاميـة والانتصار عليهـا ولـم يتمكن المسلمون من اخضـاعهم تمـاما الا حينمـا نجحـوا فى استمالتهم الى الاسلام ، واقنـاعهم بأخوتهم فى العـرق وفى الاصل ٠

وهناك وثيقة تنسـب الى موسى بن نصير ، يشـهد فيهـا ومن معـه من المسلمين بأن البربر انمـا هـم من أصـل عربى ، واخـوة العـرب المسلمين ، ومن ثـم لهم مالهم وعليهم ما عليهم ٠ (١٠٣) ويميـل الى ذلك الاستاذ الدكتور أحمـد مختـار العبادى حيث يقول :

غير أن الامـر الذى لا شك فيـه هو أن المسلمين لـم يتمكنوا من السيطرة على المغـرب الا بعـد أن ابتعدوا عن سياسـة العنف ، وعملوا على اكتسـاب البربر عن طريق نشر الاسـلام بينهم ، وادخالهم فى الجيوش العربيـة كجنود محاربين (١٠٤) ٠

ويرى الدكتور شكرى فيصـل أنـه « حين كان الولاة يحسنون السيرة فى البربر ويأخذونهم باليسر كمـا فعـل أبو المهاجـر كان البربر يقبلون على الاسلام أو يقبلون على نصرة المسلمين فاذا آل الامـر الى لـون من التحدى بين البربر والعـرب كالذى حدث لعقبـة وكسيلة ، غضب البربر لانفسـهم ، وانقلبوا على المسلمين ، وتسـببوا لهم فى مواقف صـعبة كثيرة (١٠٥) ٠

لهـذه العوامـل مجتمعـة ، وغيرهـا كان فتح المسـلمين للمغـرب فتحـا مميزا عن باقى الاقـاليم التى حررهـا المسلمون ولعـل العطـاء من هـذه المنطقة كان أيضـا مختلفـا ، لاننـا نرى أن هـذا الشـعب الذى قاوم المجـاهدين المسلمين كثيرا ، لـم يلبث الا قليـلا حتى يعتنق الاسلام ويحمـل راية الجهـاد الاسلامى ، ويقـدم للمسـلمين وللاسـلام ، نصرا عزيزا غاليـا وذلـك حينمـا عبر زقاق البحـر المتوسـط لاول مرة فى تاريخ

---

(١٠٣) انظر مجلة الوثائق المغربية العدد الاول عام ١٩٧٦ م ص ٢٥ ٠
(١٠٤) العبادى : فى تاريخ المغـرب والاندلس صفحة : ٤٦ – ٤٧ ٠
(١٠٥) شكرى فيصـل : حركـة الفتح الاسلامى صفحة : ١٨٢ – ١٨٣ ٠

الدولة الاسلامية وفتح اقليما أوروبيا هو الاندلس ، فبارك الله شعب المغرب ، ورحم المجاهدين الذين أدخلوه نور الايمان (١٠٦) ٠

الاطلال على الاندلس :

حينما تولى موسى بن نصير أمر افريقية والمغرب ، كان هذا الجزء من العالم قد دان فى معظمه للمسلمين ، وأصبحت المهمة الاساسية للوالى الجديد هى تثبيت أركان الاسلام والعروبة هناك ، والقضاء على الجيوب الخارجية وبدأ يرسل جيوشه وطلائعه الى جنوب المغرب الاقصى وكذلك جعل حاميات ثابتة فى طنجة شمال البلاد محاصرا بذلك مدينة سبتة التى رأى أن لا يتقدم على فتحها مؤقتا ، ومن ثم أشرف المسلمون على مضيق جبل طارق وما خلفه من بلاد الاندلس ، وبدأ الاتصال بحاكم سبتة وبالتالى نسجت الخيوط الاولى لقصة من قصص العظمة والبطولة التى سجلها المسلمون على مدار التاريخ ألا وهى فتح الاندلس ٠

---

(١٠٦) انظر الدراسة القيمة للدكتور عبد الحليم عويس عن البربر كأحد شعوب الحضارة الاسلامية فى المرجع المشار اليه ٠

الفصل الثانى

الاندلس : الارض والتـــاريخ

- جغرافيـــة الاندلس ٠
- الاندلس قبـل العصر الرومانى ٠
- الاندلس فى العصر الرومانى ٠
- القـوط فى الاندلس ٠
- أحوال الاندلس قبيـل الفتح : سياسيا واجتمــاعيــا ٠
- الفتح الاسلامى للاندلس وقضاياه ٠

الاندلس : الارض والتاريخ

جغـرافيـة الاندلس :

تربض القارة الاوربيـة على الشواطىء الشـمالية للبحـر المتوسـط وهو محور التاريخ عبر القرون دون منازع ، وتبرز منهـا داخـل هـذا البحـر وفى أقصى طرفه الغربى شبه جزيرة ضخمة تعـرف باسـم شـبه الجزيرة الايبيرية ، ويشـابهـا فى ذلك شبه الجزيرة الايطاليـة ثم شبه جزيرة البلقـان ، وهـذه الاقاليم الثلاثة تتشـابه مـع بعضهـا فى كونها جميعـا أرضـا اوربيـة ، لكن شبه الجزيرة الايبيريـة تتميز بمجموعـة من الخواص الذاتيـة المستقلة التى جعلت منهـا وحـدة جغرافيـة لهـا سمات خاصـة جعلت بعضـا من المؤرخين والجغرافيين يترددون فى تصنيفها ضمن القـارة الاوربيـة أو ضمن القـارة الافريقيـة فهناك من يرى أن أوربـا تنتهى عند جبـال الاطلس فى أفريقيـة وهنـاك من يـرى أن أفريقيـة تمتد حتى جبال البرتات التى تفصـل بين أسبانيـا وفرنسا (١) . أو « أنها كائن تاريخى مستقل » (٢) فهى تقـع فى أقصى الطرف الغربى لحوض البحـر المتوسـط ، وتحيط الميـاه بـ ٦/٧ من محيطهـا الكلى والباقى هـو الذى يربطهـا فقط بجسـم القـارة الاوربية وفيـه تقوم سلسلة من الجبـال الشـاهقة المعروفـة باسـم جبـال البرتات والتى تعـرف خطـأ باسـم جبال البرانس ، وتفصـل هذه الجبـال بينهـا وبين الارض الكبيرة أو أرض غالة أى أرض فرنسـا الحالية .

وينقسـم السطح فى شبه الجزيرة الى عدد من الاقاليم الطبيعيـة المتباينـة فيمـا بينهمـا تباينـا شديدا ، سواء فى مظاهـر السـطح أو المناخ أو حتى طبائع السـكان وعاداتهم . كمـا أن أرض شبه الجزيـرة تشتمـل على مجموعـة كبيرة من السـلاسـل الجبلية ، والمرتفعـات والاوديـة والمنخفضـات ، ممـا كان لـه أثره الكبير على مجـرى التاريخ هنـاك ، كما

---

(١) Vila, Valentf: La peninsula Iberica, Prologo.

(٢) Vilar, Pierre : Historia de Espana. P. 13

أن هذه التقسيمات يمكن أن تسمح لبعض الجغرافيين والمؤرخين بتناول هذه الاقاليم ، وكأنها أقسام منفصلة عن بعضها ، وكم تحدثت كتب التاريخ عن أسبانيا بصيغة الجمع ، كما أشارت الى الشك فيما يقال عن وحدة هذه المنطقة العضوية ، ويعبر عن هذه الحقيقة كاتب اسبانى فيقول :

« اننا فى الوقت الذى نلاحظ فيه بسهولة الوحدة العضوية لشبه الجزيرة الايبيرية ، نلمح أيضا سلاسل الجبال المتعددة والضاربة فى أنحاء كثيرة منها ، والمخترقة لها من طرف الى آخر ، مما يدفعنا الى التفكير فى مسألة التمزق والتشتت الذى مارسته هذه الجبال داخل شبه الجزيرة على مدى القرون والاجيال » (٣) ٠

تشكل شبه الجزيرة الايبيرية ، رغم ذلك وحدة جغرافية واحدة متكاملة وواضحة ، وان اختلفت عما يجاورها من بيئات شمالا وجنوبا سواء من ناحية التضاريس أو من ناحية تفصيلات المناخ السائد فيها ٠

تقع شبه الجزيرة الايبيرية بين خطى عرض ٣٦ و ٤٤ شمالا وبين خطى ٣ شرق جرينتش و ٩ غرب ، أى أنها تقع فى المنطقة المعتدلة الشمالية ، ويحيط بها المحيط الاطلنطى من الغرب ، ومن الشمال البحر الكانتابرى وجبال البرتات ، أما البحر المتوسط فيحدها من الشرق والجنوب الى أن يتصل بالمحيط عن طريق المضيق المسمى بجبل طارق ٠

والمساحة الاجمالية لشبه الجزيرة الايبيرية ٥٤١ر٦٦٦ كم٢ تحتل منها البرتغال ، التى تقع غرب أسبانيا ٨٨٧٤٠ كم٢ فقط وتشغل أسبانيا باقى المساحة بالاضافة الى بعض الجزر التى تشكل قسما من أسبانيا ، وهى جزر البليار وأرخبيل الكنارى ومساحة هذه الجزر

---

(٣) Saldevila, F : Historia de Espana, III. 1.
انظر تعريف ابن حوقل لجزيرة الاندلس وقوله « جزيرة الاندلس على غرار قولهم « جزيرة العرب » صورة الارض ص ٦٦ ٠ طبعة بيروت ، ١٩٧٩ م ٠

٢٨٦ر١٢ كم٢ (٤) ٠

ويتباين المنـاخ في شبه الجزيرة الايبيرية من منطقـة الى اخـرى وان سادته بصفة عـامة السمات السـائدة فى منطقة البحـر المتوسط ٠

ولقـد أثـر هـذا المنـاخ فى تنوع انتـاجهـا وكذلـك فى طبـاع وأمزجة السـكان بهـا ٠

أما كلمة الاندلس فتعنى كل الاراضى التى خضعت لحكم المسـلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية ودولتيهـا الحاليتين اسبانيـا والبرتغـال ، ولقد كان يشـمل فى بداية الامـر كل أجزاء شبه الجزيرة الايبيريـة تقريبا ، وعندما بدأت الممالك المسيحية فى التشكل وفى توسـيع رقعتهـا بـدأت المسـاحة التى تحمـل اسـم الاندلس فى التناقص تباعا ، وهـكذا فمثلا عند سقوط الخلافة القرطبيـة كان الخط الفاصـل بين الاندلس والممالك المسيحية يمتد من جنوب برشلونة فى خط متعرج باتجـاه الغـرب حتى يلتقى مع المحيط الاطلنطى عند أعالى البرتغـال الحالية تقريبـا أمـا على عهـد المرابطين والموحدين فان أرض الاندلس كانت قـد تناقصـت كثيرا ، وخاصـة فى اقليم الوسـط ، واصبح لقاؤه مع المحيط عنـد نقطـة تقـع الى جنوب البرتغـال الحالى ثـم سقطت الدولة الموحدية وازدادت حركـة الاسترداد شـدة واقتصر تعبير الاندلس على مملكة غرناطـة التى تآكلت قليـلا قليلا حتى سـقطت المدينـة فى أيـدى الملكين الكاثوليكيين فى ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م ٠

اختلفت الآراء فى أصـل تسميـة هذه البلاد بالاندلس ، ويميـل معظم هـذه الآراء الى أنهـا مشتقة من قبائل الوندال التى أقامت بهـذه المنطقـة مـدة من الزمن ٠ وأرجـع بعض المؤرخين المسلمين هـذه التسمية الى « أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليـه السلام » (٥) ٠

---

(٤) Garangex, Ernesto : Nueva Geografia Universal, III. 345.

(٥) النفح ج ١ ص ١٢٥ ، وانظـر حول مصدر هذه التسمية الدراسـة القيمـة للدكتور الطاهـر مكى فى كتابه دراسـات اندلسية ، الصفحات من ٥ الى ٣٤ دار المعـارف ، ١٩٨٠ م ٠

أما تعبير « اندلثيا » الذى تطلقه اسبانيا حاليا على أقاليمها الجنوبية فهو مشتق من كلمة الاندلس ، ويضم حواضر اسبانيا الاسلامية مثل قرطبة وأشبيلية ، وغرناطة والمرية ومالقة وقادش وجيان ، ولكنه لا ينطبق بأى حال على مساحة الاندلس الاصلية ، وان كان هذا الاقليم هو الذى عاش المسلمون بين ربوعه أطول فترة من تاريخهم .

هذا وقد أطنب المؤرخون والجغرافيون المسلمون كثيرا فى تحديد موقع الاندلس ومكانها من معمور الارض ، وما تتميز به من أقاليم وأنهار وبحار وأودية وغيرها ، كما أنهم توسعوا فى وصف خيراتها ومعادنها ومصادرها الاقتصادية (٦) .

ولقد لعبت طبيعة الاندلس دورا هاما فى تاريخ هذه المنطقة واننى أود الاشارة الى ذلك لكى يتبين القارىء الكريم عظمة الجنود المسلمين المجاهدين فى سبيل الله ، الذين تمكنوا من اختراق كل هذه الاقاليم الطبيعية الشاسعة فى أقل من ثلاث سنوات فقط ، بينما كلف ذلك الرومان مثلا أكثر من مائتى عام حتى تمكنوا من السيطرة عليها .

تاريخ الاندلس قبل العصر الرومانى :

تدل الكشوف الاثرية الحفريات على أن أرض شبه الجزيرة الايبيرية (الاندلس) كانت مسرحا للنشاط البشرى منذ عصور باكرة جدا ترجع الى ما قبل انسان نياندرثال **Neanderthal** البدائى .

ومن الشعوب الاولى التى سكنت شبه الجزيرة ووصلتنا عنها بيانات تاريخية حقيقية ، الايبيريون ، وهم أقوام من أصل أفريقى سمر الالوان ذات صفات جسمية تقترب من سمات سكان شمال

---

(٦) انظر فى ذلك المجلد الاول من نفح الطوب اعتبارا من ص ١٢٥ ، وانظر ايضا ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول تحقيق لويس مولينا المجلد الاول . وكتاب وصف الاندلس لابن الشباط الذى نشره الدكتور أحمد مختار العبادى ضمن كتاب تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ولقد نشر الكتاب بالمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٩٧١ م .

(٧) Arranza Velarde, F. : Lecturas de Historia de Espana Y. de la Civilizacion. Espanola. p. 13.

أفريقيــة القوامى ، وأقــام الايبيريون فى جنوب أسبانيــا ومنهــا بــــدأ انتشـــارهم فى اتجاه الوســط والشمال · ومنهم أيضــا السلتيون وهــــم أقوام من ذوى السحنة الشمالية الاوربيــة ولذلك كانت اقامتهم فى شــمال وشمال غــرب اسبانيــا ، ومن هنــاك بدأ انتشــارهم فى اتجــاه الجنوب ، وأصبحت أقاليم وسط شبه الجزيرة الايبيرية بوتقة الانصهار بين الشعبين ليقدما على الاعوام شعبا يقطن هذه المناطق يعرف باسم « الايبروسلتيين » · Celtiberos

وينسب المؤرخون الاغريق للايبيريين تأسيس أول نظــام ادارى أو اقامة الدولة فى هــذه المنطقــة ، كمــا كان لهم بعض الانمــاط الحضارية التى نجد لهــا صدى وان كان ضئيلا فى اللغة الاسبانية الحالية ·

وبدأ سكان هــذه المنطقة الاحتكاك بشعوب الشرق الاكثــر تقدمـــا ورقيــا اعتبارا من الالف الثانية قبل الميــلاد ، وهى الشعوب التى عرفت تاريخيــا باســم « الشعوب البحريــة » وكان تبادل التجارة مــع هــذه الشعوب هو مظهــر هــذا الاحتكاك ، وتشير بعض الدلائــل غير المؤكدة الى أن هــذه الشعوب البحريــة هى التى قامت بتأسيس مستعمرة طرطوسة Tartessa بالقرب من مصب نهــر الوادى الكبير ، ومن أهم هذه الشعوب البحرية التى عرفت المنطقة واحتكت بهــا من عرفوا « بالكريتيين » ·

آلت السيطرة البحرية بعــد ذلك للفينقيين ، سكــان الشواطىء السورية وأصحاب المدن الخالدة هناك مثل صور وصيدا وطرابلس ، وتمكنت هــذه الشعوب من تحويل البحر المتوســط الى بحر فينيقى فى حوالى القـــرن التاسع قبــل الميلاد (٧) · ومن ثــم اتصلوا بشواطىء شبه الجزيـــرة الايبيرية ، وسواحل البحــر المتوســط فى اقليمــه الغربى وتبادلوا التجـــارة مع سكان هــذه المناطق ·

ولقد كان من عادة الفينقيين اقامــة المعسكرات فى المنــاطق التى تروج فيهــا التجارة ، أو الاحتلال العسكرى للبلاد ذات الطبيعــة الخصبة ومن ثم أقاموا مستعمرة قرطاجنة على الشــاطىء الافريقى ، وقرطاجــة فى اسبانيــا ، وتحولت هــذه المستعمرات مع الايــام الى مراكز اداريـــة وعسكرية ذات أهمية كبرى ووصلت قرطاجنة افريقيــة الى مركز الســيادة

على غرب البحر المتوسط بكامله والاستقلال بأمورها ، ولعبت دورا مؤثـــرا في تاريخ المنطقــة يمكن الاطــلاع عليــه في كتب التــاريخ .

وكانت أولى المستعمرات الفينقيــة على أرض شبه جزيرة أيبيريـــا هي قادش Gadir ومالقة Malaka وأشبيلية Hispalia وقرطبة Cardoba ولقد اشتملت هذه المدن على معابد للالهــة الفينقية ، وعلى مستودعـــات لتجارتهم التي تكونت من القماش وبعض الادوات النحاسية والزجاج كمــا نقلوا اليهــا المجوهرات وبعض المشغولات الفنيــة المصرية والآشورية التي اســـتغلت في عقــد تحالفــات او اتفاقيـــات مــع زعمــاء القبـــائل في هذه البلاد .

تمكن الفينيقيون من احتكار التجارة في هــذه المنطقــة لعــدة قـــرون وأقاموا بهــا حضارة مزدهــرة تعتمــد في أصولهــا على العناصر الشرقيـــة المختلفــة ، وخاصــة المظاهــر الحضــاريــة المصريــة القديمــة ، والتي تعلموا منهــا الحروف الابجدية ، والكتابات المقدســة المرتبطــة بالديانات المصريــة القديمــة (٨) .

وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بدأ الاغريق الاهتمام بالملاحـــة والتجارة وأمكنهم الوصول الى شواطىء البحــر المتوسط الغربية وقاموا بتأسيس مستعمرات لهم هنــاك ، واليهم يرجــع الفضل في تأســـــيس مستعمرة « مارسيليــا » جنوب فرنســا الحاليــة ، ونزلوا على السواحل الشرقيــة لشبه الجزيرة الايبيرية ، واتصلوا بالمنــاطق الداخليــة بغــرض التبادل التجاري معهم ، لكنهم دخلوا في صراع عسكري مــع القرطاجنيين انتهى بانتهــاء النفوذ الاغريقي ، وسيادة قرطاجنة ورجالهــا ســيادة تامة على غــرب البحــر المتوسط .

وتتحدث المصادر الاسبانيــة عن ازدهار قرطاجنة ازدهــارا كبيرا في هــذه الفترة ، وبســط سيطرتهــا على اسبانيــا ، وتأسيس المزيــد من المدن الفينيقية وربطهــا بالمستعمرات القديمــة على أرض شبه الجزيرة ، وبذلــك كثفوا وجودهم في الشرق والجنوب ، دون أن يكون لهم وجود مستقر في المنــاطق الوسطى أو الشمالية وخاصــة في الشــمال الغربي .

---

(٨) Ibid, pp. 14-15.

ولشبه الجزيرة الايبيرية مـع قرطاجنة الفينيقين تاريخ بطولى وخاصة اثنـاء حروب القرطاجنيين مـع الرومان ، فيمـا يعـرف بالحروب البونية ، ولا سيمـا حينمـا حاول « هانيبال » عبور أسبانيـا بجيوشـه البريـة ومنهـا الى فرنسـا ثـم شـمال ايطاليـا لكى ينحـدر جنوبـا ويستولى على رومـا ، وتصدت له المدينـة الايبيرية **Sagunto** وضرب أهلهـا مثلا خالدا فى البطولة والدفـاع عن النفس ، حيث فضلوا – حينمـا يئسـوا من المقاومـة – الانتحـار وقتـل أهليهم بأيديهم واحراق مدينتهم بدلا من تسليمهـا (لهانيبـال) الذى لـم يتمكن من دخـول المدينـة الا على جثث رجالهـا وأنقاض منازلهـا ٠

وحفظ الرومان ذلـك لمدينة **Sagunto** ، وبعـد أن تمكنوا من هزيمـة « هانيبال » وتدمير مستعمرة قرطاجنة على الشـاطىء الافريقى ، دخل الرومان اسبانيا بحجة مساعدة بعض المدن الحليفة ، ومن ثم بـدأ العصر الرومانى على أرض الجزيرة (٩) ٠

شبه الجزيرة الايبيرية فى العصر الرومانى :

بدأ تدخل الرومان فى شبه الجزيرة الايبيرية بعـد الحرب البونيـة الثانيـة فى عـام ٢٠٢ م ، وقـد اقتصر فى بداية الامـر على الشواطىء الشرقية التى كان يستقر فيهـا الاغريق والقرطاجنيون ، لكن السكـان الاصليين فى الداخل رفضوا بشـدة هـذا التدخل الرومانى ممـا كلف رومـا مجموعـة من العمليـات العسكرية التى استمرت مـا يقـرب من قرنين من الزمـان حتى أمكن لهـا السيطرة على شبه الجزيرة الايبيرية (١٠) ٠

والاشـارة الى ذلك مهمـة جدا ، لان الفتح الاسلامى للاندلس لـم يستغرق فى الواقـع أكثـر من ثلاث سنوات فقط ، وتلـك قضيـة أثارت تفكير المؤرخين والمحللين ، ووضعت لهـا تعليلات كثيرة متباينـة وسنشـير الى ذلك فى معالجتنـا للفتح الاسلامى للاندلس فى الصفحـات المقبلـة ان شـاء الله تعـالى ٠

---

(٩) Vilar, p. : Historia de Espana, p. 18.

(١٠) Velarde, Arranz: Historia de Espan, p. 28

بدأ الرومان فى التوغل داخل اسبانيـا عن طريق حوض نهـر الابـرو Ibero ولم يترددوا فى القضـاء بقسوة على مقاومـة السكـان فى هـذه المنـاطق حتى اضطرتهم الى تخريب وحرق أكثـر من مائتى مدينـة وقريـة ، وذبح سكانهـا ، أو بيعهم كعبيـد ونفيهم خارج بلادهم (١١) ٠

أما بالنسبة لوسـط أسبانيـا وغربهـا فان التقـدم الرومانى كـان بطيئا جدا ، واستخدمت رومـا فى سبيل اخضـاع هـذه المنطقـة الحملات العسكرية والمعاهدات السياسية ، ومن ثـم قسموا البلاد الى مجموعتين حسب درجة مقاومتهـا للرومان منهـا التى ابدت مقاومـة شـديدة وكـان نصيبها الدمـار الكامـل وتلك التى استسلمت كان لهـا أن تتمتع بشروط المعاهدة الموقعـة ، وان كـان احترام هـذه المعـاهدات قـد خضع باسـتمرار لاهواء القـادة العسكرين ٠ وكان نقضهم لهـذه العهود سببا فى قيـام ثورة قوية تزعمهـا « فرياتو Viriato » الذى اضطر الرومان الى الاعتراف به سيدا على أغلب أجزاء أسبانيـا ، لكن السـناتو الرومانى رفض الاتفاق وعادت الحـرب من جديد وقتـل الرومان « فرياتو » غـدرا وخيانة ٠

اما المقاومـة النادرة المثال التى واجههـا الرومان فى اسبانيـا فتمثلت فى مدينة « نومانثيـا Numancia » التى تمكنت من هزيمـة الرومان عـدة مرات واضطـر الرومان الى ان يعهدوا بقيادتهم الى القـائد « اسيبيون اميليانو » الذى دمـر قرطاجنـة ، وأقـام هـذا القـائد على حصـار المدينة مشيدا مجموعـة من الجدران التى تحرمهـا من أيـة مؤن من الخـارج ٠ وحين استنفد سكان المدينـة كل ما لديهم من وسـائل للحياة حتى اكلوا جثث موتاهم ، وسدت امامهم أبواب الحيـاة وظن الرومان أنهم سيستسلمون أشعل أهل نومانثيـا النـار والقـوا بأنفسـهم فى لهيبهـا على مرآى من الجنود الرومان المتربصين لهم خـارج الاسوار ٠ ولـم تكن مدينـة « قلهرة Calahorra » أقل شجاعة وكبرياء من نومانثيـا ، حينما حاصرهم « بومبى » القائد الرومانى المعـروف وأضطرهم الى أكل جثث موتاهم ، ولما لـم يكن أمامهم مناصـا من الاتسليم ، لـم يتركوا لغازيهم بعـد جثثهم الا ركام مدينتهم المدمـرة ٠

(١١) Ibid., p. 29.

تم للرومان الاستيلاء على باقى أجزاء اسبانيا ، واستسلم سكان شبه الجزيرة للحكم الرومانى ، وبدأوا فى تشرب الحضارة الرومانية حتى اصبحت أسبانيا أولى أقاليم الامبراطورية فى استيعابها لهذه الحضارة ، كما أسس الرومان عددا كبيرا من المدن والمستوطنات التى ساهمت فى تعميق روح الحضارة الرومانية على أرض شبه الجزيرة الايبيرية ٠

أما بالنسبة لانتشار المسيحية فى أسبانيا ، فلقد بدأ مبكرا وتنسب الكتابات الدينية الاسبانية الى القديسين « بابلو Pablo ويعقوب Santiago » القيام بالتبشير والدعوة الى المسيحية فى أسبانيا (١٢) ٠

ومع نهاية القرن الثالث الميلادى ورغم الاضطهاد الرومانى للمسيحيين قامت فى أسبانيا جماعات قوية من النصارى فى ليون وسرقسطة وماردة وأشتوريا ، وتعرض المسيحيون فى اسبانيا للتعذيب ، مثلهم فى ذلك مثل أبناء ملتهم فى جميع أنحاء الامبراطورية وخاصة على عصر الامبراطور ديقلديانوس ، والذى يعرف فى الحوليات الكنسية المسيحية باسم « عصر الشهداء » (١٣) ٠

وتبنت اسبانيا المسيحية الكاثوليكية ، مثلها فى ذلك مثل باقى أنحاء غرب أوربا ، مما جعلها ترتبط مع هذه الاجزاء من ناحية العقيدة ولعب رجال الدين الاسبان دورا هاما فى المجامع الدينية المسكونية وكان الاسقف « هوز يوس » أسقف مدينة قرطبة مستشارا دينيا للامبراطور قسطنطين حين عقده المجمع المسكونى فى مدينة نيقية سنة ٣٣٥ م لكى يبحث مشكلة النصرانية الحادة المتمثلة فى جوهر المسيح بن مريم عليه السلام (١٤) ٠

وسيكون لذلك التعصب المذهبى دوره المؤثر فى تاريخ أسبانيا حتى فى صراعها مع المسلمين خلال القرون التالية ، ويظل ذلك التأثير

---

(١٢) المصدر السابق ص ٣٧ ٠

(١٣) سعيد عاشور : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٢ ٠

(١٤) السيد الباز العرينى « الدكتور » تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٧٣ — ٧٤ ٠

الى بداية العصور الحديثة حينما يصل التعصب الاسبانى الى قمته فلا يسمح لغير الكاثوليكى بالحياة على أرض اسبانيا ، وتقوم الملكة « ايزابيل » الكاثوليكية بطرد اليهود نهائيا من هناك عام ١٤٩٢م (١٥)

كما ان نفس التفكير هو الذى تسبب فى المأساة المحزنة التى تعرض لها المسلمون فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى حينما أجبرهم التعصب الاسبانى الرهيب اما على التنصر أو التعذيب الى درجة القتل أو الاحراق حتى وصل الامر الى طردهم من أرضهم وبلادهم نهائيا فى عام ١٦١٠ م على عهد الملك الاسبانى « فيليب الثالث » ٠

من ناحية اخرى فقد انتشرت فى اسبانيا اللغة اللاتينية ، علاوة على اهتمام الرومان بهذا الاقليم ، فشيدوا هناك الطرق والجسور وقنوات المياه ، وغير ذلك من مظاهر العمران التى ما زال بعضها ماثلا الى يومنا هذا ٠

القوط فى أسبانيا :

شهد القرن الرابع الميلادى هجرات كثيفة للقبائل التى عرفت فى التاريخ باسم برابرة الشمال أو الجرمان حيث اتجهت الى حدود الامبراطورية الرومانية ثم توغلت فيها حين سمح الامبراطور « فالنز » (٣٦٤ — ٣٧٨ م) أن يهبهم مأوى وراء حدود الامبراطورية لكنهم ثاروا بعد ذلك وهزموا جيش الامبراطورية ، وصرعوا الامبراطور فالنز نفسه فى معركة أدرنة ٣٧٨ م (١٦) ٠

حرك هذا الانتصار همم المزيد من الشعوب الجرمانية ودفعها الى غزو الاقاليم الغربية ، وتدمير روما عاصمة الامبراطورية العتيقة أكثر من مرة واستقروا فى انحاء أوربا الغربية ٠ ومن هذه الشعوب كان

---

(١٥) Selva Y Gerion, Narciso de : Los Reyes catolicos Gerona - Espana, 1951. p. 46.

(١٦) انظر الباز العرينى ٠ المصدر السابق ص ٩٠ ، وسعيد عاشور فى المصدر المشار اليه ص ٤٤ ٠

الوندال المعروفون بقسوتهم ونزعتهم التدميرية ، ومن ثم عبرت جموعهم مع جموع أخرى من السويف جبال البرتات Pirineos لكى تقيم فى الاقاليم الشرقية الشمالية ، والجنوبية الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية .

وفى خلال تلك الفترة التى كان يسيطر الوندال فيها على أجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية ، كان القوط الغربيون يقتحمون ايطاليا ويدمرون مدينة روما فى ٤١٠ م بينما أختبأ الامبراطور « هنريوس » فى مدينة رافنا ، ولم يجد الامبراطور مفرا لكى يخرج القوط من روما الا أن يمنحهم منطقة أكيتانيا المعروفة بخصبها ، وهناك بدأت فترة من المسالمة بين القوط الغربيين والامبراطور ودخل القوط الى شبه الجزيرة اطرد مغتصبيها من السويفى والوندال وغيرهم . وعبر الوندال الى شمال افريقية . وفى عهد ملكهم « واليا Walia » والذى حكم من ٤٠٩ — ٤١٦ م ، تمكن القوط من الحصول على حق الاستقرار الدائم فى اقليم أكيتانيا (١٧) .

وعندما توفى واليا خلفه ثيودريك (٤١٩ — ٤٥١ م) حيث تمكن من تثبيت أركان الملكة القوطية وتوسيع رقعتها ، ووصلت دولة القوط فى أسبانيا الى قمة مجدها وعظمتها على عهد « ايورك » (٤٦٥ — ٤٨٤ م) لكن الفرنجة تمكنوا بعد ذلك من هزيمة القوط واخراجهم من جنوب فرنسا واضطرارهم الى الاستقرار نهائيا فى شبه الجزيرة الايبيرية ، ثم جاء الخطر الاكبر من محاولات الامبراطور البيزنطى جستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥) استرداد وحدة الامبراطورية الرومانية ومن ثم القضاء على دولة القوط فى أسبانيا وبالتالى وجه جستنيان جيوشه الى اسبانيا حيث نجحت فى احتلال بعض الاقاليم الشرقية فقط ، ونجا القوط بفضل عدة عوامل خارجية وداخلية ومن ثم عاد لهم استقرارهم السياسى فى المنطقة ، دون الاستقرار الاجتماعى ، والسبب فى ذلك يرجع الى أن القوط كانوا مسيحيين على المذهب الاريوسى بينما

---

(١٧) Velarde, Arranz, F. : Ibid. p. 47.

الشعب فى شبه الجزيرة كمــا سبق القول كان على المذهب الكاثوليكى ومن ثم كــان العــداء الدائــم بين القوط والاسبان ٠

وكان آخــر ملوك القوط الآريوسيين هو الملك ليو فيخيلد Liuvigild (٥٦٧ — ٥٨٦) والذى قاوم الكاثوليكيــة بشدة ، ورغم تحالف الاعــداء من الفرنجة والسويفى والبيزنطيين فانه تمكن من الانتصــار عليهم وتحييــد البيزنطيين والقضــاء على السويفى ودولتهم التى كانت ما زالــت قائمة فى الركن الشمــالى الغربى من شــبه الجزيرة ٠

وبعــد ليو فيخلد حكم ابنه ريكاريدو Recaredo (٥٨٦ — ٦٠١) ووجد أنــه لن يتمكن القوط من العيش فى ســلام مــع الاسبان الا اذا توحدوا فى الديانة ، فتخلى عن عقيدته الاريوسية واعتنق الكاثوليكيــة هو وأهــــل بيتــه وعقــد المجمع المسكونى الثالث فى طليطلة حيث اعلن ذلــك الخبر وبذلك أصبحت الكاثوليكيــة هى الديــانة الرسميــة فى أسبانيا (١٨) ٠

ومنذ ذلك الحين لــم يعــد للبيزنطيين أمــل فى أسبانيــا ، وتمكـــن القوط من طردهم نهائيــا على عصر الامبراطور « هرقل » وتمكن « سوينتيلا suintila » (٦٢١ — ٦٣١) من أن يصبح أول ملك قوطى يســيطر على جميــع أرجــاء شبه الجزيرة (١٩) ٠

أحــوال الاندلس قبــل الفتح الاسلامى :

رغم أن مملكة القوط فى أسبانيــا قــد استمرت زهاء قرنين أو أكثــر من الزمان الا أن عوامــل الضعف كانت كامنة فى نظــام حكمهم ٠ لأنه لـــم يكن للقوط نظــام ثابت لانتقــال السلطــة ، وساد بينهم قانون الحـــكم للاقوى ، فهم على ما يرى أحــد مؤرخى الفرنجــة « اذا لـــم يتوافقوا مــــع

---

(١٨) Velarde, Arranz : Historia de Espaan, p. 55.
وانظــر الدكتور حسين مؤنس : فجــر الاندلس ص ٩ ٠

(١٩) Ib'd. p. 55.

أحـد الملوك قتلوه وأحلوا محله من كـان مناسبا لاهوائهم » (٢٠) ولذلـك كثر القتـل بين ملوكهم ، وحاول رجـال الدين ايجـاد نظـام معلـوم لانتقـال السلطـة ، وعملوا على اجبار الملك القوطى « سيشناندو » (٦٣١ — ٦٣٦) لكى يقبـل بأحـد قوانين مجمـع النبلاء ورجال الدين السـادس فى طليطلة والذى ينص على أنه لا يحق لاحـد ان يتولى الملكة بالقـوة ، ويكـون الملك بنـاء على اختيار وانتخـاب النبلاء ورجـال الدين لـه ، لكن الامور لـم تسر بعـد ذلـك على نفس الطريق ، وحاول الملـك خندشبنت Chindasvinto ان يجعل الحكم وراثيـا فى ابنائـه ممـا فجـر الصراع السياسى بين النبلاء وعند موت ابنـه رجشبنت Recesvinto (٦٥٣ — ٦٧٢ م) ، اختـار النبلاء « وامبـا Wamba » ليكون ملكـا على اسبانيـا خـلال المدة من (٦٢٧ — ٦٨٦ م) وهـو الذى يبدأ بـه مؤرخو اسبانيـا الاسلاميـة الحديث عن القوط فى الاندلس قبـل الاسلام .

كان « وامبا » ملكـا يتمتع بمزايـا عاليـة تؤهله لكى يضع قواعـد الاستقرار فى المملكة القوطيـة ، لكنـه ذهب ضحية احـدى الثورات ، وبدأ الانحلال السريع ينخـر عظام تلك المملكـة الكبيرة ، وأنقـل عن أحـد المؤرخين الاسبان تلك العبارات التى تصور لنـا حقيقـة فسـاد ذلـك النظـام القوطى : لقـد ذهبت سـدى جميـع قرارات المجـامـع الطليطلية والمجامـع التى تضم كبار رجـال الدين والنبلاء وعرفت فى اللغـة الاسبانية باسـم Concilios » (٢١) والتى سنت كثيرا من القوانين ضد نزوات النبلاء والاسرة المالكـة ، ولـم تعـد تجـدى قرارات العقوبات الوقتيـة أو الدائمـة . لقـد استشرى الفسـاد ، واستعصى العلاج ، وكـان محتمـا أن يحل الخراب بالملكـة القوطية » (٢٢) .

---

(٢٠) Velarde: Ibid, p.55

انظر فى الاسـماء ما أورده كتاب « ذكر بلاد الاندلس » لمؤلف مجهـول تحقيق الدكتور مولينـا . طبعة المجلس الاعلى للعلوم بمدريد عام ١٩٨٣ م ج ١ ص ٩٢ .

(٢١) Velarde, Arranzq : Ibid p. 60.

(٢٢) Velarde, Arranza : Ibid. p. 56.

وتولى بعد وامبا حفيده ايخيكا Egica (٦٨٧ — ٧٠١ م)(٢٣) والذى ترك الحكم من بعده لابنه وتيزا Witiza (٧٠١ — ٧٠٩) وتسميه المصادر العربية غيطشة ، فثار عليه النبلاء ومنهم حاكم اقليم تيودمير Theodomir ودوق اقليم بيتيكا الكونت لذريق Rodrigo (٧٠٩ — ٧١١) الذى اصبح ملكا على اسبانيا بعد غيطشة ، ومن ثم وقف فى وجه لذريق أبناء الملك غيطشة واخوته . ويذكر التاريخ لهذا الملك اخوين هما شبرط Sisbert واوباش Oppas وثلاثة من الابناءهم : أخيلا Aquila والموند Almundo وأرطباس Ardobas وبما أنهم لم يكن لديهم القدرة الكافية على مواجهة مغتصب عرش الملك غيطشة فقد دفعهم ذلك الى التماس الوسائل لاسقاطه حتى ولو تطلب ذلك اللجوء الى التماس العون من حاكم اقليم سبتة ورئيس قبائل لوس غومارا Gumara الكونت أوليان Olian او خوليان Julian أو يليان كما تسميه المصادر العربية .

أما الرواية الاسلامية فتتحدث عن الاوضاع فى المملكة القوطية بصورة يقترب بعضها من الحقائق التاريخية ، والبعض الآخر يبتعد عنها كثيرا ، حيث يذكر صاحب « كتاب ذكر بلاد الاندلس » أن عدد ملوك القوط بطليطلة سبعة وثلاثين ملكا ، وان الذين ملكوا منهم بالاندلس تسعة املاك خاصة ، يجعل منهم الملك غيطشة ، والملك التاسع لذريق ولما مات غيطشة وثب لذريق على ملك الاندلس بعده ، ولم يكن لذريق من أهل بيت الملك ، وانما كان من عمال الملك ، كان عاملا على قرطبة فلما مات الملك وثب لذريق على الملك فملك جميع بلاد الاندلس واستوثق له ملكها ، وكان ملكه بها سنة واحدة وثمانية اشهر ، وعليه دخل طارق وجيوش المسلمين الاندلس فى أوان فتحها وذلك فى رمضان المعظم سنة ٩١ للهجرة (٢٤) .

---

(٢٣) تسمية بعض المصادر العربية الاندلسية « ايقة » انظر ذكر ذكر بلاد الاندلس المشار اليه ص ٩٣ .

(٢٤) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس تحقيق لويس مولينا ج ١ ص ٩١ — ٩٣ .

اما ابن عذارى فيقول : « ودخل القوط الاندلس ، وقطع الله ملك رومـا منهـا ، وعدة ملوك القوطيين ستة عشر ملكـا ، آخرهم لذريق ، الذى دخل عليـه المسلمون وجعلوا دار ملكهم طليطلة . ووجدت فى بعض كتب العجم أن آخـر ملوك الاندلس كان يسمى « وخشندش » ... وقالـوا أن لذريق وثب على وخشندش هذا وقتله ، وغلب على ملك الاندلس ودانت له طليطلة وغيرهـا (٢٥) . ويجعلهم ابن حيان ستة وثلاثين ملكـا منـذ عهـد « اتاناونيوس » الى عهـد لذريق آخرهم ، ويجعـل مـدة حكمهم للاندلس ثلاثمائة واثنتان واربعون سنة (٢٦) .

من هذا يتبين لنـا ان النظـام السياسى فى المملكـة القوطيـة وخاصة فى عصورها الاخيرة كان احد اسباب عدم الاستقرار ومبعثا للقلاقل والثورات والخروج على سلطة العاصمة طليطلة ، وتلك ظاهـرة ضربت بأطنابهـا فى شـعوب شبه الجزيرة الايبيرية ، ونرى لهـا مظاهرهـا الدائمـة فى كل عصر من عصورهـا ، بمـا فى ذلك العصور الاسلاميـة ، والتى تشـغل فيها اخبار الثورات والتمرد على الحكـام حيزا واسـعا من التـاريخ ولنلق نظرة سريعة على بعض جوانب الحياة الاخـرى فى الاندلس قبـل الفتح الاسلامى .

الاحوال الاجتمـاعية :

عاش القوط فى بداية عهـدهم سـادة على المجتمـع الاسبانى ورفضوا السعى للاندماج مـع طبقاته ، بـل وصل الامر مـع بعض ملوكهم الى وضع مجموعة من القوانين عرفت باسـم لوائح « الملكين أيوريكو والاريك الثانى » حرمت تحريمـا قاطعـا الزواج بين القوط واللاتين وتجعل الموت عقوبـة لمثـل هـذا التصرف (٢٧) . ثـم مـع مرور الاعـوام الغى الملك رجشبنت هذه القوانين ، وبالتالى بدأ نوع من التقارب بين الشعبين ، وخاصـة عندما اعتنق القوط المسيحيـة الكاثوليكيـة ، ومـع ذلـك بقيت الفروق العرقية

---

(٢٥) ابن عذارى : البيـان المغـرب ج ٢ ص ٢ — ٣ .

(٢٦) المقـرى : نفح الطيب ، ج ١ ص ١٣٩ . طبعة احسان عباس ببيروت ١٩٦٨ .

(٢٧) Velarde, : Ibid. p 61-62.

بين القوط والاسبان على عكس ما يـرى الدكتور حسين مؤنس من أن القوط تحولوا الى اسبان فى وقت قصير ، فى حين لـم يصبح العـرب اسبانـــا الا بعـد فترة طويلة (٢٨) · وانقسـم المجتمـع الاسبانى نتيجـة لذلـــك الى عـدة طبقات اجتماعية متميزة ·

الاحرار : وعلى رأس هذه الطبقـة تربع النبلاء من الحكـام القوط وكبار ملاك الارضى ، وكانت لهم المناصب الرئيسية فى الدولة والمراكـــز الرفيعـة فى البلاط الملكى ، والى جانب هؤلاء كانت بقايـا الارستقراطية الاسبانية الرومانيـة القديمـة من اعضـاء مجالس الشيوخ ومجالس المدن ، وأصحاب الاموال ، امـا صغار الملاك ، والاحرار العاديون فلقـد شكلوا طبقـــة اقـل داخل اطـار الاحرار ، وكان عليهم الاشتراك فى الحـرب باعتبارهم مواطنين احرارا ، ومن حقهم فقط أداء الشـهادة أمـام الحـاكم ، دون التمتـــع بباقى المزايـا التى كانت لكبار النبلاء والاقطاعيين ·

طبقـة رجال الدين : كانت اسبانيـا من البلاد التى تلقت المسيحية مبكرا ومن ثـم بدأ التنظيم الكنسى يأخـذ أهميته وقيمته فى حيـاة النـاس ، حتى أصبح لرجـال الدين مكانة فى نفوس الشعب تقارب مكانة الحكـام ان لـم ترتفـع عليهـا ·

ولقد كان الاسبان متدينين بطبيعتهم ، وساعد ذلـك عـلى ارتقاء مكـانة رجال الكهنوت فى المجتمـع ، واستطاعوا ان يوجهوا القوانين والنظم وان يصوغوا الحيـاة العقليـة والاجتماعيـة وفقـا لمثـل الكنيسـة وغاياتها ثـم استغلوا هذا النفوذ فى احراز الضياع وتكديس الثروات واقتنـــاء الزراع والارقـاء (٢٩) ·

كذلك كان لرجال الدين نفوذ سياسى الى جانب نفوذهم الروحى اذ كان عليهم ان يباركوا الملك الجديد بعـد انتخابه ، وهـــذا يدلنـــا ضمنا على اشتراكهم فى انتخـاب الملك ، كذلـك كانت ممتلكـاتهم العقاريـة

---

(٢٨) حسين مؤنس : فجـر الاندلس ، ص ٨ ·
(٢٩) محمـد عبد الله عنان · دولة الاسلام فى الاندلس ، ج ١ ص ٣٠ ·

معفــاة من الضرائب مثــل بقيــة النبلاء تماما (٣٠) أ .

الطبقة الوسطى : وهى جزء من طبقة الاحرار واشتملت على التجار ومتوسطى ملاك الارضى ، ورجــال الكهنوت من المسئولين عن المدن الصغرى ولقــد اثقــل كاهل هذه الطبقـــة بالضرائب وتعرضت لضغوط كثيرة من قبــل النبلاء واصحاب الاقطــاع ، ووصلت فى حياتهــا فى الفترة الاخيرة من العصر القوطى الى اوضـــاع سيئة ، وظروف معيشـــــة غير مناسبة .

طبقة الموالى : نتيجــة لسوء الاوضـــاع الاقتصـــاديــة فى اسبانيا وما ســـاد البلد من اضطرابات سياسية ، وعجز الحكومــة القوطيــة عن توفير الامن للرعايا ، فلقــد اضطــر كثيرون من المواطنين الاحرار الى الانتماء لبعض كبــار النبلاء ، بحيث تحولوا الى موالى لهؤلاء الســـادة فى مقابل أن يؤمنوا لهم نوعــا من الحياة الآمنة ، وتقــع على كاهـــل هؤلاء خدمـــة سادتهم خــلال فترات السلام والحــرب الى جانبهم اذا كــان عليهم الاشتراك فى المعارك ، ولنفس الاسباب قــام بعض صغار الملاك بالتنازل عن أملاكهم ودخلوا فى خدمة أحد السادة النبلاء مما زاد فى اقطاعيــات كبــار القـــوم ، واختفــاء صغار الملاك تدريجيــا . وينتسب ايضـــا لطبقــة الموالى ابنــــاء الطبقــات التى لا تتمتع بحريتهــا كاملة ، وانمــا خضعت لشروط تقديم بعض المســاعدات والخدمات لســادتهم القدامى .

طبقة العبيــد : كان العبيــد دائمــا القطيع الانسانى للســـادة النبلاء وكبار الاقطاعيين ، وطبقـــة الاحرار عامــة . وعمــل هؤلاء فى الخدمــة فى المنازل والمزارع ، وحرموا من الحركــة خارج مزارعهم ، وطوردوا فى كــل مكــان ، حتى سنت القوانين بعقــاب كل اهـــل قريـــة لا يتمكنـــون من القبض على عبد هارب ، وارتبطت حيــاة العبيــد بظــروف ســـــــادتهم الاقتصــاديـــة وكانت اعدادهم كثيرة جــدا ، وشكلوا قاعــدة انســـانيـــة عريضــة لكنهــا مهضومـــة الجانب تباع وتشترى مــع الارض ، ويملك الســـادة عليهــا كل الحقوق بمــا فيها حــق قتلهم أو ايذائهم فى ابدانهم (٣٠)

---

(٣٠) أ العبادى . فى تاريخ المغــرب والاندلس ص ٥٠ .

(٣٠) Velarde Arranza : Ibid. p. 62-63.

طبقة اليهود : شكل اليهود طبقة كبيرة العدد في المجتمع الاسبانى على عصر القوط لكنها كانت طبقة مكروهة من الحكام والنبلاء وعامة الشعب أيضا ، وذلك للطباع السيئة التى جبل عليها اليهود وقيامهم باستغلال كل الظروف لصالحهم ، وحيث انهم بطبيعتهم يميلون الى العمل فى المتاجرة بالاموال وأكل الربا فقد كثرت فى يدهم الثروات وصاروا مطمحا للسادة النبلاء يصبون عليهم جام غضبهم ويستولون على ما لديهم من ثروات ٠

وحينما اشتد نفوذ الكنيسة فى اسبانيا وجهت جهودها لتنصير اليهود مستخدمة فى ذلك وسائل القهر والشدة ، ومن ثم صار اضطهاد اليهود سياسة ثابتة لكل طبقات الشعب الاسبانى ، حكامه ومحكوميه وفى عصر الملك سيزيبوت فرض التنصر على اليهود أو النفى او المصادرة فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء سنة ٦١٦ م ، ثم توالت عليهم بعد ذلك صنوف الاضطهاد والمحن ، فركنوا الى التآمر وتدبير الثورة وتفاهموا مع اخوانهم يهود المغرب على المؤازرة والمعاونة ٠ ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ م) (٣١) مما دفع الحكومة والكنيسة الى المغالاة فى القسوة والعنف مع اليهود حتى ان مجمع طليطلة الذى عقد فى عام ٦٩٤ ، قد خصص جلساته لفرض العقوبات على اليهود ، وقد اصدر المراسيم القاسية التى تنص على نزع املاك اليهود ومصادرتها وعلى فصل ابنائهم عنهم وتعميدهم قسرا مما زاد من الهوة التى تباعد بين اليهود والدولة القوطية فى اسبانيا ، واذا كان الدكتور حسين مؤنس ينفى وجود دليل على الصلات بين يهود اسبانيا ويهود المغرب الا انه يؤكد انهم لاقوا عسفا بالغا متصلا ، وان الفتح العربى (الاسلامى) لو لم يكن قد ادركهم ، وابقى على من ابقى عليه من ظلم القوط منهم لما بقى لهم فى شبه الجزيرة اثر (٣٢) ٠

---

(٣١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس جـ ١ ص ٣٠ ، وانظر ايضا مختار العبادى ٠ فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٠ — ٥١٠
(٣٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤ ٠

تلك كانت الصورة التى كانت عليهـا اسبانيـا قبل الاسلام (٣٣) ، ومع مـا بهـا من سوء فليس فى وسعنا ان ننكـر انه كـان لاسبانيـــا القوطية بعض مظاهـر التقـدم الحضارى والفكرى والثقافى ، وانهـا لـم تكن بالصورة التى يصورهـا بعض المؤرخين الاسبان أو الكتـاب المسلمين ، والذين لا يرون فى هـذه الفترة الا ظلاما دامسـا أو خرابـا لا يمكن عمرانـه وظلمـا يدفـع بالحياة الى هوة سحيقة ، وانمـا أرى ان اسبانيـا خـلال هـذه الحقبة قـد شهدت درجـة من التطور الثقافى لا بأس بـه ، وقـد ظهرت بهـا شخصيـات علميـة كبيرة مثـل « ايزيدورو الاشبيلى » الذى كتب مـا يمكن ان نطلق عليـه اليـوم دائرة معارف تضم كل العلوم المعروفـة على عهـده . ويقـول الدكتور حسين مؤنس : « ونستطيـع ان نذكر الى جانب ايزيدورو عددا عظيمـا من القساوسـة والرهبان الذين تركوا مؤلفـات شتى » (٣٤) بينمـا تكثـر الابحـاث والدراسـات الاسبانية يوما بعـد يـوم وتلقى مزيدا من الضـوء على المسـتوى الثقـافى لاسبانيـا قبل الاسلام (٣٥) .

فى ذلـك الوقت كان بر العدوة المواجه لشـبه الجزيرة قـد بدأ يستظل بروح الاسلام ، وينعم بتغيير اساسى فى كل مجالات الحياة ، وكان موسى ابن نصير قائـد المسلمين فى هـذه المنطقـة قـد بدأ يستقـر تمـاما وأقبلت جموع السكان من اهـل البلاد على الدين الاسلامى زرافات ووحدانـا ، ويتطلعون الى الجهـاد فى سبيله ونشره ، وكان ارادة اللـه شـاءت ان تقـدم للبشرية دليـلا قويـا على حيوية هـذا الدين وعالميته ، فالشـعب الذى قاوم بشـدة لا مثيـل لهـا الفاتحين المسلمين يمتلىء حماسـا لحمل هـذا الدين الى ما جاوره من الشـعوب .

---

(٣٣) لمزيـد من الاطلاع على احوال اسبانيـا قبل الاسلام انظـر عنـان . دولة الاسلام فى الاندلس ج ١ الصفحات ٢٧ - ٣٧ ، وحسين مؤنس : فجـر الاندلس الصفحـات ٢ - ٣١ ، والسيد عبد العزيز سـالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، الصفحـات ٥١ - ٦٥ ، وغيرهم من المؤرخين الاندلسـيين .

(٣٤) حسين مؤنس : فجـر الاندلس ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣٥) انظـر فى ذلك الغالبيـة العظمى من كتب التاريخ الاسبانى ، والتى كتبهـا مؤلفـون اسبان ، وخاصـة الحديثة منهـا .

لم يكن باقيـا من شمـال الارض الافريقية خارج سلطان المسلمين الا مدينـة سبتة ، والتى استطاعت اعتمادا على مناعتهـا وبراعـة حاكمها « الكونت خوليـان » ان تصمد فى وجه المسلمين (٣٦) ٠ ولا شـك ان موسى ابن نصير كان يسعى للاستيلاء على هـذه المدينـة ، ولعـل هـذا سـبب حشـده لجزء من قواته فى طنجة ، المدينـة القريبة من سبتة وجعـل عليها ابنـه مروان قائـدا ومعه طـارق زيـاد حسـب بعض الروايـات (٣٧) ٠ أو انـه جعـل والى هـذه القوات مباشرة طارق بن زيـاد حسب روايـات أخرى (٣٨) ٠ وبذلك استقـر المسلمون على بعـد قليـل جدا ، على مرآى البصر من شاطىء الاندلس ، واصبحت سبتة بالضرورة وما يقابلهـا من الشاطىء الآخر ، شاطىء الاندلس ٠ هما ميداننـا الجهـاد الجديد الذى يداعب خيـال المسلمين المتعطشـين الى نشر كلمـة الله سبحانه وتعالى ٠ ولـم يطل الوقت كثيرا حتى كـان المسلمون يسجلون على صفحـات التـاريخ حدثا خالدا ، بـل أحـد أحداث التـاريخ التى لن تمحى مـا شـاء اللـه لهـذا الكون البقـاء ، وأقصـد بذلك افتتـاح الاندلس ٠

---

(٣٦) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٠ ط ٠ احسـان عباس ببيروت ١٩٦٨ ٠

(٣٧) الحميدى : جذوة المقتبس طبعة القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣ ــ ٤ ٠

(٣٨) د ٠ حسين مؤنس : روايـة جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة المعهـد المصرى للدراسـات الاسلاميـة بمدريـد ، العدد ١٨ (١٩٧٧) ص ١٠٠ ــ ١٠٥ وهى النصوص التى نقلهـا عن الكتـاب المنسوب لابـن الرقيق ٠

قائمـة بأسـماء ملوك القوط الغربيـين وفترات حكمهم منـذ اتحادهم ضد الامبراطورية الرومانية فى نهاية القرن الرابع الميلادى ، وحتى سقوط دولتهم على أيدى المسلمين سنة ٧١١ م

ALARICO	— 410	آلاريكـو
ATAULFO	410 — 415	أطـاولـف
SIGERICO	415 — 418	سيجريكـو
TEODOREDO	418 — 451	تيـودريـدو
TURISMUNDO	451 — 453	توريسموندو
TEODIRICO 1	453 — 466	تيودريكو الاول
EURICO	466 — 484	ايوريكو : أيورك
ALARICO, II	484 — 507	ألاريكـو الثانى
AMALARICO	507 — 531	أما لاريكـو
TEUDIS	531 — 547	تيـوديس
TEUDISELO	548 — 549	تيوديسـلو
AGILA	549 — 554	أخيـلا
ATANGILDO	554 — 567	أتنخيـلدو
LEUVA, I	567 — 572	لويفـا الاول
LEOVIGILDO	567 — 586	ليوفيخيلاو
RECARIDO	586 — 601	ريكاريـدو
LIUVA, II	601 — 603	لويفـا الثانى
VITERICO	603 — 609	فيتريكـو
GUNDEMARO	609 — 612	جوندمـارو
SISEBUTO	612 — 621	سيسبوتو : ششبوط

تابـــع : قائمـــة بأســـماء القـــوط الغربيين

SUINTILA	621 — 631	سوينتيلا : شـنتلـه
SISENANDO	631 — 636	سيسناندو : ششنند
CHINTILA	636 — 640	شينتيلا
TULGA	640 — 642	تولجـا : تلغـــة
CHINDASVINTO	642 — 653	شيندسفينتو : خندشبنت
RECESVINTO	653 — 672	ريتيسفينتو : رجشبنت
WAMBA	672 — 681	وامبـــــا
ERVIGIO	681 — 687	ارفيخيـــــو
EGICA	687 — 701	ايخيكـــا : ايقـــة
WITIZA	701 —709	وتيزا : غيطشـــة
RODRIGO	709 — 711	رودريـــك : لذريـــــق

Vease : Marques de Lozaya :

Historia de Espania, 1: 196.

Edicion . Salvat, Barcelona-Espana. 1968.

* Arranz Velarde :

Historia de Espana Y de laCivilizacion Espanola, pp. 48-57.

*Villa — Real : Historia Critica de Espana, pp. 131-156. Granada, Espana, 1899.

وانظر ايضـــا كتاب بلاد الاندلس ، تحقيق لويس مولينا ، الصفحات ٩٢ — ٩٣ .

الميزمن اصل المصدر

الفتح الاسلامى للاندلس

يعلم الملمون بحقائق التاريخ ، ان الدين الاسلامى قد استطاع فى فترة قصيرة جدا ، لاتتجاوز القرن الواحد ان يرفرف ويهيمن على مساحات واسعة من الارض المعروفة فى ذلك الوقت ٠ استطاع المسلمون ان يفتحوا فى هذه المدة الزمنية بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا والاندلس وأجزاء واسعة من أرض غالة ، وغالبية جزر البحر المتوسط وكذلك العراق وفارس وأجزاء واسعة من آسيا الصغرى وأرمينية وبلاد ما وراء النهر حتى وصلوا الى حدود الصين شرقا ٠ ولم تسقط هذه البلاد ثمرة ناضجة فى ايدى المسلمين ، وانما بذلوا فى سبيل استخلاصها من الشرك والطغيان دماءهم واموالهم ، وخاضوا معارك باسلة وحروبا بطولية حتى تمكنوا ان يخرجوا هذه البلاد من عبادة العباد الى عبادة الله سبحانه وتعالى (٣٩) ٠

ولقد تابع المؤرخون المسلمون هذه الفتوحات متابعة دقيقة وسجلوا عنها كل كبيرة وصغيرة ، ولم تفتهم شاردة أو واردة الا دونوها وعلقوا عليها ، وحددوا بالارقام والتواريخ خطوات الفاتحين المسلمين واخبارهم فى كثير من الوضوح والتفصيل (٤٠) ٠

وكان نصيب فتح المسلمين للاندلس من هذه التآليف كبيرا نسبيا حيث اشار اليه المؤرخون المسلمون المشرقيون بالاضافة الى المؤرخين المسلمين فى غرب العالم الاسلامى ، حتى قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله : « وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح ، والخبر ما افاء الله من الخير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد لطارق ابن زياد مملول قصاص وأوراق ، وحديث افول واشراق ، وارعاد وابراق

---

(٣٩) انظر فى ذلك الدكتور أحمد الشريف : دراسات فى الـ[illegible] الاسلامية الباب الخاص بأغراض الجهاد فى الاسلام وامتداد [illegible] الاسلامية عالميا ، ص ١٩٠ وما بعدها ٠

(٤٠) انظر مثلا كتاب فتوح الشام للواقدى أو فتوح مصر والـ[illegible] والاندلس لابن عبد الحكم ، أو كتاب الطبرى وابن الاثير وابن خلدون

وعظم امتشــاش ، وآلة معلقــة فى دكــان قشــاش » (٤١) ٠

ومع ذلــك فان الفتح الاسلامى للاندلس ، مــازال وسيظل مجــالا مفتوحا للبحث التاريخى ، وموضعــا للجــدل والنقاش بين المؤرخين بصـــورة أكبر من أى قضية من قضايــا الفتح الاسلامى الاخرى ، ومــع عــدم الاغراق فى التفاصيــل والتشعب فى الآراء فاننى سأقتصر على ذكــر أهم هـــذه النقاط محيلا القارىء الكريم المتطلع للتعمق فى هــذه الامــور الى المصــــــادر التاريخيــة التى تستطيع ان تبــل صداه وشغفه بالمعرفــة والاطلاع (٤٢) ٠

أولا : دوافــع المسلمين وأسباب قيامهم بفتح الاندلس :

كانت الدوافــع التى حــدت بالمسلمين الى عبور مضيق هرقـــل « جبل طارق فيمــا بعــد » واحــدة من النقــاط الاساسية التى تباينت حولهـــا آراء المؤرخين ، فهنــاك من يرى ان « بدأت انظار طــارق تتطلع الى ميدان جديد يشغل فيه هــذه القوى العظيمــة التى كانت تحت يــده ، وقــد كــان موسى بن نصير يشغل قواه قبل ذلك فى مغازاة القبــائل البربريــة واجتياح أرضهــا ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ويبدو ان من معــه من الجنــد بدأوا يلفتــون نظره نحــو الاندلس ، ومــا هى عليــه من ضعف ، ومــا تضمه من عيون الثروة » (٤٣) وحيث ان طارقــا كان يتربص بمدينــة سبتة ، ويراقب حاكمهــا مراقبــة دائمــة بغرض التعــرف على مناحى الضعف فى هــذه المدينة التى صمدت أمــام المسلمين ، وفى تلك الظروف يتلقى المسلمون دعـــوة للعبور الى الاندلس وجاءت الدعوة فى وقت كانت افكــار المســلمين وميولهم مهيأة لقبولها والعمــل على تنفيذهــا ٠

---

(٤١) المقــرى : نفــح الطيب ، ج ١ ص ٢٣٠ ٠

(٤٢) انظــر فى ذلــك : د ٠ حسين مؤنس ٠ فجر الاندلس ٠ ورواية جديدة عن فتح الاندلس ، العدد ١٨ ، من مجلة المعهد المصرى للدراسات بمدريد ١٩٧٨ ، د ٠ عبد الرحمن على الحجى ٠ التاريخ الاندلس ، د ٠ أحمــد مختــار العبادى فى تاريخ المغــرب والاندلس ، د ٠ ســـيد عبد العزيز سالم ٠ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، د ٠ محمد عبد الحميــد عيسى : فتح الاندلس : رواية متجددة ، مجلة اوراق ، العــدد الخامس ، مدريــد ١٩٨٣ ، محمــد عبد الله عنان ٠ دولــة الاسلام فى الاندلس ، المجلد الاول ٠

(٤٣) حسين مؤنس : فجــر الاندلس ٠ ص ٥٢ ٠

وفريق آخر من المؤرخين يميل الى قصر دوافع المسلمين وتحركهم الى الاندلس ، الى نجاح محاولات حاكم مدينة سبتة فى اقناع المسلمين فى الدخول الى الاندلس وذلك لاعتبارات شخصية وفى بعض الاحيان سياسية (٤٤) . وعلى الرغم من ان شخصية هذا الرجل واسباب اقدامه على دعوة المسلمين لدخول الاندلس ، ودوره فى هذه القضية كان موضعا للجدل بين المؤرخين وانه سيظل كذلك ، فان جميع مصادرنا القديمة والحديثة لا تنكر اطلاقا دوره الحاسم والكبير فى فتح الاندلس (٤٥) .

أما الاسباب الحقيقية التى لم تغفلها الدراسات الحديثة فترجع قيام المسلمين بفتح الاندلس الى طبيعة حركة الجهاد الاسلامى والتى لا تعرف حدودا فى توقفها عن نشر رسالة الاسلام وايصالها الى الناس فى أى مكان ، ولقد وصل المسلمون الى شواطىء شمال افريقية واطلوا على المياه التى سمعت صيحة شهيد المسلمين عقبة بن نافع وهو يقول : « والله لو اعلم ان خلف هذا البحر ارضا لغزوتها حتى ابلغ أرض ذى القرنين (٤٦) . ولم يكن امام المسلمين الا طريقان ، اما الى الجنوب حيث الصحراء وقبائل البربر . واما الى الشمال حيث أرض الاندلس ، ولم يغفلوا ايا من المجالين ، فاتجه أبناء موسى نصير الى القبائل الضاربة فى الجنوب فى الوقت الذى رابط فيه طارق بقواته على الشاطىء متربصا بسبتة ، ومراقبا للجانب الآخر من المضيق .

ووضع قادة المسلمين الخطط العملية والسليمة لنشر الاسلام فى الاندلس ، على مثل عادتهم قبل اقدامهم على مثل هذه المشروعات الكبيرة فكما كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص (رضى الله عنه) نتيجة لخطة موضوعة اقرها الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) مع

---

(٤٤) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا . ص ٦٧ .

(٤٥) انظر كتابات المؤرخين المحدثين عن بليان عند محمد عبد الله عنان دولة الاسلام فى الاندلس ج ١ ص ٣٨ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٦٦ وما بعدها ، حسين مؤنس . فجر الاندلس ص ٥٢ وما بعدها ، ابراهيم بيضون . الدولة العربية فى اسبانيا ص ٦٧ وما بعدها .

(٤٦) ابن عذارى : البيان المغرب . ج ١ ص ٣٧ .

كبار قواده فى اجتماع الجابية فى الجولان جنوبى دمشق سنة ١٨ هـ ٠ كذلك كان فتح المسلمين لاسبانيا نتيجة لخطة موضوعة ايضا اقرها الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق بالاتفاق مع قائده موسى بن نصير (٤٧) ٠

واذا كان اتجاه المسلمين الى فتح الاندلس اتجاها طبيعيا املته طبيعة حركة الجهاد وتطورها ، فليس هناك ايضا ما يمنع من قبول استفادة هذا الاتجاه من الظروف المناسبة التى قد تعرض له ، لان العقلية الاسلامية عقلية ذكية متحررة ، تستطيع ان تستفيد من كل الظروف المناسبة ، ولا شك ان قادة المسلمين فى هذه الفترة كانوا ممن صقلتهم الخبرة ، وطول الاحتكاك وتميزوا بروح وثابة مرنة استطاعت ان تقود المسلمين من نصر الى نصر دون ان تعرضهم للخطر ما امكن ولذلك لا يستبعد من هؤلاء القادة الاستفادة الى اقصى درجة من اية ظروف أو مستجدات يمكنها مساعدة المسلمين فى خططهم واذا كان يوليان قد ظهر فى هذه الفترة يعرض خدماته على المسلمين واذا كانت حماسة المسلمين الجدد من البربر عاملا مساعدا فمرحبا بهذا وذلك من اجل تحقيق الفكرة ، ومن أجل تحقيق هدف سام لكل مجاهد فى سبيل الله الا وهو نشر راية الله سبحانه وتعالى على ربوع ارض جديدة ٠

شخصية خوليان : من الشخصيات التى يوليها المؤرخون المهتمون بالفتح الاسلامى ، حاكم اقليم سبتة ، واسمه « خوليان » أو جوليان عند الذين ترجموا من الفرنسية والانجليزية ، أو يليان كما اسمته المصادر التاريخية العربية (٤٨) ٠

واختلف الناس حول كنه هذه الشخصية اختلافا بينا حتى وصل الامر ببعض المؤرخين الاسبان الى محاولة انكار وجودها كلية ، وان الامر لا يعدو ان يكون شطحات ادبية ، أو انه شخصية اسطورية خلقها خيال العرب (٤٩) ٠ لكن الدراسات الحديثة تجمع على وجوده ، وعلى كونه حاكما لمدينة سبتة وما جاورها ٠

---

(٤٧) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٤ ٠
(٤٨) ابن عذارى : البيان المغرب ٠ ج ١ ص ٣٦ ٠
(٤٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس ٠ ص ٥٣ ٠

ويشير ابن عذارى عنـد حديثه عن حملة عقبة بن نافـع رحمـه الله التى وصـل فيهـا الى احواز طنجة بأنه « كان بهـا ملك اسـمه يليـان يملك منهـا الى سـاحل المجاز بسبتة ، وكان من اشراف الروم واعاظمهم وذوى العقـل والدهاء فيهم ، فلمـا قاربه — أى عقبـة — وجـه اليه ارساله مستعطفا ومستلطفا ، وبعث لـه هدية عظيمـة ، وسأل منه المسـالمة واز ينزل على حكمـه ، فقبل منـه واجتمـع به وسأله عن الاندلس فعظم عليـه أمرهـا واقنعه بأن يتجه الى حـرب قبائل البربر من المصـامدة (٥٠) ٠ وهـذه هى المرة الاولى التى تظهـر فيهـا شخصية خوليـان على مسرح التـاريخ ، ثـم يعود الى الظهور بعـد ذلك مجالدا لموسى بن نصير ، ومدافعـا بشـدة عن مدينـة سبتة حى اضطر موسى بن نصير الى الكف عن قتـاله والتحول الى مدينـة طنجة مكتفيـا بارسـال السرايـا تجتث مـا حولهـم بالمغـاورة (٥١) ٠ ولقد اثار هـذا تساؤلا عمـا اذا كان خوليـان الـذى التقى بعقبة بن نافـع فى حدود سنة ٦٣ أو ٦٤ هـ هـو نفسـه الذى التقى مـع موسى بن نصير فى حدود عـام ٩٠ هـ ، ومصادرنـا العربيـة فى معظمهـا لا تتحدث الا عن « يليان » الذى التقى مع موسى بن نصير أو طـارق بن زيـاد بعـد انتهـائهمـا من فتح المغـرب ومحاولتهمـا فتح مدينـة سبتة الخاضعـة لادارته ومن ثـم بدأ دوره فى عملية الفتح الاسـلامى للاندلس ٠

أما الجديد حول شخصية « خوليـان » حاكم سبتة فقـد جاءنـا فى نص حققه الدكتور المنجى الكعبى ونسبه الى ابراهيم بن الرقيق المتوفى فى حدود سنة ٤١٧ هـ ، ١٠٢٦ م ، وتولى ديوان الانشـاء لنصير الدولـة باديس ابن الفتح المنصور (٣٨٦ — ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ — ١٠١٥ م) ثالث الامراء من بنى زيـرى الصنهاجيين فى افريقيـة ، ثـم لابنه المعز بن باديس (٤٠٦ — ٤٥٣ هـ ١٠١٥ — ١٠٦٢ م) ٠

يتحدث ذلك النص الفريـد فى روايته عن « اليـان » وليس « يليـان » وليس ذلك مهمـا ، وانمـا المهم فى ذلك ان « أليان » لـم يكن حاكمـا على

---

(٥٠) ابن عذارى : البيـان المغـرب ٠ ج ١ ص ٣٦ ٠

(٥١) مجهول المؤلف : اخبار مجموعة ص ٤ ٠ واتظـر ايضـا تعليق الدكتور العبادى رقم ٢ فى تحقيقه لنص ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٤٢ ٠

سبتة ، بـل هو ابن الملك غيطشة ، وقـد جـاء يدعو المسلمين الى فتح الاندلس ويقول النص : « فكـان طارق يومـا بطنجة اذ طلعت مراكب فأكمن لهـا المسلمون فلمـا أرسـت خرجوا اليهـا ، وانزلوا اهلهـا فقالوا : انـا اليكم جئنـا عازمين ، فاذا هم يعظمون غلامـا حدثا منهم يقـال لـه « اليـان » فقـال لـه طارق : مـا جـاء بك ؟ فقـال : أنـا ابن ملك الاندلس وليس بينك وبينها الا هذا الزقاق ، واشار الى جبالها يريه اياها ، قـال لـه طـارق : ما جـاء بك ؟ قـال لـه : ان ابى قـد مـات ووثب عـلى مملكتنـا بطريق يقـال لـه لذريق ، وبلغنى أمركم ، وجئت اليكم ادعوكم اليهـا واكون دليلكم عليهـا (٥٢) ٠

وبنـاء على هذه المعلومة الجديدة ، عاد الدكتور حسين مؤنس الى دراسة قضية حاكم سبتة ، ويرى بأننـا لا نعـرف تاريخيـا أحـدا من أبنـاء غيطشـة يتسمى بهـذا الاسـم ، أو قريبـا منـه ، ثـم يصـل الى استنتاج مفـاده انه من الممكن ان يكون اليان هـذا ابنا لـ « يليان » واعتمادا عـلى هـذا النص فانه يقول : « ان يليـان الاول صـاحب عقبة ، كـان من اتباع غطيشـة واصحابه ، ولهـذا اجتهـد فى صرف عقبـة عن غزو الاندلس ، ونصحه بالاتجـاه الى الجنوب ومواصلة غزو البربر ، واصبح بعـد ذلـك حليفـا للمسلمين ومعاهدا لهم ٠ فلمـا وثب لذريق بغيطشـة واولاده وانصاره اسرع هـذا الشـاب « اليـان » الذى نفترض انه ابن « يليـان » الكبير الى العـرب ، وحرضهم على غزو الاندلس ، واشترك معهم فى ذلـك انتقاما من لذريق ٠ » «٥٣» ٠ ولسـت ارى غرابة فى أن يكون « اليان » هـذا ابنـا لملك الاندلس ، واذا مـا قبلنـا بذلـك فان الروايـات التاريخيـة يمكـن ان تستقيم وتتناسق خاصـة فيمـا يتعلق بدوافـع تلك الشخصية فى حث

---

(٥٢) انظر نص ابن الرقيق الوارد فى مقالة الدكتور حسين مؤنس ٠ رواية جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة المعهـد المصرى للدراسـات الاسلاميـة بمدريـد العـدد ١٨ عام ١٩٧٨ م ، الصفحات من ١٠٠ — ١٠٥ ٠ هـذا وقد عقبت على دراسـة استاذى الدكتور حسين مؤنس فى نفس مجلة المعهـد المصرى للدراسـات الاسلاميـة بمدريـد العدد ١٩ ، لعام ١٩٧٩ م ٠

(٥٣) حسين مؤنس : المقالة المشـار اليهـا بمجلة المعهـد المصرى للدراسـات الاسلاميـة بمدريـد ، ص ١١٥ ٠

المسلمين على العبور الى الاندلس (٥٤) ٠

أما النقطة الثانيـة التى تتعلق بالاسباب التى حركت هـذا الرجـل الى الاشتراك فى عملية حث المسلمين على دخـول الاندلس ، فقـد حرصـت المصادر العربية عامة على ربطهـا بحادث خاص جـدا ملخصـه أن خوليان كان قـد ارسـل ابنته « فلورندا » لكى تعيش فى بلاط الملك الاسبانى على حسب عادة النبلاء ، وانهـا كانت رائعـة الجمـال جذابة ، ممـا اغرى بهـا شهوات الملك القوطى ، فاعتدى عليهـا ، وحين علم الاب بمـا حـدث لابنته ، صمم على الانتقـام ممن غدر بابنته ، ومن ثـم كانت دعوته للمسلمين ، ومشـاركته فى القضـاء على ملك لذريق فى طليطلة ٠ ورغم وجاهـة هـذا السبب الا أنه ليس كافيـا الا اذا توافق من الناحية الزمنية مـع ما تشير اليه مصادرنا التاريخية من الخلافـات السياسية التى كانت تعصف ببلاط الملك غيطشـة وتمكن لذريق من الوصول الى السلطـة ، ومن ثـم صـب اضطهـاده على انصـار الملك السـابق وآل بيته ، ممـا حدا بهم الى الهـرب واللجوء الى حـاكم سبتة ، الذى كـان امـا احـد افـراد البيت الحـاكم أو على الاقـل احد اتباعه المخلصين ، ومن ثـم قـام خوليـان ومن معـه

---

(٥٤) سبق لى تناول هذه القضية فى مقـال بعنوان « فتح الاندلس رواية متجددة بمجلة اوراق التى يصدرهـا المعهـد لاسبانى العربى بمدريـد العدد ٦ مدريـد ١٩٨٣ م والحقيقة ان ابن عذارى يروى رواية مشابهة جـدا لـم تتنبه الى اهميتهـا من قبـل فهو يجعل من « بليان » ابنـا لملك الاندلس وهـذه أقـدم رواية تاريخية تجعل من بليـان ابنـا لملك الاندلس ، ولـم يتنبه احـد من المؤرخين من قبـل الى أهميـة رواية ابن عذارى ومطابقتهـا لرواية ابن الرقيق الحديثة النشر ٠ وروايـة ابن عذارى هى « وذكـر عيسى بن محمـد من ولد ابى المهاجـر فى كتابه » السبب فى دخـول طارق الاندلس وهو ان طارقـا كان واليـا لموسى على طنجة ، وكـان يومـا جالسـا اذ نظـر الى مراكب قـد طلعت فى البحـر ، فلمـا ارسـت خرجوا اليهـا فنزعوا ارجلهـا وانزلوا اهلهـا فقالوا : اليكم جئنـا عـامدين « وعظيمهم معهم يقال له « بليـان » فقـال طارق : ما جـاء بك ؟ فقـال له ان ابى مات فوثب على مملكتنـا بطريق يقـال لـه لذريق ، فاهاننى واذلنى وبلغنى امركم ، فجئت اليكم ادعوكم الى الاندلس ، وأكـون دليـلا لكم » ٠ فاجابه طارق الى ذلـك ٠ (انظـر ابن عذارى ج ٢ ص ٦) ٠

من المضطهدين بالاتصـال بالمسلمين لمعاونتهم فى استرداد نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الاندلس ، أو فى الانتقـام ممن ظلمهم فى هـذه البلاد ٠

ونصل الى الملاحظـة الاخيرة الهـامة المرتبطـة بتلك الشخصيـة سواء أكان خوليـان حاكمـا لسبتة ، أو كـان ابنـا لملك الاندلس فهـو عـلى كل حـال ممثـل لجبهـة المعارضـة الاسبانيـة التى لعبت دورا فى دخـول المسلمين الى الاندلس ، وفى انتصـارهم على الملك لذريق ، اقصـد بتلك الملاحظـة ما هى المقابـل الذى وعـد به المسلمون خوليـان ، أو ابنـاء الملك غيطشـة ، أو انصـارهم ، لان لذلـك أهميـة كبرى فى تحـديد موقف المسلمين من الرجـل وانصـاره بعـد الفتح ٠

يتحدث صاحب الأخبار المجموعـة عن ان يليان قد بعث الى موسى بالطاعة، واقبـل به فادخله المدائن (يقصـد بذلـك مدينـة سبتة) بعـد أن اعتقد لنفسـه ولاصحابه عهـدا رضيه واطمأن اليه ، ثـم وصف لـه الاندلس ودعاه اليهـا ، دون ان يذكـر شيئا من الاتفـاق مـع ابنـاء الملـك غيطشة أو حقوق انصـارهم ، ويرجـع سبب انهزامهم اثنـاء المعركـة مـع المسلمين الى مـا كان يعتمـل فى نفوسهم من حقـد على لذريق مغتصـب عرشى والدهم (٥٥) ٠ أمـا ابن القوطيـة فانه يرى ان الاتفـاق تم بـين طارق بن زيـاد وبين ابنـاء الملك غيطشـة « ششبرت » و « أبه » على ان يقومـا بمساعدته فى معركته ضـد لذريق فى مقابـل ان يمضى لهم ضيـاع ابيهم فى الاندلس ، وكانت ثلاث الاف ضيعة ، سميت بعـد ذلـك صفايـا الملوك وكتب لهم بذلـك الى موسى بن نصير ، فأقرهم على عهـد طارق واوفدهم الى الخليفـة الوليـد بن عبد الملك الذى وافق على ما شرطه طارق ، وعقـد لكل واحـد منهم سجلا ، وكانت سجلاتهم الا يقوموا الى داخـل عليهم ولا الى خـارج منهم (٥٦) ٠

اما ابن عبد الحكم وابن الكردبوس وابن عذارى فانهم لا يوردون أى اتفـاق مـع حاكم سبتة ، الا ان يليـان انتقـاما لابنته اجتمـع مع موسى

---

(٥٥) اخبار مجموعـة ، ص ٥٠

(٥٦) ابن القوطية : تاريخ افتتـاح الاندلس ، ص ٣٠ ٠

ابن نصير واخبره بقصة ابنته ، وقرب عليه مرام غلبة الاندلس وسرعة فتحها وكثرة اموالها ، وجمال سبيها ، وانها بلاد مياه كثيرة وجنات وانهار وغلات (٥٧) ٠ دون ان يكون هناك اية شروط اشترطها يوليان لنفسه أو لاصحابه من اتباع الملك غيطشة ٠

ولا يخرج المقرى عن روايات سابقيه ، ويستعرض روايات الفتح فى كتب الاقدمين دون ان نجد فى احدها شروطا يشترطها صاحب سبتة على المسلمين أو حقوقا يطالب بها ، ويورد المقرى قصة ابنة يليان وما حدث لها من ملك القوط ، وغضب يليان لذلك حتى انه حين ذهب لاحضار ابنته وحين خروجه بها من الاندلس قال له ملك الاندلس : اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات - أى الصقور - التى لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا فقال له : ايها الملك ، وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذا نقات ما دخل عليك مثلها قط ٠ عرض له بالذى اضمره من السعى فى ادخال العرب عليه وهو لا يفطن فلم يتنهنه يليان عندما استقر بسبتة مقر عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير ، فمضى نحوه بافريقية ، وكلمه فى غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها ، وما جمعت من اسباب المنافع ، وانواع المرافق ، وطيب المزارع ، وكثرة الثمار ، وغزارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ، ووصفهم بضعف البأس ، وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هناك ، وأخذ بالحزم فيما دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين ، واستظهر عليه بأن ساله مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين ، والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ، ففعل يليان ذلك ، وجمع جمعا من أهل عمله ، فدخل بهم مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء ، فاغار وقتل وسبى وغنم

---

(٥٧) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ومصر والاندلس ، ص ٧٢ - ٧٣ ٠
ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور مختار العبادى ص ٤٤ ٠
ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٤ ٠

واقــام بهــا أيامــا ، ثم رجع بمن معه سالمين (٥٨) ٠

أفضت قليلا فى هــذا الموضوع لنفى شبهة التواطؤ بين المسلمين وابنــاء غيطشة ، والقائلة بأن عبور المسلمين الى الاندلس لـم يكن الا لمســاعـدة هؤلاء فى استرداد عرش ابيهم المفقــود ، ومن ثـم يعودون الى المغــرب مرة اخـرى ، وأن اولاد غيطشــة حينمــا رأوا أن المسلمين عازمون على البقـــاء فى الاندلس ، اسقط فى أيديهم وتقدموا الى العــرب يطلبون الامـــان مـــع من تقدم ، وهى قضية ناقشهــا الدكتور مؤنس (٥٩) وقــال بهــا عنان (٦٠) والدكتور ابراهيم بيضون (٦١) وغيرهم من المؤرخين ٠

واذا كان لنــا ان نسلم بأن هــذه الفكرة قــد دارت فى اذهــان ابنــاء الملك غطيشة وانصــارهم ، الا انهــا لــم تتعــد حدود ذلـــك ، ولا نجد لها صدى فى اتصالهم بالمسلمين ، أو حتى فى اتصالات يليــان بالمســـــلمين ولو كان الامــر كذلك لرفض المســـلمون ذلــك ، لانهم ، ومــا تدل عليه تصرفاتهم قبــل الفتح وبعــده ، كانوا يغزون من أجــل نشر الاسلام ، ويقاتلون من أجل تحرير الانســان من ربقــة الانســـان وليس من أجـــل جمـــاعــة أو فئــة وخاصــة اذا كانت تلك الجماعــة أو الفئة من غـــير المؤمنين ، أو الذين لم يدخلوا فى دين الله بعــد ، وليس أدل على علم هؤلاء بنية المسلمين البقــاء فى الاندلس ، أنهم ظلوا يســاعدون المســـلمين فى فتوحهم ، بعد عام كامل من انتصار طارق بن زياد ونجاحه فى القضاء على الملك لذريق بعــد معركــة وادى لكة ، وتقدمــه الى طليطلة وغيرهــا من المــدن الاسبانية ، وأنهم رأوا موسى بن نصير يعبر الى الاندلس بالمزيـــد من الجيوش الاسلامية دون ان يعود طارق الى المغــرب ، وتقدموا الى موسى بن نصير يدلونه على المدن التى لـم يفتحهــا طارق بعــد ويرشـــدونه الى طريق غير طريق طارق يتمكن من خلاله تأكيــد انتصــارات المســـلمين

---

(٥٨) المقــرى : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥٢ _ ٢٥٣ ٠

(٥٩) مؤنس : فجــر الاندلس ٠ ص ٥٦ ٠

(٦٠) محمــد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، العصر الاول ، القســم الاول ص ٣٩ _ ٤٠ ٠

(٦١) ابراهيم بيضون : الدولة العربيــة فى اسبانيا ٠ ص ٦٨ ٠

ويفتح مدنـا عظيمـة مثـل اشبيلية ومـاردة ولبلة وغيرهـا من المدن ، وليس من شك ان هؤلاء القوط الذين كانوا يساعدون المسلمين كانوا على علـم كاف بهـدف المسلمين ، وهـو الاستقرار الدائـم فى الاندلس (٦٢) ٠

التمهيـد لفتح الاندلس :

أصبحت كل الظروف مهيأة أمـام المسلمين لفتح بلاد الاندلس ، وجاءت دعوة يليـان وانصـار غيطشـة لتجـد آذانـا صاغيـة ، وقلوبـا مفتوحة وصدورا منشرحـة مستعدة لذلـك الفتح ، وبدأت خطوات التمهيـد لذلـك الفتح ، فطلب موسى بن نصير من يليـان ان يثبت أولا حسن نوايـاه ويوضح للمسلمين عمليـا صدق موقفه من لذريق حاكم الاندلس ، وقـال له موسى ، انـا لا نشك فى قولك ولا نرتاب ، غير اننـا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونهـا ، ولكن ارجع الى مكانك ، واجمـع جندك ، ومن يقول بقولك ، وجز اليـه وشن الغارة على بلاده واقطع مـا بينك وبينـه واذ ذاك تطيب النفس عليك ، ونحن من ورائك ان شـاء الله (٦٣) ٠ ولقـد قـام يليـان بشن الغارة على سواحل الاندلس ، وعـاد محملا بالسبى والغنائـم ممـا اكـد للنـاس صدق دعواه ، ومـا كـان يقصـه عليهم من عـورات الاندلس ٠

كتب موسى بن نصير الى الخليفـة الوليـد بن عبد الملك برغبته فى فتح الاندلس ، وتردد الخليفـة الوليـد بن عبد الملك فى ان يدفـع بالمسلمين الى ميدان جديد غير مدروس ، وخاصـة ان البحـر يفصـل لاول مـرة بـين الخلافـة ، وارض الجهـاد الجديدة ، ولذلك كتب الى موسى بن نصـير

---

(٦٢) انظـر ذلك فى اخبار مجموعة ص ١٨ ٠

(٦٣) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ٠ ص ٤٥ ٠ وانظر ايضـا المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ٠ ويورد ابن الحكم رواية اخرى عن استيثاق المسلمين من صدق يليـان ، قائلا بأنه قـد كتب الى طارق بن زيـاد قائـلا لـه : انى مدخلك الاندلس ، وطارق يومئذ بتلمسـان ، وموسى بن نصير بالقيروان ، فقـال طارق : فانى لا أطمئن اليك حتى تبعث الى برهينـة فبعث اليه بابنتيه ولـم يكن لـه ولد غيرهمـا ، فأقرهمـا طارق بتلمسـين واستوثق منهمـا ، ثـم خرج طارق الى يليـان وهـو بسبتة » انظـر فتوح افريقيـا والاندلس ص ٧٢ ٠

« ان خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال ، فكتب اليه – موسى – أنه ليس ببحر وانما هو خليج يصف صفة ما خلفه الناظر ٠ فكتب اليه وان كان ، فاختبره بالسرايا » (٦٤) ٠

عهد موسى بن نصير – رضى الله عنه – الى اعداد حملة صغيرة تتكون من مائة فارس وأربعمائة رجل ، وعهد بقيادتها الى رجل من مواليه اسمه طريف بن مالك ، ويكنى بأبى زرعة ٠ نزلت حملة طريف الى الاندلس فى شهر رمضان من عام ٩١ هـ ، وكان موضع نزوله فى جزيرة عرفت باسمه الى اليوم Isla de Tarifa وأقام بها أياما حتى عبر جميع أصحابه ثم أغار على ما يجاورها من البلاد ، فاكتشف ضعف مقاومتهم ، وقلة جندهم ، وحاز من اغارته هذه سبيا كثيرا لم ير المسلمون مثله (٦٥أ) وعاد بذلك الى بلاد المغرب مما أقنع موسى بن نصير باتخاذه قراره الهام بالعبور الى الاندلس ، وبدأ الاستعداد لذلك بعد ان توفرت له مجموعة من الشروط الحربية الاساسية وهى :

أولا : موافقة القيادة العليا ممثلة فى الخليفة الوليد بن عبد الملك والذى لم يضع عليه أى قيد ، اللهم الا عدم التغرير بالمسلمين ٠

ثانيا : الاطمئنان الى امكانية الانتصار فى الميدان الجديد بعد أن اختبره مرتين الاولى بغارة حاكم سبتة ، والثانية بغزوة طريف بن مالك من ابى زرعة ٠

ثالثا : وجود بعض الاعوان والادلاء والعيون من امثال حاكم سبتة وابناء الملك غيطشة وأعوانهم ، وغيرهم ممن أمكن ليوليان تجنيدهم ٠

رابعا : الاطمئنان الى الميدان الافريقى ، واقبال البربر على اعتناق الاسلام ، وحماستهم الفياضة للجهاد فى سبيل الله ٠

---

(٦٤) أخبار مجموعة ص ٦ ٠

(٦٥أ) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ص ٢٥٢ ٠ وابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ٠ ص ٤٥ ٠

الاستعداد للفتح :

الى جانب هذه الخطوات التمهيدية التى مهدت للفتح الاسلامى لبلاد الاندلس ، قام موسى بن نصير من جانبه بخطوات أخرى استعدادا لهذا المشروع الخطير ٠

بدأ موسى بن نصير بحشد قواته فى مدينة طنجة ، حيث جمع هناك عدة آلاف من المسلمين ٠ يقول صاحب كتاب ذكر الاندلس بانهم كانوا الفين من العرب ، واثنى عشر الفا من البربر وانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم (٦٥) وجعل على قيادتهم مولاه طارق بن زياد (٦٦) ٠

نقطة هامة اخرى تنبه اليها موسى بن نصير ، الا وهى اعداد الوسيلة اللازمة انقل قواته عبر المضيق الى الاندلس ٠ واذا كانت الكثرة من الروايات التاريخية تحدثنا عن سفن يليان حاكم سبتة التى قدمها لعبور المسلمين ، الا ان النصوص التاريخية ، وخاصة ما ظهر منها حديثا تؤكد قيام المسلمين ببناء سفنهم بأنفسهم وهى رواية اقرب الى الصحة ، حيث اجتهد القائدان فى بناء السفن ، فيذكر المقرى نقلا عن ابن حيان أن موسى ابن نصير حين عزم على غزو الاندلس

---

(٦٥) مجهول المؤلف ٠ ذكر بلاد الاندلس ، ج ١ ص ٩٧ ٠ تحقيق لويس مولينا مدريد ومع ذلك يجعل كتاب أخبار مجموعة عدد جيش طارق سبعة آلاف جلهم من البربر ص ٦ ٠ وكذلك المقرى ج ١ ص ٢٥٤ ٠ ويذكر الطبرى عدة جيش طارق باثنى عشر الفا ج ٤ ص ٨ ٠ ويقول ابن عذارى از طارقا استنفر اثنى عشر الفا من البربر ، فحملهم يليان فى المراكب ج ٢ ص ٦ ٠

(٦٦) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن دفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن ابن ولهاص بن يطغوت بن نغزاو ٠ ولقد اختلف المؤرخون فى نسبه فجعله بعضهم بربريا ، والآخر عربيا ٠ وبعضهم فارسيا ٠٠٠٠ الخ وليس يهمنا من هذا الخلاف الا دلالته على عظمة الاسلام حين يتمكن من قلوب تابعيه ، لان طارقا هنا مسلم بكل ما تعنيه الكلمة من أنه « مسلما » ٠

ويقول ابن خلكان بأن موسى قد ترك طارقا واليا على طنجة ومعه من الجنود البربر والعرب اثنا عشر الفا ٠ وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٢٠ طبعة احسان عباس ٠ بيروت ٠

جهـز لهـا مولاه طارقـا المذكور فى سبعـة آلاف من المسلمين ، جلهم من البربر فى أربع سفن ٠٠٠ ٠٠٠ » وكتب طارق الى موسى بأنـه قـد زحف اليه لذريق بمـا لا طاقـة لـه بـه ، وكان عمـل من السفن عـدة ، فجهز لـه فيهـا خمسة آلاف من المسلمين (٦٧) ٠ أمـا صـاحب كتـاب ذكـر بلاد الاندلس فيؤكـد أن طارق بن زيـاد عمـل أيضـا فى انشـاء السفن ويقول : « وأخـذ طارق بن زيـاد فى انشـاء السفن والاستعداد الى الجواز الى الاندلس (٦٨) كمـا يميـل الى ذلـك الرأى جماعـة من المؤرخـين المعاصرين حيث يؤكدون استحالة اعتمـاد قـائد مثـل موسى بن نصـير على سفن ليسـت ملكـا لجيشـه فى مثـل هـذا المشروع الكبير (٦٩) ٠

ولا أجـد صعوبة فى التوفيق بين المصـادر التى ركزت على قيـام المسلمين ببنـاء سفنهم ضمن خطتهم فى الاستعداد لعبور الاندلس وبـين ما اوردته ايضـا مصادرنـا التاريخيـة الاخـرى من استخدام سـفن صاحب سبتة أو السـفن التى كانت تتردد بين شاطىء العـدوة لان الطبيعى فى مثـل تلك المشـاريع الضخمـة ان يحشـد القـائد كل الطاقـات وأن يستفيـد من كل الامكانيـات ، ولذلـك فاننى أميـل الى تصور ان

---

(٦٧) المقـرى : نفح الطيب ٠ جـ ١ ص ٢٣١ — ٢٣٢ ٠ ويقـول صاحب أخبار مجموعـة ص ٧ « وكان موسى مذوجه طارقـا أخـذ فى عمـل السفن حتى صارت مـعه سفن كثيرة ، فحمـل اليه خمسـة آلاف » ٠

(٦٨) ذكـر بلاد الاندلس جـ ١ ص ٩٨ ٠

(٦٩) أحمـد مختار العبادى : دراسـات فى تاريخ المغـرب والاندلس ص ١٨ وفى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٦ — ٥٧ ٠ عبـد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ص ٤٨ ٠ بيضون : الدولة العربيـة فى اسبانيـا ص ٧٢ ٠ السـيد عبد العزيـز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٧٢ ٠ ويروى ابن قتيبة الدينورى : « أن موسى وجـه طارقـا مولاه الى طنجة ومـا هنالك ، فافتتح مدائن البربـر وقلاعهـا ثـم كتـب الى موسى بن نصير : أنى اصبت ست سفن ، فكتب اليـه موسى أتممهـا سبعا ثم سر بهـا الى شاطىء البحـر ، وليس لكلمة « أصبت » فى هـذا السـياق الا « صنعت » كمـا هـو واضـح (الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٦٠) تحقيق الدكتور طـه الزينى القاهرة ١٩٦٧ م ٠

القـائد الاسـلامى لـم يهمـــل الامكانيــات المتاحــة لــه واستغلال السفن التى كانت لدى يليــان حاكم سبتة ، وكذلــك سفن التجار والاعاجـــم التى كانت تعمـل فى التجارة بين الشــاطئين الى جانب ما صنعه هـــــو شخصيــا ، ومــا قــام باعــداده طارق بن زيــاد (٧٠) ٠

ولم يعـد أمـام المسلمين وقادتهم الا اختيــار الوقت المنــاسب لعبورهم الى الاندلس ، ولعلهم ظلوا بعضـــا من الوقت ينتظرون الفرصة أو يدبرونها وجاءت الفرصـــة حين انشغل لذريق وجيشــــه فى اخمــاد ثـــورة للبشكنس فى شـــمال أسبانيــا ٠ ولعلهــا تـــم تدبيرهــا ٠ وهنــا حانــت الفرصـــــة المواتيـــة للفتح ٠

عبر طارق بن زيــاد المضيق الــذى عــرف باســمه منــذ ذلـــك الحين تكريمــا واعترافــا من العـــالم بأكمله بقيمــــة ذلــك الفاتح الاسلامى الذى ، وان لــم تفصـــح لنـــا صفحـــات التـــاريخ عن مجهــــول حيــاته ، ومــا سلف من عمــره قبـل الفتح ، فان تلك الصفحــات قــد نقشـــت اسمه على جبل المنطقـــة (٧١) ٠ ومضيق مياههــا فأصبح اســــمه منــذ ذلك مكافأة الهية دنيويـــة لذلــك المجــاهــد المخلص ٠ ومنـــذ لحظــات العبور الاولى ، بدأت مراحل كفاح المسلمين ومعاركهم لافتتــاح الاندلس ٠ وذلــك فى ربيـــع الاول أو جمادى الأولى من عــام ٩٢ هجرية الموافق لعــام ٧١١ م ٠

تتحدث المصادر الاسلاميـــة مشيرة الى أن المقاومـــة الاســـبانية قــد واجهت طارقــا أثنــاء محاولاته انزال جنوده على الشاطىء الاخــر فى منطقة

---

(٧٠) من المؤرخين القائلين باستخدام سفن يليــان وتجار العجـــم ٠ ابن عبد الحكم ص ٧٣ ٠ وابن الكردبوس ص ٤٦ ٠ وابن عـــذارى ج ٢ ص ٦ ، والخبار مجموعـــة ص ٦ — ٧ ٠ المقــرى ج ١ ص ٢٣١ ٠ بالاضـــافـــة ذلــك سايرهم بعض المؤرخين المعاصرين مثــل محمــد عبد الله عنان : دولـــة الاسلام فى الاندلس ج ١ ص ٤١ ٠ والدكتور حسين مؤنس : فجــر الاندلس ص ٦٩ — ٧٠ ٠

(٧١) أطلق الفينيقيون على الجبل اثناء اقامتهم هنــاك اســـم « جبل كالبى » Mons de calpe انظر فى ذلك د ٠ الحجى : التاريخ الاندلسى صفحة : ٤٩ — ٥٠ وتعريفه لاعمدة هرقــل ٠

جبل الفتح أو جبـل طارق كمـا عـرف بعد ذلـك ٠ يروى ابن الكردبوس بأن طارقا « وجـد بعض الروم وقوفـا فى موضع وطىء كان عزم عـلى النزول فيـه الى البر ، فمنعوه منـه ، فعدل عنه ليـلا الى موضع وعر فوطـــأه بالمجاذف وبراذع الدواب ونزل منه فى البر وهم لا يعلمون ، فشـن غارة عليهم ، وأوقـع بهم وغنمهم (٧٢) ٠

وقام طارق باحتلال الجبـل ، واتخذ به معسكرا لنفسـه وللمسلمين وبنوا على معسكرهم سورا عرف باسم سور العرب (٧٣) ٠

احتل المسلمون بعـد ذلـك مدينـة قرطاجة وتقـع فى ســفح جبـل طـارق وعلى تجويف من الخليج وتعـرف فى اللغـة الاسبانية باسم : Torre de Cartagena (٧٤) ٠ وبدأوا يتقدمون صـوب الجزيرة الخضراء وافتتحوهـا ، وبذلـك أقـام المسلمون حزام أمـان لهم يربطهم بالشاطىء الافريقى ويضمن لهم عدم المهاجمة من الخلف ، ويؤمن لهم طريق الامـــدادات ، والارتداد اذا مـا قـدر الله لهم مكروهـــا ٠ ويورد المقـرى خطـة أخـرى نقـلا عن ابن خلـدون مفـــادهـــا أنه صير عسكره عسكرين : أحدهمـا على نفسـه ونزل به جبـــل الفتح ، فسمى جبـل طارق بـه ، والاخـر على طريف ابن مالـــك النخعى ، ونزل بمكان مدينـة طريف ٠ فسـمى بـه وأداروا الاســوار على أنفســـهم للتحصـن (٧٥) ٠

بدأ طارق بن زيـاد يتصدى لقـوات القوط المعسكرة بالمنطقة جيشا بعد جيش ، وينقـل لنـا ابن عذارى عن الرازى قولـــه : لمـا بلـغ لذريق خبر طارق ومن معه ، ومكانهم الذى هم فيـــه بعث اليهم الجيـــوش

---

(٧٢) ابن الكردبوس : تاريخ افتتـاح الاندلس صفحة : ٤٦ ٠

(٧٣) ابن عذارى : البيـان ج ٢ صفحة ٩ ٠ وذكر بلاد الاندلس ج ١ صفحة : ٩٨ والمقرى : الفتح ج ١ صفحة : ٢٣٣ ٠

(٧٤) انظر د ٠ حسين مؤنس : فجـر الاندلس صفحة : ٦٩ و د ٠ عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة : ٧٣ ٠

(٧٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ صفحة ١١٧ ٠ المقرى : نفـــح الطيب ج ١ صفحة : ٢٣٣ وانظـر ايضـا عبد الرحمن الحجى : التـاريخ الاندلسى ٠

جيشـا بعـد جيش ، وكان قـد قـود على أحـدهم ابن أخت له يسـمى « ينج » وكان أكبر رجاله ، فكانوا عنـد كل لقـاء ينهزمون ويقتلون ، وقتـل « بنج » وهـزم عسكره ، فقـوى المسـلمون وركب الرجـال الخيـل ، وانتشروا بناحيتهم التى جازوا بهـا (٧٦) ٠

ويكرر ابن عذارى فى رواية أخـرى ، الصعوبات والمقـاومة التى لقيهـا المسلمون حين نزولهم بأرض الاندلس لاول مرة ، والتى نرجـع وجودهـا الى الغـارات التى سبق أن شنهـا يليـان والمسلمون بقيادة طريف على الاندلس اذ أنه من الطبيعى أن تثير هـذه الحملات حذر القوط وتنبههم الى تعـرض سواحلهم الجنوبيـة للخطـر ، وتدفعهم الى تدعيم حراستهـا ٠ ولولا انشـغال الملك القوطى ، لذريق ، بثورة البـكنس فى الشـمال ٠ وكذلـك جهله بمـدى قـوة المسلمين ، وعـدم تقديره الصحيح لاهدافهم ، لسلك الفتح الاسلامى للاندلس طريقـا أكثـر صعوبـة وأشـد قسوة (٧٧) ٠

فشلت اذا تلك الحمـلات القوطيـة لايقـاف المسـلمين أو ردهم على أعقابهم ، وتتابعت الاسـتغاثات على الملك القوطى يستنفرونه (٧٨) ٠ ويعلمونه أن قومـا لا يدرى اهم من أهـل الارض أم من أهـل السـماء قد

---

(٧٦) ابن عذارى : البيـان ج ٢ صفحة : ٨ ٠ وينقـل الدكتور حسين مؤنس أن اسم هـذا القائد الاسبانى Bancho فجر الاندلس صفحة : ٧٠ ويجعله غيره Bancio بيضون الدولة العربيـة فى الاندلس صفحة ٧٣

(٧٧) يقول ابن عذارى عنـد حديثه عن فتح طارق للاندلس « أول فتوحاته جبل الفتح المسمى بجبل طارق ، وذلـك لما جاز المسلمون ، ونزلوا فى المرسى وهم عرب وبربر ، حاولوا الطلوع فى الجبل ، وهو حجارة حرض فوطؤوا للدواب بالبراذع ، وطلعوا عليهـا ، فلمـا حصلوا فى الجبـل ، بنوا سورا على أنفسـهم يسمى سور العـرب ، وقيـل أنهم فتحوا من حينهم حصن قرطاجنـة وكان فى سفح هـذا الجبـل من نظـر الجزيرة الخضراء ، فلمـا بلغ ذلـك ملوك الاندلس نفروا الى لذريق ، وكان جبارا طاغيـة ، فاستنفـر النصرانية ، فقيـل انـه بعث الى المسلمين الجيش بعثـا بعد بعث ، فكانوا عنـد كل لقـاء يهزمون ويقتلون ، فقوى المسلمون وركب رجالهم وانتشروا فى البلاد ٠ البيـان ج ٢ صفحة : ٩ ٠

(٧٨) ذكـر بلاد الاندلس ج ١ صفحة : ٩٨ ٠

وطئوا الى بلادنـا وقـد لقيتهم فلتنهض الى بنفسك (٧٩) ٠

أدرك لذريق خطورة الوضـع فى جنوب الاندلس ، وراجـع حساباته ورأى الخطر يهـدد المملكة القوطية بكاملهـا ٠ فعـاد بجيشـه من الشـمال ، وحشـد كل طاقاته ، وانحدر فى اتجـاه الجنوب الى عاصمته طليطـة ، ومنهـا الى قرطبة حيث تجمعت عنـده الجيوش التى اختلف المؤرخون فى عددهـا اختلافـا كبيرا ، وقدرت ما بين الاربعين ألفـا الى المائة ألف أو يزيـد (٨٠) ٠ ومن ناحيـة أخـرى عمـد الى توحيـد قـوى النبلاء خلف قيـادته ، وخاصـة أنصـار الملك السـابق وأولاده ويشـير ابن القوطيـه الى ذلـك قائلا : « فلمـا دخل طارق بن زيـاد الاندلس ، أيـام الوليـد بن عبد الملك ، كتب لذريق الى أولاد الملك غيطشـة ، وقـد ترعرعوا وركبوا الخيـل ، ويدعوهم الى مناصرته وأن تكون ايديهم واحـدة على عدوهم ، وحشـدوا الثغـر ، وقدموا ونزلوا شقندة ومـا يطمئنون الى لذريق بدخول قرطبـة فخرج اليهم (٨١) ٠

---

(٧٩) انظـر فى تلك الاستغاثة كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ، جـ ٢ صفحة ٦٠ أمـا العبارة المذكورة فقـد وردت عنـد الدكتور الحجى : التاريخ الاندلسى صفحة : ٥٢ نقـلا عن تحفـة الانفس لابن هذيـل ٠

(٨٠) جعلت « أخبـار مجموعـة عـدة جيش لـذريق مائـة ألف صفحة : ٧ أمـا ابن عذارى فقـد قال انه قـد زحف الى المسلمين بجميـع عسـاكره ورجالـه وأهـل مملكته جـ ٢ صفحة : ٧ ــ ٨ ويذكـر ابن الكردبوس أنه « خرج فى مائة ألف فارس ومعه العجل تحمـل الاموال والكسا ٠٠٠٠٠ ومعه اعداد من الدواب لا تحمـل غير الحبال لكتـاف الاسرى من المسلمين اذ لـم يشـك فى أخذهم صفحة : ٤٧ ٠ أمـا صاحب كتاب ذكر بـلاد الاندلس فلم يحـدد رقمـا وانمـا يقول » فاستنفـر النصرانيـة ، واقبـل الى قتال طارق فى جيوش لا تحصى صفحة : ٩٨ ويجعلهم ابن خلدون زهاء اربعين ألفا جـ ١ ص ٢٣٣ و جـ ٤ ص ١١٧ ٠ وينقل المقرى عن ابن حيان أن عدتهم كانت مائة الف ذوى عـدد وعـدة جـ ١ ص : ٢٣١ ، ويختلف ابن قتيبة عن الجميـع حيث يجعـل جيش لذريق سبعين ألف عنـان ومعه العجـل تحمل الاموال والزخرف ، انظـر الامامة والسياسة جـ ٢ صفحة : ٦٠ ٠

(٨١) ابن القوطية : افتتـاح الاندلس صفحة : ٢٩ ــ ٣٠ ويذكـر المقرى نصـا آخـر يقول فيـه « فلمـا اقتحم طارق الاندلس ، نفر اليه لذريق ، ــ =

ولم يمكث الملك القوطى بقرطبة فترة طويلة ، وما هى الا استراحة من رحلة طويلة تقرب من الالف من الكيلومترات ، تجمعت فيها الجيوش وأخذ استعداده وأهبته ، حتى خرج الى كورة شذونة Medinasidonia. Sidonia حيث ضرب معسكره واستعد لخوض المعركة التى لم يكن يشك فى نتيجتها ، اعتمادا على كثرة جيشه وقوة عدده وآلاته ٠

فى تلك الاثناء كان طارق بن زياد وجيشه يتقدمان فى اتجاه الشمال الغربى من الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف فى أرض سهلة تتخللها بعض المستنقعات ، حتى استقر بهم المقام حول بحيرة لاخاندا Lago de la janda » وبالقرب منهم نهر البرباط وهناك وصلتهم الانباء الخاصة بجيش لذريق وكثرة عدده ، الذى يفوق جيش المسلمين عدة مرات ، وقام طارق بتقدير موقفه بناء على تلك المعلومات (٨٢) ٠ ووجد أن الضرورة تحتم عليه طلب العون من أميره موسى

= واستنفر اليه أجناد أهل الاندلس وكتب الى أولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل ، واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ، ويحذرهم من القعود عنه ، ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة ، فلم يجدوا بدا ، وحشدوا ٠ وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا أكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنوا الى الدخول على لذريق أخذا بالحزم ، الى أن استتب جهاز لذريق وخرج ، فانضموا اليه ، ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه ج ١ صفحة : ٢٥٦ — ٢٥٧ ٠

(٨٢) قدر المؤرخون جيش المسلمين الذى عبر مع طارق فى بداية الامر بسبعة الاف مقاتل جلهم من البربر وأقلهم من العرب ، قال بذلك صاحب كتاب أخبار مجموعة صفحة : ٦ وجعلهم ابن عذارى اثنى عشر الفا من البربر ج ٢ صفحة : ٦ أما أحدث المدونات التى نشرت فى التاريخ الاندلسى فقد قالت بان طارقا جاز الى الاندلس فى جيش من اثنى عشر الف مقاتل عشرة الاف من البربر ، وألفين من العرب ، وسبعمائة من السودان (ذكر بلاد الاندلس صفحة : ٩٨) ٠ أما ابن خلدون فيقول بانهم ثلاثمائة من العرب وزهاء عشرة الاف من البربر (تاريخ ابن خلدون ١١٧/٤) أما ابن قتيبة فقد ذكر رقما غير معقول حيث يقول « فسار طارق
ابن قتيبة فقد ذكر رقما غير معقول حيث يقول « فسار طارق =

ابن نصير فكتب اليه « يستمده ويخبره أن قد فتح الله الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة ، وأنه قد زحف اليه ملك الاندلس بما لاطاقة له به ، فأمده موسى بخمسة الاف ليصبح جيش المسلمين فى هذه المعركة حوالى اثنى عشر ألفا (٨٣) ٠

فى يوم الاحد الثامن والعشرين من شهر رمضان الى يوم الاحد الخامس من شوال من عام ٩٢ هـ ٠ ٢٦ — ٢٩ يوليه ٧١١ (٨٥) ،

= فى ألف رجل وسبع مائة وذلك فى شهر رجب ثلاث وتسعين (الامامة والسياسة جـ ٢ صفحة : ٦٠) وينقل المقرى عن الحميدى أن العدد كان تسعة عشر الفا جـ ١ صفحة ٢٣٩ وذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن عدد الجيش كان سبعة الاف مقاتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة من العرب (تاريخ المسلمين صفحة : ٧٢) ٠ ووافقه على ذلك د ٠ العبادى (فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٥٥) ٠

(٨٣) أخبار مجموعة صفحة : ٧ ويقول المقرى نقلا عن ابن حيان « وكتب طارق الى موسى بانه قد زحف اليه لذريق بما لاطاقة له به ، وكان عمل من السفن عدة ، فجهز له فيها خمسة الاف من المسلمين ، فكملوا بمن تقدم اثنى عشر الفا ٠ انظر النفح جـ ١ صفحة : ٢٣٢ وقال ابن قتيبة : وكتب الى مولاه موسى : ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية ، فالغوث ، الغوث — (الامامة والسياسة جـ ٢ صفحة) : ٦١ وان كان قد جعل الاستغاثة بعد معركة شذونة ٠

(٨٤) حملت هذه المعركة أسماء كثيرة : فهى معركة شذونة عند ابن عبد الحكم فتوح صفحة ٧٥ وهى معركة البحيرة عند صاحب اخبار مجموعة صفحة ٨ ، ومعركة وادى الطين عند ابن عذارى : البيان جـ ٢ صفحة ٧ ومعركة السواقى ٠ ووادى لكة عند ابن الشباط : وصف الاندلس صفحة : ١٣٤ ، صفحة ١٣٥ ومعركة شريش عند ابن خلدون جـ ٢ ١١٧ ٠ هذا وقد قام الدكتور أحمد مختار العبادى بدراسة قيمة لهذه القضية فى مقدمته لكتاب ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، خلص منها الى ان معركة بهذه الضخامة من الصعب أن تحمل اسما واحدا ، لقد استغرقت ثمانية أيام ودارت فى عدة اماكن وهى بذلك معركة كورة شذونة بكاملها ، ولا شك أن معركة بمثل هذه الحشود الكبيرة وهذا الهدف الخطير وهذه المدة الطويلة ، التى استغرقتها فى =

كان لقــاء المسلمين الحاســم مع القوط ، وقام طــارق بن زياد بتجـزئة قواته وتجهيــزها وشرح خطة قتــاله ، واتخذ من التدابير ما يرفــع به معنويــات جنوده ، ويزيل عنهم كل أثــر من خوف أو رهبــة ، وتنسب اليه المصــادر التاريخية أنه لكى يشــحذ همم أصحابه فقد قام بحــرق السـفن حتى يقطع عليهم التفكير فى النكوص ويحملهم فقط عــلى الاستبسال فى القتــال حتى النصر (٨٦) ٠

= صراع وطراد ومتابعة لا بد وان تكون معركــة عظيمــة تليق بمكانة هــذا الفتــح العربى العظيم ، معركة لم تقتصر رحــاها على جنوب شــذونة أو شمالهــا ٠ بــل شملت جميــع انحــاء هــذه المنطقــة فهى معركــة كورة شــذونة بأسرها ، وليســت معركة مدينة شــذونة قاعدتها ومن هنــا جاز لنــا ان نقول بان ما ورد فى كتب التاريخ من تسميــات مختلفــة لهــذه المعركــة مثــل : البحيرة ، ووادى بكة ، ووادى البرباط ، ووادى لكــة وشريش والسواقى ، ما هى فى الواقع الا تســميات لتلك الاماكن التى دارت وتشــعبت عندها تلك المعركة الكبيرة فى أراضى كورة شــذونة (انظر تلك الدراسة القيمة فى مقدمة د ٠ العبــادى لكتاب ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، الصفحــات من ٢٧ الى ٤٠ وكذلــك كتابه فى تاريخ المغــرب والاندلس صفحة : ٦٦ — ٦٩) كما تناول الدكتور حسين مؤنس هذه القضية، مناقشــا كافة روايات الفتح عند المســلمين والمؤرخين الاســبان فى دراســة رائعة نشرها بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد تحت عنــوان « رواية جديدة لفتح الاندلس » العــدد ١٨ عــام ١٩٧٥ م ٠ الصفحــات من ٩٠ — ١٢٠) ٠

(٨٥) ابن الكردبوس المصدر المشــار اليه صفحة ٤٨ ودراســة العبادى فى مقدمته المشــار اليها صــفحة ٢٧ وفى تاريخ المغرب والاندلس صــفحة ٦٦ ٠

(٨٦) مسألة احراق السفن من القضايــا التى لــم ترد فى المدونــات التاريخيــة الا عنــد بعض المتأخرين منهم من أمثــال ابن الكرديوس كتابه تاريخ الاندلس الصفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ والادريسى ، والحميرى ، الا أنهــا من قصص الفتح الاسلامى الشــائعة الانتشار ، والتى تناولهــا بعــض المؤرخين المعاصرين كحقيقة واقعــة (انظــر الدكتور على حبيبة : مــع المسلمين صفحة ٩٨ واشــار الدكتور أحمــد المختار العبادى الى احتمــال وقــوع الحادث مسترشدا بوقائع مماثلة : فى تاريخ المغرب والاندلس الصفحات =

وكذلك تنسب اليه المصادر أنه قام خطيبا وألقى كلمة بليغة فحمد الله وحض الناس على الجهاد ، ورغبهم فى الشهادة ، وبسط لهم ثم قال : أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو من امامكم فليس والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور

= ٦٠ ـ ٦٣) هذا ولقد تناول هذه القضية بالنقد والتحليل معظم المؤرخين المعاصرين رافضين هذه الفكرة من كافة نواحيها العملية والفنية والعسكرية أيضا •

ولقد حاولت ـ مع اقتناعى الكامل بعدم حدوث هذه الواقعة تاريخيا وقناعتى الكاملة بأن طارق بن زياد ما كان ليقدم على مثل هذا العمل أن أجد تعليلا لظهور هذه القضية فى بعض المدونات التاريخية والقراءة المتأنية لذلك الخبر عند ابن الكردبوس ، وعند المقرى يمكنها أن تلقى الضوء على تلك المسألة التى اختلف حولها المؤرخون • يتحدث ابن الكردبوس عن جاسوس دسه لذريق ملك أسبانيا داخل الجيش الاسلامى ليتعرف له على دخيلتهم ، ويشعر المسلمون بالجاسوس ، فلا يقبضون عليه ، انما يستفيدون من وجوده ، ويأمر طارق جنوده ، بأن يقطعوا جثث الموتى من أسراهم ، ويضعونها فى القدور ويغلونها على النار ، ثم يقومون خلسة برمى لحم الموتى ، ويحلون محله لحم البقر والغنم ثم يدعون الناس للطعام ، فيتصور الجاسوس أن المسلمين يأكلون لحم البشر ، ومن هنا هل عمل المسلمون نفس الشيء وأوهموا الجاسوس حرقهم لمراكبهم ؟ مجرد اشاعة سرت بين المسلمين فحسب وتحدثوا بها لايقاع الرعب فى قلوب عدوهم وهذا ما حدث بالفعل ، عاد الرجل الى لذريق ليقول له : أتتك امة تأكل لحوم الموتى من بنى آدم صفاتهم الصفات التى وجدنا فى البيت المقفل ، قد أحرقوا مراكبهم ، ووطنوا على الموت أو الفتح ، فداخل لذريق من ذلك وجيشه من الجزع ما لم يظنوا (انظر ابن الكردبوس صفحة ٤٨ ـ ٤٩) ولعل رواية المقرى أكثر وضوحا وتؤيد هذا الاتجاه الذى اتصوره ، فهو بعد أن يقص رواية هذا الرجل الذى دسه لذريق فى صفوف المسلمين ويقول بانه عاد الى لذريق ليقول له : فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك ، قد حرقوا مراكبهم ايأسا لانفسهم من التعلق بها ، وصفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات ، اذ ليس لهم فى أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه • (نفح الطيب ج ١ صفحة ٢٥٨) •

والكســل والفشــل والاختلاف والعجب كثرة (٨٧) ٠

---

(٨٧) ان أقـدم نص ظهـرت به هـذه الخطبة هو تاريخ الاندلس لعبد الملك بن حبيب فى الجزء الذى نشره الدكتور محمود على مكى فى مقالــه عن « مصر والتاريخ العربى الاسبانى ، مقال سبق الاشارة اليه ، صفحة : ٢٢١ » ورد نصهـا كاملا فى كتـاب الامامة والسياسـة لابن قتيبة ، وفيـات الاعيان لابن خلكان جـ ٤ صفحة : ٤٠٤ ونفح الطيب للمقرى جـ ١ صفحة ٢٤٠ — ٢٤٢ هـذا ولقـد ناقش أمـر هـذه الخطبة جلة المؤرخين المعاصرين وتميل غالبيتهم الى رفض نسبة هـذه الخطبة الى طارق بن زيـاد ، حيث أنهـا فى الواقـع قطعـة أدبيـة رائعـة ، كلماتهـا حماسية وعباراتهـا ملهبة للمشـاعر وتحث على الجهـاد ، ولا يتسنى لمثل طارق بن زيـاد ان يرتجلها على جيش فى غالبيته من البربر حديثى العهـد بالاسلام وباللغـة العربيـة لكن اذا كان من حقنـا ان نشـك فى نسبة النص الذى نقلته الينـا مدونـات التاريخ فليس من حقنا انكار موضـوع الخطبة نفسه ، اذ أنه من الطبيعى أن يتحدث القـائد مـع جنوده ، ويبين لهم خطته فى القتـال ويحثهم على الصبر ، ويبين لهم مواضـع العورات فى جيش عدوهم ومن المحتمـل أن طارقـا ، وقـد كان حسن الكلام ، ينظم ما يجـوز كتبه كمـا يقـول عنـه المؤرخون ، قـد تحدث مـع جنوده باللغـة التى يفهمونهـا ، ثـم جـاء المؤرخون العـرب فعربوا هـذه الخطبة ، وصاغوهـا تلك الصياغة الادبية الممتـازة أنظـر فى نقـد الخطبة د ٠ السـيد عبد العزيـز سالم : تاريـخ المسلمين صفحة : ٧٧ — ٧٨ والعبادى فى تاريخ المغـرب والاندلس صفحة ٦٣ — ٦٥ محمـد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس جـ ١ صفحـة ٤٦ — ٤٨ وعبد الرحمن على الحجى : التاريخ الاندلسى ٠ صفحة ٥٧ — ٦١ ٠ وانتهز الفرصـة للاشـارة الى أن بعض المصادر التاريخية والادبيـة قـد نسبت الى طارق بن زيـاد بعض أبيـات من الشـعر التى قالهـا أثنـاء أو بعد عبوره الى الاندلس ٠

ركبنـا سفينـا بالمجـاز مقـيرا
عسى أن يكـون الله منـا قد اشـترى
نفوسـا وأموالا وأهـلا بجنـة
اذا مـا اشتهينـا الشىء فيهـا تيسرا
ولسـنا نبالى كيف سالت نفوسـنا
اذا نحن أدركنـا الذى كان أجـدرا

ويعلق ابن سعيد الذى أورد هذه الابيـات : بأنهـا مما يكتب لمراعـاة صاحبهـا ومكانه لا لعلو طبقتهـا ٠ (انظـر المقرى : نفح الطيب جـ ١ صفحة ٢٦٥) ٠ ولعل فى ذلـك اشـارة أخـرى الى ما تتـول بـه بعض المصادر من بلاغـة طارق ونظمه ما يجوز كتبـه ٠

وبدأت المعركة بمناوشات بين الفريقين بعد أن فصل النهر بينهما عدة أيام ، كان لها أثرها الكبير فى نفسية المقاتلين ، ففى الوقت الذى كان المسلمون متحمسين للجهاد ، ويدفعهم الايمان الى الاستبسال ، والرهبة من كثرة الاعداد تتحول فى نفوسهم الى عزيمة واصرار على النصر ، كان جيش الاعداء يموج بعوامل الحقد والكراهية وعدم الاتفاق على الهدف ، وبرزت رؤوس الفتنة ، وعوامل الاختلاف ضد الملك لذريق وأصبح هدف بعضهم الاساسى تحقيق مصالحهم الشخصية أو الاقتصاص لكل ما عانوه فى الماضى .

ويبدو أن يليان وبعض أنصاره قد عادوا الى أرض المعركة بعد أن كان قد تركه طارق على الجزيرة الخضراء بعد تقدمه الى الشمال الغربى ، واعتقد أنه عاد مع المدد الذى أرسله موسى لنجدة طارق ولعل هذا يفسر لنا الاختلاف بين قول ابن عبد الحكم بأن يليان كان قد تخلف ومن كان معه بالجزيرة الخضراء ليكون أطيب لانفس أصحابه وأهل بلده (٨٨) وقول المقرى عند الحديث عن المعركة « ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله وأهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار » (٨٩) .

وكان أكثر جنود القوط حقدا على ملكهم هم أبناء الملك غيطشة الذين دارت فى رؤوسهم عوامل الانتقام والثأر ، واجتمعوا على الغدر بالملك لذريق ، وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه ، وأنهم غير تاركى حقهم لديه ، ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها ، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة ، وهى التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه (٩٠) .

---

(٨٨) ابن عبد الحكم : المصدر السابق صفحة : ٧٣ وانظر عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة : ٧٣ .

(٨٩) المقرى : النفح جـ ١ صفحة : ٢٥٧ .

(٩٠) المقرى : النفح جـ ١ صفحة : ٢٥٨ — واظر أيضا رواية أخرى بنفس الكتاب صفحة : ٢٣٢ وأورد المقرى رواية مفادها ان طارقا أعطى الامان=

تجمعت عوامل النصر لدى المسلمين ، وعوامل الهزيمة على المشركين ، وسبقت كلمة الله سبحانه وتعالى » وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٩١) و « أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » (٩٢)٠

استمر القتال ثمانية أيام كاملة ، صبر فيها الناس صبرا عظيما ثم هزم الله المشركين ، فقتل منهم خلق عظيم ، أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض ، وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل وصفه ، فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتمهم الذهب يجدونها فى أصابعهم ، ويعرفون من دونهم بخواتمهم الفضة ، ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس ٠

انتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ، وهزيمة نكراء للقوط ، ولم يعرف أحد مصير الملك الاسبانى حيث اختفى بعد المعركة اختفاء أسطوريا ، وفشل المؤرخون فى الوصول الى رأى حول مصير هذا القائد الاسبانى ، وتذهب الروايات فى هذا الاتجاه الى ثلاثة مناحى :

أولا : أنه هرب من أرض المعركة ، وقام بتنظيم المقاومة الى أن قتل ثم حمل أصحابه جثته الى شمال أسبانيا (٩٤) ٠

= لأولاد غيطشة وأنهم استأذنوه باللحاق بموسى بن نصير بأفريقية ليؤكد سببهم به وسألوه الكتابة اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهد ففعل وقابلوا موسى الذى أرسلهم بدوره الى الخليفه الوليد بن عبد الملك ، الذى اكرمهم وانفذ لهم عهد طارق فى ضياع والدهم ، وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم عهدا على أن لا يقوموا لاى داخل عليهم ، فقدموا الاندلس ، وحازوا ضياع والدهم أجمع واقتسموها على موافقة منهم ، نفس المصدر صفحة : ٢٦٥ — ٢٦٦ ٠

(٩١) سورة الروم : الاية (٤٧) ٠

(٩٢) سورة المجادلة : الاية (٢٢) ٠

(٩٣) المقرى : النفح جـ ١ صفحة : ٢٥٩ نقلا عن الرازى ٠

(٩٤) انظر مقالة د ٠ حسين مؤنس : رواية جديدة عن فتح الاندلس التى سبق الاشارة اليها ٠ والدكتور العبادى فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٦٨ ودراسات فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٣٤ والدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة ٨٠ وصفحة ٩٨ وما بعدها ٠

ثانيا : انه غرق فى النهر ولم يعثر له على اثر بين القتلى (٩٥)
ثالثا : أنه سقط صريعا على أرض المعركة قتله طارق بن زياد أو غيره من المسلمين (٩٦) ٠

---

(٩٥) تميل الى هذا الرأى معظم المصادر التاريخية فيقول صاحب أخبار مجموعة « وغاب لذريق فلم يدر أين وقع ، الا أن المسلمين وجدوا فرسه الابيض وكان عليه سرج له من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، قد ساخ الفرس فى الطين وفى السواخ وقع فيه وغرق العلج فلما اخرج رجله ثبت الخف فى الطين ، والله أعلم من أمره ، لم يسمع له خبر ولا وجد حيا ولا ميتا صفحة : ٩ أما ابن الكردبوس فيقول » ولم يعرف لملكهم لذريق خبر ، ولا بان له أثر فقيل انه ترجل ، واراد ان يستتر فى شاطىء الوادى فصادف غديرا ، فغرق فيه فمات ، ولهذا وجد فيه فرد خفه وهو مرصع بالدر والياقوت عليه المخمل ، فانسل من رجله ، وقوم فى المغنم بمائة ألف دينار » صفحة : ٤٨ وينقل ابن عذارى عن الرازى قوله : وقتل الله لذريق ومن معه ، وفتح للمسلمين الاندلس ، ولم يعرف للذريق موضع ولا وجدت له جثة ، وانما وجد له خف مفضض، فقالوا انه غرق ، وقالوا أنه قتل والله أعلم (البيان ج ٢ صفحة : ٨) اماصاحب كتاب الذكر فيورد لنا « قيل انه غرق فى النهر لان المجاز كان وعرا ، وفرت الروم وقد فقدوا لذريق ووجد خفه فى النهر (ج ١ صفحة ٩٩) وتقول احدى روايات المقرى » : ورمى لذريق نفسه فى وادى لكة ، وقد أثقلته السلاح ، فلم يعلم له خبر (النفح ج ١ صفحة : ٢٥٨)

(٩٦) ينقل لنا المقرى رواية صريحة عن مقتل الملك لذريق على ارض المعركة فيقول : « فلما رأى طارق لذريق قال : هذا طاغية القوم ، فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة بين يدى لذريق ، فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره ، فلما رأى اصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمؤمنين (النفح ج ١ صفحة ٢٤٢) وفى رواية أخرى ينقلها عن ابن حيان بعد أن يورد رواية الفتح فيقول : وانهزم القوط أعظم هزيمة ، وقتل ملكهم لذريق ، وغلبت العرب على الاندلس » النفح ج ١ ص ٢٤٩ ٠ أما ابن قتيبة فينفرد بقوله » فاحتز طارق رأس لذريق وبعث به الى موسى بن نصير ، وبعث به موسى مع ابنه ، واحضر معه رجالا من افريقية ، فقدم به على الوليد بن عبد الملك (الامامة والسياسة ج ٢ صفحة : ٦١) ٠ ويقول صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس » : فانهزم الروم ، وولوا الادبار ، وتحكمت فيهم سيوف المسلمين ، وفر لذريق فادركه المسلمون بوادى الطين فقتل هو ومن كان معه (ج ١ صفحة : ٩٩) ٠ هذا ولقد اورد المؤرخون المعاصرون جميع هذه الروايات أو بعضها انظر كتابات د ٠ عبد العزيز سالم ، =

كان لانتصار المسلمين فى معركة شذونة صدى عاليا دوت به الافاق بين ربوع بلاد المغرب والاندلس ، كما كان له تأثير شديد على الناس فى كلتا المنطقتين ففى المغرب حين تسامع الناس بذلك النصر المبين ووصلتهم أخباره حتى تسارعوا من كل ناحية يعبرون المضيق الى الاندلس « بكل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق » (٩٧) . وفاض سيل البربر من كل ناحية على الاندلس ، والتحقوا بقوات المسلمين الظافرة أو استقروا فى الجهات المفتوحة واصبح من الصعب على طارق ابن زياد أن يتحرك بهذا الجيش اللجب ، فمال الى نصيحة يليان الذى قال له « قد فرغت من الاندلس وهؤلاء ادلاء من أصحابى فرق معهم جيوشك ، وخذ أنت الى طليطلة (٩٨) .

أما فى الاندلس فلقد كان للانتصار وقع الصاعقة على الناس من كافة الطبقات ، اذ لم يكن احد يتصور فداحة الهزيمة التى تعرض لها القوط فهرب القوم ، وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ، ولحقوا بالجبال « كما يقول الرازى وقذف » الله الرعب فى قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل فى البلاد ، وكانوا يحسبونه راغبا فى المغنم عاملا على القفول . فسقط فى ايديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل ، وصعد ذووا القوة منهم الى دار مملكتهم فى طليطلة (٩٩) .

= والعبادى ومحمد عبد الله عنان عند حديثهم عن المعركة ، ويشير الاستاذ محمد عبد الله عنان نقلا عن بعض الروايات النصرانية الى ان ملك القوط قد فر الى بعض الاديرة فى البرتغال ، وعاش متنكرا حينا من الدهر « انظر دولة الاسلام فى الاندلس ج ١ صفحة : ٤٥ . وعن مقتل لذريق بيد طارق فى المعركة انظر ابن خلكان ج ٥ ص ٣٢٨ .

(٩٧) المقرى : النفح ج ١ صفحة ٢٥٩ .

(٩٨) أخبار مجموعة صفحة ١٠ ويورد ابن عذارى نصا قريبا يقول فيه « قد فتحت الاندلس ، فخذ من أصحابى ادلاء ، ففرق معهم جيوشك ، وسرأنت الى مدينة طليطلة ففرق جيوشه من استجة » ج ٢ صفحة : ٩ .

(٩٩) انظر النصين المشار اليهما عند المقرى فى نفح الطيب ج ١ صفحة : ٢٥٩ — ٢٦٠ ، كما أنه يورد نصا ثالثا يقول فيه « وانقرضت أمم القوط وأرز — أورى — الجلالقة ومن بقى من أمم العجم الى جبال قشتالة وأربونة ، وأفواه الدروب فتحصنوا بها . صفحة : ٢٣٤ .

لقد أعادت هذه المعركة الخالدة ذكرى انتصارات المسلمين المدوية فى اليرموك وأجنادين والقادسية ونهاوند ، تلك المعارك التى حسمت مصير الاقاليم الواقعة بها ، وبالفعل حسمت معركة شذونة مصير الاندلس كله ، ولم يجد المسلمون بعد ذلك صعوبات كبيرة فى اكمال فتح الاندلس ، حتى وصل الامر ببعض المؤرخين الاسبان المعاصرين فى تقديرهم لباقى عمليات الفتح الاسلامى للاندلس الى القول بأنها لم تكن أكثر من مجرد نزهة عسكرية (١٠٠) ٠

طارق بعد معركة شذونة :

كتب طارق الى موسى بأخبار الفتح (١٠١) ٠ وانطلق خلف فلول القوط يقضى على مقاومتهم من مكان الى آخر ، حتى التقى بمقاومة شديدة لبقايا الجيش المنهزم عند مدينة استجة ، فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بين المسلمين (١٠٢) ٠

وجاء نصر الله ، وتمكن طارق من أسر صاحب المدينة حين خرج وحيدا لقضاء بعض حاجته ، فصادفه طارق بن زياد الذى صالحه على ما أحب وضرب عليه الجزية ، وخلى سبيله ، فوفى بما عاهد عليه (١٠٣) ٠

ويبدو أن معركة استجة كانت بمثابة الضربة شبه القاضية التى أصابت القوط ، حيث تضعضعت قواهم بعدها وأصابهم اليأس والقنوط ٠

---

(١٠٠) أنظر الدراسة القيمة التى قدم بها الدكتور أحمد مختار العبادى لكتاب ابن الكردبوس تاريخ الاندلس صفحة : ٤٠ وكذلك كتابه ٠ فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٦٩ ودراسات فى المغرب والاندلس صفحة ٣٥ ــ ٣٦ والدكتور على حبيبة : مع المسلمين فى الاندلس صفحة : ٩٩ ومحمد عبد الله عنان : دولة الاسلام جـ ١ صفحة : ٤٦ ــ ٤٩ ٠

(١٠١) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٧ ، الدار البيضاء ١٩٧٨ ابن خلدون : تاريخ جـ ٤ صفحة :١١٧٠

(١٠٢) المقرى : النفح جـ ١ صفحة : ٢٦٠ ٠

(١٠٣) مجهول : أخبار مجموعة صفحة : ٩ ٠ ابن عذارى ٠ البيان جـ ٢ صفحة : ٨ ٠

ويرى يليان أن قــوة القوط الاســاسية قــد تدمــرت تقريبــا ، وفى نفس الوقت أحس بأن الجيش الاسلامى قــد تضخم كثيرا بمن انضم اليهم ممن عبر المضيق والتحق بالجيش — ولــم يعــد هنــاك حاجــة الى الجيش الكبير لان المعــارك الاساسية قــد انتهت ، وأن المطلوب الان خفــة الحركــة فى اتجاهــات كثيرة ، تقضى على شراذم المقاومــة ، وتفتح الاقاليم فتقــدم بالنصيحــة الى طارق بن زيــاد : « قــد فضضت جيوش القــوم ورعبوا ، فاصــمد لبيضتهم ، وهؤلاء أدلاء من أصحابى مهرة ، ففــرق جيوشــك معهم فى البلاد ، وأعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم ، فاشــغل القــوم عن النظــر فى أمرهم ، والاجتمــاع الى أولى أمرهم ، ففرق طــارق جيوشه من استجة (١٠٤) ٠

---

(١٠٤) العبارة بنصهــا فى نفــح الطيب ج ١ صفحة : ٢٦٠ كمــا أنهــا بكلمات أخــرى وردت فى أخبار مجموعة صفحة ١٠ والبيــان المغــرب ج ٢ صفحة ٩ ٠ ويثير التأمــل فى هــذه العبارة الكثير من التساؤل حــول حقيقة العلاقــة التى كانت تربط يليــان حاكم سبتة بأبنــاء الملك غيطشة وانصاره٠ ينقل لنــا الدكتور حسين مؤنس فى فجــر الاندلس صفحة ٧٥ رواية ردريجو الطليطلى بأن حــزب غيطشــة قــد حسب أن الفرصــة قــد سنحت لاعــلان واحــد منهم ملكا مكان الطاغية المهزوم وفعــلا بذل وقلة (أخيلا) جهــدا كبيرا لكى يصدر عن مجلس طليطلة قرارا باعتباره ملكا ٠

ونحن نرى فى هــذه العبارة أن يليــان يحث طارقــا على أن يسرع ليشغل القــوم عن النظــر فى أمرهم والاجتمــاع الى أولى أمرهم ، فهــل يمكن أن نقــول اعتمادا على ذلــك أن يليــان كــان يــدرك منــذ البدايــة أهداف المسلمين الحقيقية ؟ وهــل كان راغبــا حقــا فى أن ينجح أبنــاء غيطشة فى تنصيب أحدهم ملكــا ؟ ٠ لقــد سبق أن تناولنــا قضيــة العلاقــة بين ابنــاء غيطشــة والفاتحين ، ووجدنــا أنهم لــم يشترطوا الا أن يمنحوا أملاك والدهم فقط ٠ أمــا يعطينــا هــذا الموقف اذا ما تأملنــاه ، وموقف يليان ، الحق فى القول بأن هــذه العناصر لــم تكن تنظــر الى المسلمين على أساس أنهم طامعون فى الغنائم فقط ، بــل انهم كانوا يدركون اهــداف المسلمين الحقيقية ؟ أمــا يعيدنــا ذلــك الى التفكير فى ذلــك النص الجديد المنسوب الى ابن الرقيق اذ يــرد فيــه على لســان يوليــان — سواء كــان حاكم سبتة أو ابن ملك الاندلس — قوله لقومــه : انى توثقت لكم فاعلموا أنها دولــة العرب وهم يملكون الاندلس ، ودعاهم أن يأخــذوا نصيبهم منهــا فاعجبهم ذلــك ورغبوا فيه ، وكتب لهم طارق بالامان على أنفســهم — وذراريهم وأموالهم » انظر ذلــك النص ضمن مقالة د ٠ حســين مؤنس العدد (١٨) من مجلــة المعهــد المصرى بمدريــد ٠

فتح الطريق تماما أمام المسلمين لكى يتقدموا الى قرطبة وطليطلة وبدأت فرق المسلمين تنفيذ ما وضعه لها قائدها العام الذى سار بقوة الجيش الرئيسية الى طليطلة عاصمة القوط ومركز الحكم فى أسبانيا خلال القرون الماضية فى الوقت الذى اتجهت فيه الفرق الاخرى لافتتاح بعض مناطق جنوب أسبانيا وشرقها ، تؤمن طريق الجيش الرئيسى الذى سلك الطريق القديم المعروف باسم طريق هانيبال ، والذى ما يزال حتى الان هو الطريق الذى يربط جنوب أسبانيا بوسطها وشمالها نتيجة لسلاسل الجبال التى تعترض المنطقة ، واختلفت آراء المؤرخين سواء القدامى منهم أو المعاصرون ، حول شخصية قائد جيش المسلمين الذى فتح مدينة قرطبة ، فجعله بعضهم مغيث الرومى الذى أرسله طارق بن زياد فى حوالى سبعمائة فارس الى المدينة حيث تمكن من فتحها ، وأسر حاكمها ، والقضاء على حاميتها . وتحدث آخرون عن أن فاتح قرطبة هو طارق بن زياد نفسه الذى فتح المدينة وهو فى طريقه الى طليطلة ، وأميل شخصيا الى أصحاب الرأى الثانى ، انطلاقا من عدة قناعات ، أولها أن قرطبة تقع على الطريق الى طليطلة ، وثانيا أنها المدينة التى سبق للذريق أن استقر بها فى طريق عودته من شمال أسبانيا متجها الى لقاء طارق فى معركة شذونة ولعله قد ترك فى هذه المدينة قبل المعركة ما يدفع المسلمين الى الاسراع فى فتحها وهم فى طريقهم الى العاصمة القوطية كما أن كثيرا من المؤرخين القدامى يميل الى ذلك الرأى وفى ذلك يقول ابن القوطية بعد حديثه عن انتصار طارق على لذريق « ثم تقدم الى استجة ، والى قرطبة ، ثم الى طليطلة ، ثم الى الفج المعروف بفج طارق (١٠٥) .

---

(١٠٥) ابن القوطية : افتتاح الاندلس صفحة : ٣٥ أما عن اختلاف المؤرخين حول فتح قرطبة فقد ذهب الى الرأى القائل بأن مغيث الرومى هو الذى فتحها كل من صاحب كتاب أخبار مجموعة انظر صفحة : ١٠ — ١٢ وابن عذارى البيان جـ ٢ صفحة : ٩ — ١١ وابن الكردبوس فى تاريخ الاندلس صفحة : ٤٨ — وكذلك المقرى فى نفح الطيب جـ ١ صفحة : ٢٦١ . ويمضى معهم فى هذا الاتجاه من المؤرخين المعاصرين د . حسين مؤنس فى فجر الاندلس حيث يقول : ولو قائد غير طارق لاتجه نحو قرطبة ، وأنفق وقتا طويلا الاستيلاء عليها ، ولكنه كان قد علم =

... ...

= بعض ما كان يدور اذا ذاك فى طليطلة ، وعرف أن الظروف لا تسمح بانفاق الوقت فى الحصول على مدائن جنوبى الجزيرة كقرطبة وغرناطة ومالقة فعجل بارسال مغيث الرومى فى قوة كبيرة الى قرطبة ليشغل من فيها عن قطع طريق عودته ثم مضى بمعظم جيشه مسرعا نحو طليطلة » صفحة : ٧٧ والدكتور عبد العزيز سالم فى تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة : ٨٢ • والدكتور أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٦٩ • الدكتور عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الاندلسى صفحة : ٦٤ د • ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى الاندلس صفحة : ٣٢٠ وغيرهم •

أما الذين قالوا بأن فتح قرطبة قد تم على يد القائد طارق بن زياد شخصيا فهم الغالبية من المؤرخين القدامى وأولهم ابن عبد الحكم الذى يجعل من المدينة هدفا يسعى اليه طارق » وزحف يريد قرطبة صفحة : ٧٣ ويجعل قتاله لمدينة قرطبة قبل اشتباكه مع لذريق فى معركة شذونة » فلما جاز طارق تلقته جنود قرطبة ، واجترأوا عليه للذى رأوا من قلة أصحابه ، فاقتتلوا مع طارق فاشتد قتالهم ثم انهزموا ، فلم يزل يقتلهم حتى بلغ مدينة قرطبة ، وبلغ ذلك لذريق فزحف اليهم من طليطلة » • صفحة : ٧٤ — ٧٥ • وابن القوطية فى النص المشار اليه فى متن هذا الكلام • والحميدى فى جذوة المقتبس حيث يقول وقد استولى طارق على قرطبة دار المملكة ، وقتل لذريق ملك الروم بالاندلس صفحة : ٤ والمراكشى فى المغرب فى تلخيص أخبار المغرب صفحة : ٢٢ وصاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس الذى ينص على ذلك فى وضوح قائلا : وسار طارق الى قرطبة بعد قتال لذريق ففتحها ، وأصاب بها من الذهب والفضة واصناف الجواهر ما لا يحصى ، وأخذ فيها من السبى اثنى عشر ألف امرأة ، ثم سار الى طليطلة لفتحها وفتح بلادا كثيرة ج ١ صفحة : ٩٩ • وأخيرا أشير الى الدراسة التى نشرها د • حسين مؤنس الخاصة بفتح الاندلس منسوبة الى ابن الرقيق — سبق الاشارة اليها — والتى أثارت العديد من القضايا ، ومنها فتح طارق شخصيا لمدينة قرطبة اعتمادا على ما جاء بهذا الكتاب الذى نشر منذ مدة فى تونس بتحقيق الاستاذ المنجى الكعبى ، ولقد سبق لى القول بتأييد ذلك الرأى فى تعقيبى على مقالة استاذى الدكتور مؤنس ونشر ذلك التعقيب فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد العدد ١٩ لعام ١٩٧٩ م • الصفحات ١٤١ — ١٤٤ ضمن عرضى للكتب والابحاث الجديدة بهذه المجلة •

فتح طليطلة :

بعـد أن فتح طارق مدينـة قرطبة ، استمـر فى زحفه نحـو الشـمال حتى بلغ العاصمـة طليطلة ، والتى لـم يواجه بهـا مقاومـة جديـة لان سكانهـا سبق لهم هجرهـا والهـرب منهـا ، وألفاهـا طارق خاليـة ، ليس فيهـا الا اليهود فى قوم قلة ، وفـر علجهـا مع أصحابه (١٠٦) وتسرف الروايـات التاريخيـة فى الحديث عن الغنـائم التى أفاءهـا الله على المسلمين من فتحهم لمدينـة طليطلة • وتقـدم طارق بعـد ذلـك الى وادى الحجارة ومنهـا الى بلدة تطلق عليهـا المصـادر العربيـة اسـم « مدينـة المائدة » وفى هـذه المدينة وجـد طارق كنوز القوط ، ومنهـا المائـدة التى اطلق عليهـا المؤرخون المسلمون « مائدة سليمان » (١٠٧) •

---

(١٠٦) ابن عذارى البيـان المغـرب ج ٢ ص ١٢ ، ومـع اسراف المصادر فى الحديث عن الغنائم الا أن الغالبيـة من المؤرخين تمـر مرورا سريعـا على فتح طليطلة دون تفصيل ، فيقول ابن القوطيـة : ثـم تقـدم الى استجة والى قرطبة ، ثـم الى طليطلة ، ثـم الى الفج المعروف بفـج طارق « ص ٣٥ • ويقـول صاحب الاخبـار المجموعة : » وسـار طـارق حتى بلغ طليطلة ، وخلى بهـا رجالا من أصحابه ، فسـلك الى وادى الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طـارق « ص ١٤ • أمـا صاحب كتاب ذكـر بلاد الاندلس فيروى » وسار طارق الى قرطبة بعـد قتـل لذريق ففتحـها ، وأصـاب بهـا من الذهب والفضة وأصناف الجواهـر ما لا يحصى وأخـذ فيهـا من السبى أثنى عشر الف أمرأة ، ثـم سـار الى طليطلـة ففتحهـا ، وفتح بلادا كثيرة » ج ١ ص ٩٩ •

(١٠٧) يجمـع المؤرخون المعاصرون على أن مدينـة المائـدة التى وردت فى كتابات مؤرخى المغـرب والاندلس هى التى عرفت باسـم قلعة عبد السلام أو قلعة هنارس Alcala de Henares • أما المائدة المشـار اليها فهناك اصرار من المؤرخين المسلمين على أنهـا مائدة سليمـان بن داود عليهمـا السلام (انظـر اخبار مجموعـة ص ١٥ ، وابن عذارى ج ٢ ص ١٢ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢٦٥) •

أمـا المؤرخون المعـاصرون فانهم يستبعدون كـون هـذه المائـدة لسليمـان بن داود عليهمـا السلام ، ويرون فيهـا أنهـا كانت مذبـح كنيسـة طليطلة الكبرى • ولا شـك أنهـا كانت تحفـة فنيـة رائعة الى درجـة أثارت اعجـاب المؤرخين عامـة (انظـر فى ذلـك فجـر الاندلس ص ٧٨ ، وتاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٨٣ — ٨٤) • =

كما أنه عثـر على كنوز كنيســة طليطلة التى كانت تجمعهـا من الذخور والهـدايـا ٠

ويرى بعض المؤرخين الاسبان بأن كنيســة القديســين بطرس وبابلـو Pedro Y Pablo الملحقة بالقصر الملكى بطليطلة كان بهـا حجـرة ذات جدران مصمتة وقويــة يحتفظ فيهـا بالتيجـان الذهبيــة التى كان يذخرهـا ملوك اسبانيـا للكنيســة ، وبالاضـافة الى كميـات أخـرى

= هذا ولقـد قادت المستشرقة الاسبانيــة الدكتورة ماريـا خيسوس روبيرا بدارســة عن المائدة حاولت فيهـا أن تؤكـد نسبة المائـدة الى القدس الشريف ، وأن الرومان قـد حملوهـا معهم الى رومـا ، ومن هنـاك حملهـا القوط الى اسبانيـا لتصبح حاملة الشموع أو المذبح فى كنيســة طليطلـة العظمى (انظـر فى ذلـك المقـالة المنشورة بمجلة Awraq; No III Rubiera; : La Mesa de Salamon; pp.26-32. Madrid.1980.

ولقـد سبقها الى نفس التفسير ابن الأثير حيث يروى « أن عجم رومة هم الذين غـزوا بيت المقدس ونقلوا مائدة سليمـان من هنـاك الى طليطلة (انظـر الكامل ج ٤ ص ١٢٠)٠

ويأتى ابن الرقيق بتفسير آخـر لوصول هـذه المائـدة الى طليطلة فيقول : « وان سبب وصولهـا الى طليطلة أن الروم أخـذوا ما كـان فى بيت المقدس من مكارم الانبيـاء عليهم السلام ، حملوهـا الى مدينــة رومية وحمـل أساقفة النصارى مائدة سليمـان الى الاسكندريــة ، فلمـا غــزا عمرو بن العاص مصر هربوا الى مدينــة طرابلس ، فلمـا نزل عمرو بن العاص لبدة هـرب بهـا الروم الى قرطاجنة ، فلمـا دخل المسلمون أفريقيـة هربوا بهـا الى مدينــة طليطلة ، ولـم يكن لهم أمنـع منهـا » (انظــر تاريخ أفريقيـة والمغـرب لابن الرقيق ص ٨٠) ومقالة د ٠ حســين مؤنس المشـار اليهـا ص ١٠٧ ٠

= أما ابن الشباط فيروى ان « اشبان ابن طيطش من نسـل طوبال كان أحد الاملاك الاشبانيين ، وخص بملك أكثـر الدنيـا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فلما ملك نواحى الاندلس ، وطاعت له أقاصيهـا خرج فى السفن من اشبيلية الى ايلياء « بيت المقدس » فغــنمها وهدمها وقتل من اليهــود مائة ألف وسبعمائة ألف ، وفرق فى الآفاق منهــم مائة ألف ، ونقل رخامهــا الى اشبيلية وماردة ، وأنه صـاحب المائـدة » ذكــر ذلـك أحمـد بن محمد الرازى (انظـر كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط المنشور ضمن تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، تحقيق أحمـد مختار العبادى ص ١٣٩) ٠

هائلة من كنوز الذهب والفضة ، وقد أطلقت الاسطورة الشعبية الاسبانية على هذه الحجرة اسم « كهف هرقل » وتشير الرواية الى أن الملك لذريق ، رغم حاجته الى المال الا أنه لم يمد يده الى ما فى هذه الحجرة مما سهل وقوعها كاملة بين يدى طارق بن زياد (١٠٨) ويؤيد ذلك ما ينقله المقرى عن بعض الرواة قائلا : « أنه وجد فى طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد بها ألف سيف ملوكى ، ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ، ومن أوانى الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ، ومائدة سليمان » (١٠٩) ٠

عاد طارق بعد ذلك الى طليطلة لالتقاط الانفاس ، وحتى لا يوغل كثيرا فى مناطق مجهولة ، وخشية أن يقطع عليه الاعداء الطريق وخاصة مع دخول الشتاء ، وقسوة المناخ فى هذه المناطق ، ولعله كتب الى مولاه موسى بن نصير بأخبار فتوحاته ، طالبا منه المدد أو النهوض اليه فى الاندلس ، حيث يذكر مؤلف كتاب ذكر بلاد الاندلس « بأن طارقا قد كتب بالفتح الى موسى بن نصير » (١٠٩ أ) ٠

ويرى لويس فرنانديث أن طارقا قد خرج من قلعة عبد السلام Alcala de Henares « مدينة المائدة » مستخدما الطريق الرومانى القديم المعروف باسم Buitrago (١٠٩ ب) حتى وصل الى أمايا Amaya ، وليون Leon وأسترقة Astorga

---

(١٠٨) Villa Real. Historia Critica de Espania. 2Ed Granada 1889, p. 153.

(١٠٩) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٩ ٠

(١٠٩أ) مجهول المؤلف ـ ذكر بلاد الاندلس ٠ ج ١ ص ٩٩ ٠

(١٠٩ب) ويتطابق هذا مع ما جاء فى بعض مصادرنا العربية وتحديدها بأن موسى قد التقى مع طارق بن زياد عند استرقة بعد عبوره الى جليقية من الفج المعروف باسم موسى ، (انظر ذلك ابن القوطية تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٦ ٠ ، والمقرى فى نفح الطيب ج ١ ص ٢٧١)٠

موسى بن نصير فى الاندلس

أسباب عبور موسى الى الاندلس :

اشارت روايات عربية كثيرة الى ان موسى بن نصير حين بلغته أخبار النجاح العظيم الذى أحرزه طارق بن زياد ، قد أخذته الغيرة وأكله الحسد لما حازه مولاه من شرف الفتح ، وانه اسرع بالعبور لكى ينال نصيبه من هذا الشرف ، ويأخذ بحظه من المشاركة فى الفتح (١١٠) لكن النقد التاريخى ، والدراسات المتأنية التى تعرضت لهذه المسألة قد أنكرت تماما أن عبور موسى الى الاندلس نتيجة لما اعتمل فى صدره من حسد ، أو هاج فى نفسه من عوامل غيرة ، أو حتى ما ثار فى نفسه من غضب نتيجة لتعدى طارق بن زياد أوامره أو التقدم الى أبعد مما أمره (١١١) .

تشير عدة من مصادرنا التاريخية الى أن طارق بن زياد هو الذى كتب الى موسى بن نصير يستنجده قائلا « ان الامم تداعت علينا

---

(١١٠) يذكر ابن القوطية أنه لما بلغ موسى بن نصير ما تيسر لطارق حسده على ذلك وقدم فى حشد كبير ص ٣٥ . ، والى ذلك يمضى كاتب أخبار مجموعة ص ١٥ . ، أما ابن عذارى فيورد عدة روايات فيقول : « وكان السبب فى عبور موسى بن نصير الى الاندلس أنه اغرى بطارق عبده ، وذكر له ما أفاء الله عليه ، فكتب له موسى بأقبح السب ، وأمره الا يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه ، قال ابن القطان : قيل انما حمله على الجواز الى الاندلس تعدى طارق ما أمره به ألا يتعدى قرطبة ، على قول أو موضع هزيمة لذريق على قول . وقيل ايضا انما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم . وقيل أيضا : انما جاز باستدعاء طارق » ج ٢ ص ١٣ . وينقل المقرى عن ابن حيان وغيره : ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد ، وما اتيح له حسده وتهيأ للمسير الى الاندلس . النفح ج ١ ص ٢٦٩ .

(١١١) تصدى لتنفيذ هذه المسألة ببراعة كبيرة الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى كتابه تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٩١ - ٩٢ . وكذلك الدراسة القيمة للدكتور محمد محمد زيتون « تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح الاندلس » مجلة كلية العلوم العربية بالرياض ، العدد الثانى ١٩٧٨ م .

فالغوث الغوث ، فلمـا أتاه الكتـاب نادى فى النـاس وعسـكر ، كمـا أنه كتب من لحظته الى ابنـه مروان بالمسير ، فسـار مروان بمن معه ، حتى أجـاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى (١١٢) ٠

ومن هنـا يتضح لنـا بجلاء أن عبور موسى الى الاندلس كـان لسبب حربى بحت هو تدعيم موقف المسلمين فى الاندلس ، وانجاد طـارق بن زياد ومن معـه ٠

ولقـد كان موسى بن نصير على علم تام بخط سير حملة طـارق ومـا فتحه من مدائن ، ومدى توغـل المسلمين فى الاندلس ، واستطاع وهو فى افريقيـة أن يقدر خطورة الموقف ، وأن يدرك أن خطوط عـودة المسلمين فى الاندلس معرضـة للخطـر ، وانتابته هواجس أحداث الفتوحـات الاسلامية فى أفريقيـة فبادر بالكتـابة من فوره الى ابنـه مروان — الذى كـان أقـرب الى الاندلس من موسى بن نصير — لكى يعبر الى الاندلس بمن معـه ، كما أنه نادى فى الناس وعسكر ، ولعله كتب الى طارق أن يثبت فى مكـانه وأن لا يتقدم الى ما هو أكثـر من ذلـك حتى يصـل اليه ، وأخـذ يستكمل قوته ويجهزهـا للعبور الى الاندلس ، ولقـد سبقت الاشارة الى أن مـوسى بن نصير كان حين وجه طارقـا الى الاندلس قـد أخذ فى عمـل السـفن حتى صـار معه سفن كثيرة (١١٣) ٠

---

(١١٢) ابن قتيبـة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦١ ٠ ولا ننسى رواية ابن عذارى عن ابن القطان « انمـا جاز باستدعاء طارق لـه » انظـر ج ٢ ص ١٣ ٠

(١١٣) انظـر أخبار مجموعـة ص ٧ ودراستنـا لموضوع قضـية سفن العبور الى الاندلس فى هذا الكتاب ص ١٠٨ وما بعدها ٠ ويرى الدكتور محمد زيتون أن معارك المسلمين فى الاندلس قد أفقدتهم بعض قوتهم ، وكذلك تركهم حاميـات فى البلاد التى افتتحوهـا ، ومن ثـم أصبحوا فى حاجـة الى مدد جديد لمواصلة الجهاد وتثبيت أقـدام المسلمين فيما استولوا عليه ، وقد كان على موسى بن نصير وهو القـائد الاعلى والمسئول عن نتائج هـذا الفتح ان يعبر سريعا لتثبيت الفتح ومواصلته خوفـا من أن يتمكن القـوط من قطـع خط الرجعـة على طارق خاصـة بعـد الانتشـار الذى قـام بـه ٠ (انظر تحليله التاريخى لمـا يذكـره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح =

عبور موسى فى الاندلس :

عبر موسى بن نصير الى الاندلس فى شهر رمضان من عام ٩٣ هـ — يونية ٧١٢ م) فى جيش كثيف يزيد على ثمانية عشر ألفا من المقاتلين غالبيتهم العظمى من العرب ، وفيهم أشراف القوم ، وعدد من التابعين رضوان الله عليهم . وكان موضع عبوره من سبتة الى الجزيرة الخضراء أو قريبا منها فى مكان عرف باسم « مرسى موسى » (١١٤) وهناك توافت اليه الجنود ، وتجمعت لديه القوات براياتها ، وأسس هناك مسجدا لعله أول مسجد قام المسلمون ببنائه فى الاندلس ، عرف باسم مسجد الرايات حيث كان مقرا لاجتماعات موسى بن نصير مع أصحاب راياته للتشاور ووضع الخطط العسكرية (١١٥) .

رأى موسى وقادته أن طارقا قد تمكن من قواعد وسط الاندلس الى جانب ما يجاورها ويقترب منها من مدن الجنوب الشرقى ، ولهذا اتجه تفكيره الى بلاد غرب الاندلس ، وجنوبها الغربى ، وذلك لكى يتمكن من القضاء على جيوب المقاومة التى بدأت فى التكون بهذه البلاد ، ولكى يفتح المدن الكبرى القائمة بهذه النواحى ، وتمكن من استدراج الادلاء الاسبان من أصحاب يوليان حين قال لهم : ما كنت أسلك طريق طارق ولا أقفو أثره ، فقال له العلوج الادلاء : نحن نسلك بك طريقا هو اشرف من طريقه ، وندلك على مدائن هى أعظم خطرا وأعظم خطبا ، وأوسع

= الاندلس ص ٣٦٠) . وما ذكره ابن الشباط من أن موسى بن نصير كتب الى ابنه مروان ساعة قدوم كتاب طارق اليه يأمره بالمسير الى الاندلس، فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى (فتح الاندلس ص ١٥٥) .

(١١٤) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ٣٥ .

(١١٥) انظر فى ذلك الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق ص ١٧٦ — ١٧٧ ، وكذلك كتابى : تاريخ التعليم فى الاندلس ، ص ٢٦٨ ، وانظر أيضا كتاب ابن سعيد الاندلسى « رايات المبرزين » حققه نعمان القاضى ، ثم أعاد تحقيقه وترجمته الى الاسبانية عميد المستشرقين الاسبان « دون حارثيا جوميث » . Garcia Gomez.

غدهـا من مدائنــه ، لـم تفتح بعـد ، يفتحهـا الله عـلى يديك ، فملىء سرورا (١١٦) . فساروا به الى مدينـة شذونة فافتتحهـا عنوة وألقوا بأيديهم اليــه ، ومنهـا سار الى مدينـة قرمونة ، وليس بالاندلس أحصن منهـا ، ولا أبعـد على من يرومهـا بحصـار أو قتـال ، فعمـد موسى الى الحيلة حيث سبقه الى المدينـة بعض رجـال يليـان ، وتمكنـوا من دخولها على اساس أنهم فلول منهزمة من الجيش القوطى وتمكنت هـذه الجماعة من الايقـاع بالحراس فى الوقت الذى اقترب فيـه موسى وجيشـه ليـلا من المدينـة وبذلـك تمكن من فتحهـا . ومن مدينـة قرمونة اتجـه موسى بن نصير الى اشبيليـة وتقـع على ضفاف الوادى الكبير فقـام بحصارهـا . وكانت اشبيلية كمـا يصفهـا المقـرى « من أعظم مدائن الاندلس شأنـا وأعجبهـا بنيانـا ، وأكثرهـا آثارا ، وكانت دار الملك قبل القوطيين فلمـا غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطـات الى طليطلـة وبقى رؤسـاء الدين فى أشبيلية » (١١٧) .

ظل موسى على حصـار مدينـة أشبيلية عـدة أشهر حتى تمـكن المسلمون من فتحهـا ، وينقـل الدكتور سـالم عن المستشرق الاسبانى سيمونيت أن ذلـك قـد تم بمسـاعدة من أسقف المدينـة ، والجـاليـة

---

(١١٦) المقـرى : النفح جـ ١ ص ٢٦٩ . أرجـع بعض المؤرخين سرور موسى بن نصير الى ما كان فى نفسـه من الحزن لمـا أصابه طـارق من نجاح ، دون أن يتنبهوا الى أن الهـدف الحقيقى من حملـة موسى كـان تدعيم أقدام المسلمين فى هـذه الارض الجديدة ومن هنـا فأى شىء يدخل السرور على نفس موسى أكثر من كونه علم بتلك الطرق التى لم يسلكهـا المسلمون من قبل وتلك المدائن الخطـرة التى لم تفتح بعـد ، نعم فـرح موسى لان الله قـد جعـل على يديـه فتح تلك الاقاليم الاعظم خطـرا والاعظم خطبا وذلـك غايـة ما يتمنـاه القـائد العسكرى .

(١١٧) المقرى : النفح جـ ١ ص ٢٦٩ . ويقـول صـاحب أخبار مجموعة « هى اعظم مداين الاندلس شانـا وخطبـا وأعجبهـا بنيانـا وآثارا وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلمـا غلب القوطيون حولوا السلطان الى طليطلة وبقى شرف الرومانيين وفقههم ودينهم ورياستهم فى دنياهم باشبيلية » ص ١٦ .

اليهودية (١١٨) . ولقد هربت حاميتها الاسبانية الى مدينة باجة ، وقام موسى بن نصير بضم يهود المدينة الى قصبتها (١١٩) ومعهم بعض المسلمين ثم سار الى مدينة ماردة أهم مدن اقليم غرب الاندلس فى ذلك الحين لانها كانت أيضا دار بعض ملوك الاندلس ، ذات آثار وقنطرة وقصور وكنائس تفوق الوصف (١٢٠) وكذلك كانت ماردة من أمنع معاقل استرامادورا Extrama dura. ومن أعظم مدن اسبانيا فى العصر الرومانى ، اذ أسسها الامبراطور أغسطس قيصر سنة ٢٥ ق . م ، وجعلها عاصمة لاقليم لشدانية Lusitania ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية فى اسبانيا حتى أصبحت تعرف بروما أسبانيا (١٢١) La Roma de Espana . ولقد قاومت هذه المدينة مقاومة شديدة ، وفقد المسلمون كثيرا من الشهداء ، وخاصة جماعة المسلمين الذين تقدموا فى حماية أحدى الدبابات التى صنعوها لكى يذقبوا سور المدينة واستشهدوا تحت دبابتهم . ودام حصار المدينة مدة طويلة حتى أضطر سكانها الى عقد صلح مع موسى بن نصير من شروطه أن تكون للمسلمين أموال القتلى من النصارى ، وأموال الفارين الذين هربوا الى جليقة فى الشمال ، وأموال الكنائس وحليها (١٢٢)

---

(١١٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم . ص ٩٥ . وليس لذلك أية اشارة فى مصادرنا الاسلامية اللهم الا أن موسى قد ضم اليهود الى حامية المدينة بعد ذلك . (انظر اخبار مجموعة ص ٧ ، والنفح ج ١ ص ٢٦٩ وغيرها) .

(١١٩) أخبار مجموعة ص ٧ ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٩ .

(١٢٠) أخبار مجموعة ص ١٦ . ويقول المقرى : وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر ذات عز ومنعة ، وفيها آثار وقصور ، ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف ، فحاصرها أيضا ، وكان من أهلها منعة شديدة وبأس عظيم (النفح ج ١ ص ٢٧٠)

(١٢١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص : ٩٥ — ٩٦ .

(١٢٢) تروى لنا المصادر الاسلامية قصة أدبية ديبلوماسية عن فن التفاوض مع سكان هذه المدينة يقول المقرى بعد حديثه عن استشهاد عدد من المسلمين : ثم دعا الناس الى السلم ، فترسل =

وذلك يوم عيد الفطر ٩٤ هـ . وفى تلك الاثناء تجمع فى مدينة اشبيلية عدد من الفارين من القوط وأمكنهم الاستيلاء على المدينة من حاميتها الاسلامية ، وقتلوا من المسلمين حوالى ثمانين رجلا وهرب الباقون الى موسى بن نصير ، الذى ما أن انتهى من فتح مدينة ماردة حتى وجه اليهم ابنه عبد العزيز الذى تمكن من الانتصار على المتمردين القوط ، وأن يعيد المدينة الى حوزة المسلمين ، كما تمكن من فتح لبلة وما جاورها فاستقامت الامور هناك ، وعلا الاسلام ، واتجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوال من عام ٩٤ هـ ، يريد طليطلة (١٢٣) .

لقاء طارق مع موسى بن نصير :

كانت نتائج معارك المسلمين حتى الآن على أرض الاندلس رائعة ، فقد تمكن طارق من شق هذه البلاد فى خط يمتد من الجنوب الى الشمال الشرقى حتى العاصمة طليطلة ، وتمكن موسى من أن يفتح المدائن الواقعة على خط آخر يمتد من الجنوب فى اتجاه الشمال الغربى حتى ماردة ، وآن لهما أن يلتقيا ليتشاورا فى نتائج حملاتها ، ويضعا خطط عملهما مستقبلا ، ولهذا اتجه موسى للقاء طارق بن زياد . واختلفت المصادر الاسلامية فى تحديد مكان لقاء القائدين الفاتحين فقال بعضهم بأنهما التقيا فى مدينة قرطبة ، حيث عبر موسى وقصد الى قرطبة ، فتلقاه

= اليه فى تقريره قوم من أماثلهم أعطاهم الامان وأحتال فى توهيمهم فى نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو ابيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر ، وعاودوه قبل الفطر بيوم ، فاذا به قد قنأ لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سود لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله ، فقالوا لقومهم اننا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاءوا ويتصورون فى كل صورة أحبوا ، كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى ان نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة ، فاذعنوا عند ذلك ، وأكملوا صلحهم مع موسى (نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧٠ ، وأنظر ايضا أخبار مجموعة ص ١٧) .

(١٢٣) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧١ .

طارق وأكبره وعظمه » (١٢٤) وبعضهم جعل اللقاء عند مدينة استرقة في شمال غرب اسبانيا ، حيث يشيرون الى ان موسى عبر بعد فتحه ماردة عبر من فج عرف بفج موسى الى جليقية ووافى طارقا باسترقة (١٢٥)

أما الغالبية العظمى من المصادر الاسلامية وكذلك المؤرخين المعاصرين فانها تجعل اللقاء عند مدينة طلبيرة Talabera الواقعة على الطريق بين طليطلة Toledo وماردة Merida وعلى مسافة حوالى ١٥٠ كم من طليطلة ، وذلك هو الارجح من الناحية التاريخية ، وتتبع حوادث الفتح حيث أن طارق بن زياد كان قد استقر في طليطلة بعد غزوه لمدينة المائدة ، وأنه عاد الى طليطلة في انتظار المدد من موسى ابن نصير واعتقد انه ظل في هذه المنطقة يحافظ عليها خوفا من مؤامرات قد يدبرها القوط بعد التقاط الانفاس من المعارك السابقة المتلاحقة وامتثالا لتعليمات موسى بن نصير التي وصلت بعدم الايغال والتقدم في الاراضي الاسبانية (١٢٦) ٠

---

(١٢٤) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ٠ ص ٤٩ ٠ وكذلك ينقل ابن عذارى عن الطبري رواية مشابهة ، انظر البيان المغرب جـ ٢ ص ١٦ ٠

(١٢٥) يوضح ابن القوطية خط سير القائدين في كتابه تاريخ افتتاح الاندلس قائلا : بأن طارقا بعد ان التقى بلذريق تقدم الى استجة والى قرطبة ثم الى طليطلة ، ثم الى الفج المعروف بفج طارق ، الذى دخل منه الى جليقية ، فخرق جليقية حتى انتهى الى استرقة ٠

فاما بلغ موسى بن نصير ما تيسر له حسده على ذلك وقدم في حشد كبير فلما صار في ساحل العدوة ترك المدخل الذى دخل منه طارق بن زياد وقصد الموضع المعروف بمرسى موسى ، وترك طريق طارق ، وأخذ ساحل شذونة وتقدم الى شذونة ثم الى اشبيلية فافتتحها ، ثم قصد من اشبيلية الى لقنت الى الموضع المعروف بفج موسى في أول لقنت الى ماردة ، ثم ان اهل ماردة صالحوه ولم يأخذهم عنوة ، وتقدم فدخل جليقية من فج هو منسوب اليه فخرقها حيث دخلها ووافى طارقا باسترقة ٠ ص ٣٥ — ٣٦ ٠ وانظر ايضا في هذا نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧١ ٠

(١٢٦) يقول صاحب اخبار مجموعة « فلقيه بكورة طلبيرة ص ١٨ ٠ وينقل ابن عذارى رواية الرازى » بأن طارقا خرج من طليطلة لما بلغه =

هناك نقطة تجدر الاشارة اليها لاسهاب جميع المؤرخين الاندلسيين وغير الاندلسيين الحديث عنهـا ، الا وهى قضية الخلاف بـين موسى وطارق وما لقيه طارق بن زيـاد من الاسـاءة على يـد موسى بن نصير ·

ان القراءة المتأنية للنصوص التاريخيـة ، تشير الى حدوث شيء مـا بين القائدين ، لكن ليس الامـر بهـذه الصورة من الشـدة التى يمكـن

= مسيره اليه ــ أى موسى ــ فلقيــه بمقربة من طلبيرة « البيـان ج ٢ ص ٠١٦ ويقول المقـرى : توجه الامير موسى بن نصير من ماردة عقب شـوال من العـام المؤرخ ٩٣ · يريـد طليطلة ، وبلغ طارقـا خبره فاستقبله فى وجوه النـاس ، فلقيـه فى موضع من كورة طلبيرة · النفح ج ١ ص ٢٧١ ·

وبنـاء على ذلـك لا تختلف روايـات المعاصرين من المؤرخين حـول تحديد مكان اللقـاء بأنه فى طلبيرة ، وان تباينت وجهـات النظـر فى اسباب اختيار المكـان ، لان المصـادر القديمـة تجعـل خروج طـارق من طليطلة الى طلبيرة تعظيمـا وتكريمـا للقـائد المسلم موسى بن نصير ، لان طارقـا حينمـا بلغه اقباله خرج معظمـا لـه متلقيـا ، فلقيـه بكورة طَلَبْيرة · كمـا تروى أخبار مجموعـة ص ١٨ وحيث خرج طارق لاستقباله فى وجوه النـاس كمـا يروى المقـرى ج ١ ص ٢٧١ · ويروى ابن عذارى « بأن موسى لمـا فرغ من امـر ماردة نهض يريـد طليطلة فخرج اليـه طارق معظما لـه ومبادرا الى طاعته ج ٢ ص ١٦ · بينمـا نجـد الدكتور السيد عبد العزيز سالم يرى ان « موسى قـد شـم رائحة كمين دبره الاعداء له فى الطريق الى طليطلة ، فبعث موسى الى طارق يستدعيه للحضور اليـه مـع جيشـه ومقابلته بقواته فى منتصف الطريق ما بين ماردة وطليطلة ، وخـرج طارق بجيوشـه ملبيـا نداء مولاه ، وسـار مسافة ١٥٠ كم فى الطريق الموصل ما بين طليطلة بحذاء واد يقال لـه « الاروكامبو Arrocampo وكان لقاؤهمـا عند نهـر « تايد » أو « تاير » انظـر تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٩٨ · ولقـد سبقه الى مثـل هـذا الرأى د · حسين مؤنس فى كتابه فجر الاندلس حيث يقول : والواقـع أن حركـة غير عاديـة كانت تدبـر للجيش الاسلامى ······· ولهـذا استدعى طارقـا ليلقاه فى منتصـف الطريق بين ماردة وطليطلة ، فسـار طارق نحو ١٥٠ كم ، وانتظـر مولاه فى وادى الاروكامبـو فى مكـان يسمى المعـرض Almaraz بين التاجـة ونهـر التيتار ص ٩٨ · وانظـر كذلـك ص ٨٥ من نفس الكتـاب · ويذهب د · أحمـد مختار العبادى الى أن اللقـاء كان عنـد نهـر التاجو Tajo بالقرب من العاصمـة طليطلة · فى تاريخ المسلمين بالاندلس ص ٧٠ ، ودراسـات ص ٣٧ ·

أن نستشفهـا من بعض الكتابات الحديثة · بادىء ذى بدء أود أن اشـير الى أن ابن القوطية وهو من أقـدم مؤرخى الاندلس الذين وصلت الينا مدوناتهم مباشرة لا يذكـر اطلاقـا أى نوع من الخلاف بين القائدين المسـلمين بينما نرى المصادر الاخـرى مع مرور الاعـوام والقرون تركـز على هـذا الحدث ليكون أقسى تعبيراتهـا هى ما استخدمه ابن الكردبوس المتوفى ٥٧٣ هـ · قائـلا : فعلاه موسى بالقضيب على رأسـه وقرعه (١٢٧) · وابن الاثير المتوفى ٦٣٠ هـ · فخرج طارق اليه ، فضربه موسى بالسوط على رأسـه ووبخه على ما كان من خلافه (١٢٨) · ويقف المراكشى المتوفى ٦٤٧ هـ · عنـد قوله : ان طارقـا تلقى موسى فترضـاه ورام ان يستل مـا فى نفسه من الحسـد لـه ، وقـال : انمـا أنـا مولاك ومن قبلك ، وهـذا الفتح لك وبيديك (١٢٩) ·

وتصدى كثير من المؤرخين المعاصرين لتفنيد هـذه القضية ، موضحين بأن التعاون كان دائمـا بين الرجلين قبـل الفتح وبعـده مبينين بأنـه اذا كان قـد حـدث سوء تفـاهم فان مرجعه كـان الى الاختـلاف بينهمـا فى وجهـات نظرهمـا حول موضوع الفتح (١٣٠) ·

ولنتساءل فى ايجاز عن النقطة التى ربمـا كانت مثار الخـلاف بـين القـائدين ·

---

(١٢٧) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس · ص ٤٩ — ٥٠ ·

(١٢٨) ابن الاثير : الكامـل فى التاريخ جـ ٤ ص ١٢٢ · والى ذلـك يذهب المقـرى ايضـا فى نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧١ · ويـرى البروفسور أنور شحنى اننـا لا يجب ان نأخـذ هـذه الروايـات على محمـل الجد · انظـر ·

Anwar, Chejne: Historia de Espania Musulmana, p. 20 Madrid 1980

(١٢٩) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغـرب ص ٢٢ والى هذا ايضـا يذهب ابن خلدون فيقول : فتلقـاه طارق ، وانقاد واتبع وتمم موسى الفتح · تاريخ جـ ٤ ص ١١٧ ·

(١٣٠) انظر فى ذلك د · عبد الرحمن الحجى : التـاريخ الانـدلسى ص ٨٥ — ٩٠ والسـيد عبد العزيـز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٩٨ ·

تتحدث بعض المصادر الاسلامية عن أن طارقا كان واليا على مدينة طنجة من قبل مولاه موسى بن نصير أو من قبل مروان بن موسى وهناك اتصل به يليان (ابن ملك الاندلس حسب بعض المصادر ، أو ابن حاكم سبتة حسب رأى د . حسين مؤنس) وعرض عليه فتح الاندلس ، فعزم طارق على فتح الاندلس واستنفر البربر ، وكان معه حوالى اثنى عشر ألفا ، منهم ألفان من العرب ، وموسى بن نصير لا يعلم شيئا من هذا (١٣١) .

وبلغ موسى أن طارقا فتح الاندلس ودخلها فخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة ، فغضب غضبا شديدا ، وكتب اليه يعنفه اذ دخلها بغير أمره وأمره الا يجاوز قرطبة ، وأمر موسى الناس بالرحيل ورحل معه وجوه العرب (١٣٢) .

سبق لنا أن تبينا بوضوح شديد فى بداية حديثنا عن الاستعداد للفتح الاندلس أن امكانية قيام طارق بذلك العمل من تلقاء نفسه غير محتملة وأنها مستبعدة الى حد بعيد ، وأن خطة الفتح قد وضعت بالتشاور بين القائدين واشتراك الخليفة الوليد بن عبد الملك معهما فى الرأى وبينت ذلك اعتمادا على عدد كبير من المصادر الاسلامية الاساسية التى تناولت الاشارة الى هذه القضية .

وبما أنه من الواجب فى الكتابة التاريخية الصحيحة عدم استبعاد أى رأى من الآراء اذا ثبت بالدليل القاطع ما يسمح باستبعاده ، فاننى

---

(١٣١) انظر رواية الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس ، محمد بن تاويت طبعة القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٥ ، وأقدم الروايات التى تشير الى ذلك هى روايات ابراهيم الرقيق المتوفى بعد ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وعبد الواحد المراكشى ٦٤٧ هـ ، وابن الشباط التوزرى ٦٨١ هـ ، وانظر كذلك تعليقى على رواية جديدة عن فتح الاندلس المنشور ضمن عرضى للكتب والابحاث بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد العدد ١٩ عام ١٩٧٨م ص ١٤١ — ١٤٤ .

(١٣٢) ابن الرقيق : النص المشار اليه ص ١٠٥ . وانظر ايضا رواية المقرى القائلة : ن طارقا دخل الاندلس بغير امر مولاه موسى بن نصير والله اعلم « النفح جـ ١ ص ٢٦٥ » .

هنــا وحتى نتلافى ما قــد يبدو لنــا تناقضــا فى اقوال المؤرخين ، ولكى نتمكن من تقديم تعليــل معقول لمــا قــد يكون قــد حــدث بين القــائدين ، اسمح لنفسى بتقديم تصورين أو افتراضين ، لعلهمــا أو لعــل أحدهمــــا يقربنــا من الحقيقــة التاريخية ويشرح لنــا سبب غضب موسى من طارق ٠

أولا : بعد ان اتخذ طارق بن زيــاد مع موسى بن نصير الترتيبات اللازمــة لدخول المسلمين الى الاندلس ظــلا ينتظــران الفرصــــة المواتيــــة للقيــام بهــذه العمليــة ، واستقر طارق مــع جنوده فى طنجة فى انتظار تعليمــات قائــده موسى بن نصير بالتحرك الى الاندلس وفى اثنــاء انتظاره جائته الفرصــة المواتية ممثلة فى دعـــوة يليــان لــه بالعبـــور الى الاندلس أو أنه علم بانشغــال الملك الاسبانى لذريق فى اخماد ثورة البشبكنس Los Vascos فى الشــمال ، فاراد ان لا يضيع الوقت فى اخبار موسى ابن نصير ، وانتظار تعليماته واستنفــر جنوده ، وقــام بعمليــة العبــور الخالدة ، والاشتباك فى المعارك مع الجنود القوط حتى كان انتصاره فى معركة شذونة ، ومن ثــم كتب بالفتــح الى موسى بن نصير الذى ربمــا يكون قــد بوغت بعبور طارق دون انتظار تعليماته ، ومن ثــم فقــد غضب، لكنــه بعــد ذلــك ، حين التقى بطارق ، لــم يلبث ان زال ما بنفســــه بمجرد ان شرح لــه طارق الموقف ، ويســاندنى فى هــذا التصور روايــة المقــرى حين يتحدث عن يوليــان ويستطرد قائــلا : ثــم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ، ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقــا فيهــا الفرصـــة فانتهزهــا لوقتــه (١٣٣) ٠

ثانيــا : من المحتمــل ان تجهيز موسى بن نصير لحملة طارق بن زياد كان ضمن خطواته الاستطلاعية لجس النبض لقوة القوط العسكرية على غرار حملة طريف بن مالك التى سبق ارسالهــا الى الجزيرة الخضراء ومــا حولهــا وحملة يوليــان التى سبقتهــا ، بمعنى ان تعليمــات موسى بن نصير

---

(١٣٣) المقــرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٣٣ ، وانظــر ايضــا النص الوارد مــع التعليق رقم ١٣١ ، ورواية المراكشى بأنه كتب الى طارق يتوعده اذا دخلهــا بغير اذنه ، ويأمــره الايتجاوز مكانه الذى ينتهى اليــــه الكتاب ٠ المعجب ص ٢١ — ٢٢ ٠

الى طارق بن زيـاد لـم تتضمن أكثـر من القيـام بغارة كبيرة ، يتوغل فيهـا الى مسـافة أكبر من الحملة التى سبقتهـا ، غارة يمكن ان يتلقى فيهـا جيوش القوط ، ويمكن ان يفتح فيهـا مدينـة كبرى – قرطبـة مثلا – لكن لا يتجاوز الامـر أكثـر من هـذا ويعود بعـد ذلـك الى المغرب حتى يستطيع موسى بن نصير التعرف على حقيقـة القوط ، وطبيعـة البلاد ، ومن ثـم اعداد القوة اللازمـة واتخاذ الخطوة النهائيـة فى هـذا المضمار .

وعبر طارق بجيشـه الصغير أولا سبعة آلاف ، وفوجىء بقـدوم الملك الاسبانى فى جيش جرار فطلب المدد من موسى بن نصـير فجاءه خمسة ألاف ، وادرك موسى أنه ربمـا قـد أرسـل طارقـا الى ما لا طاقـة لـه بـه أو أنه يواجه صعوبات فى تلك الاراضى الجديدة ولذلك اخـذ يستعد بجيوش المسلمين ، ويعـد السفن وجاءته الاخبار بانتصـارات طارق بن زيـاد ، وتوغلـه فى البلاد الى أكثـر ممـا يجب ، وأن طارقـا تحـول بحملتـه التى كانت حملـة استطلاعية فحسب الى حملة أساسية تفتح المدائن ، وتستولى عليهـا ، وفى ذلـك مخالفة لاوامـر موسى ، وقـد يكـون فيـه تغرير بالمسلمين – حسب وجهـة نظـر موسى – داخل ميدان غير معـروف تماما للمسلمين ، ومن ثـم كان غضبه وعتابه لطـارق بن زيـاد ، ويؤيدنى ايضـا فى هـذا التصور بعض النصوص التاريخيـة ، منهـا ذلـك النص القيم الذى نقله لنـا ابن الشباط التوزرى وهو : « فلمـا اتصـل بموسى ما ازداد طارق من الفتح ، مضى من ماردة نحو طليطلة ، فلمـا قـرب منهـا خـرج اليه طارق وتلقـاه ، فتعتب عليه موسى وقـال لـه : ما دعـاك الى الايغـال والتقحم فى البلاد بغير أمـرى ، وانمـا كنت بعثتك غازيـا ومن ثم تنصرف ؟ » فاعتذر اليه طارق ، وقـال : انمـا انـا قائـد من قوادك وما أصبت وأفتتحت فهو منسوب اليك ، ومعدود فى مقاماتك ، ثـم أعلمه بمـا أصـاب ، ومـا صـار عنده من الخمس وترضـاه واستطابه فرضى عنـه ، وأمـره بالتمادى فى البلاد والمضى الى الثغـر ، فكـان لا يمـر بموضع الاغنمـه (١٣٤) .

---

(١٣٤) ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط ، ضمن تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ص ١٤٩ – ١٥٠ ، وانظـر ايضـا كتاب ذكـر بلاد الاندلس المشـار اليه ج ١ ص ١٠٠ .

ولعل ذلك « التقـدم والتوغل » من قبـل طارق ، « والخوف والخشية » اللذان يهجسـان فى نفس موسى همـا سبب كتابات موسى الى طـارق « يتوعده بأنه يتوغل بغير اذنه ، ويأمـره ان لا يتجاوز مكـانه حتى يلحق به (١٣٥) ولكن ما ان يلتقى بطارق الذى يترضـاه ، ويشرح لـه صورة الاندلس بعـد معركة شذونة والضرورة العسكريـة التى كانت تحتم توجيه ضربات سريعة قبل ان يعـود القوط الى تنظيم أنفسـهم ، واسترداد أنفاسهم ، حتى يتفهم القـائد موسى بن نصير الامـر ، ويزول ما كـان فى نفسـه من هواجس وقلق ، ويمضيـان معـا يكملان ملحمـة المسـلمين الخـالدة فى فتـح الاندلس ويبرر المؤرخ الاسـبانى لويس سـواريث فرنانديث هـذا التغير فى اتجـاه طارق بن زيـاد فيقـول : ان انهيـار المقـاومـة الاسبانيـة وتلاشـيهـا ، وانضمـام أعداد كبيرة من اعداء الحكم القوطى الى جيش طارق ، دفـع بابن زيـاد الى تعـدى ما كـار لديه من تعليمـات ، وتحويـل هـدفه الى فتح للاندلس بعـد أن كـار مجـرد القيـام بغزوة بسيطة (١٣٦) ·

فتوحـات طـارق وموسى فى الاندلس :

اتجه موسى بن نصير ومعه طارق بن زيـاد الى مدينـة طليطلة ، ومن هنـاك بدأ موسى فى تنظيم البلاد ، ويرى الدكتور مؤنس ، أنـه قـد باشر عمله منذ الآن كأول وال اسلامى على الاندلس ، وقـام بسك عملـة ذهبية مستخدمـا فى ذلـك دار السكـة القوطية فى مدينـة طليطلة ، وتحمـل هذه العملة تاريخ ضربهـا فى عـام ٧١٤ م ، كما تحمل عبارة لا اله الا الله (١٣٧) كمـا عين « أوباش » أحـد أبناء الملك غيطشـة أسقفـا على كنيسـتهـا الرئيسية (١٣٨) ·

---

(١٣٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١١٧ ·

(١٣٦) Suarez Fernandez. L. Op. cit., p. 10

(١٣٧) حسين مؤنس : محاضرات فى تاريخ المغـرب والاندلس · طبعة دار المستقبـل بالاسكندريـة ، الطبعـة الاولى · ١٩٨٠ ص ٢٣٨ ·

(١٣٨) انظـر فى مسالة سك العملة ، واتخاذ طليطلة كاول عاصمـة اسلاميـة وتعيين أوباش أسقفـا على المدينـة كتاب المؤرخ الاسبانى Suarez Fernandez: Op. cit., p. 11.

وتجدر الاشارة فى هذا المكان من الدراسة الى نظرية سبق اليها المؤرخ الاسبانى سافدرا ، ومن جاء بعده من المؤرخين الاسبان ، وتتلخص فى أن الملك لذريق لم يمت فى معركة شذونة ، وانما هرب من المعركة وتجمعت حوله فلول القوط من جديد ، ثم عاود الاشتباك مع موسى بن نصير وهو فى طريقه الى طليطلة فى معركة أطلق عليها اسم معركة سيجويلا (١٣٩) .

ويذكر مؤرخ اسبانى آخر بأن لذريق قد لقى ميتة غامضة وأنه قتل على يد مروان بن موسى بن نصير حسب روايات المؤرخين العرب وان جثمانه قد حمله أتباعه المخلصين وقاموا بدفنه فى مدينة بيزو Viseo . ولقد شاهد هذا القبر الملك الفونسو الثالث الكبير ملك ليون ، كما أن شاهد هذا القبر قد ظل باقيا ومحتفظا به فى القرن الماضى — أى القرن السابع عشر الميلادى — فى الكنيسة المعروفة باسم كنيسة القديس ميخائيل دى فيتال San Miguel de Fetal فى أطراف بيزو ، ولقد كتب على هذا الشاهد : هنا يرقد فى مثواه الاخير لذريق ملك القوط » (١٤٠) .

وأخذ بهذه الرواية من المؤرخين المعاصرين كل من الدكتور حسين مؤنس فى كتابه فجر الاندلس ، والدكتور السيد عبد العزيز سالم فى كتابه تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس . واختفت هذه الرواية بعد ذلك من كتابات المؤرخين ، ورجع عنها الدكتور مؤنس بعد ذلك فى مقاله المنشور « رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، كما أنه قال فى أحدث كتاب له بعد أن أشار الى آراء سافدرا الاسبانى « ولكن يبدو أن ذلك كله غير صحيح ، فليس هناك ما يؤيده . » (١٤١) كما أن

---

(١٣٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس . ص ٩٩ ، وعبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم . ص ٩٩ .

(١٤٠) Villa-Real, Francisco de Paula: Historia Critica de Espania, p. 156

(١٤١) حسين مؤنس : محاضرات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٨ . وانظر ايضا مقالته المنشورة فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد ١٨ لعام ١٩٧٦ م .

الدكتور أحمد مختار العبادى قدم دراسة عميقة لقضية فتح الاندلس نشرت ضمن مقدمته لتحقيق كتاب ابن الكردبوس ، وكذلك ضمن كتابه « دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس » وكتابه « فى تاريخ المغرب والاندلس» استطاع أن يهدم فيها هذه النظرية ، ويفندها تماما (١٤٢) ٠

لم أقصد من العودة الى هذه القضية الادلاء برأى فيها ، وانما طرح جزئية من جوانبها لها بعض الاهمية وتتعلق بمصرع الملك القوطى لذريق على يد مروان بن موسى بن نصير ، والتى أشار اليها المؤرخون الاسبان ووافقهم على ذلك فى أول الامر الباحثان الفاضلان د ٠ مؤنس د ٠ عبد العزيز سالم ومضى على اثرهما الدكتور عبد الرحمن الحجى

لقد سبق لى أن استعرضت مصير الملك لذريق عند حديثى عن معركة شذونة فى معظم مصادرنا الاسلامية الاندلسية ، دون أن يكون هناك من بينها من يشير الى مصرع الملك القوطى على يد مروان بن موسى بن نصير (١٤٣) ، والدكتور مؤنس يورد الخبر دون توثيق ، مع اشارة غير واضحة الى الكتاب المنسوب لابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص١٥٦ ٠ أما د ٠ سالم فانه يروى أن سافدرا قد قال ذلك اعتمادا على عبارة ابن قتيبة « ان ابنى أتى بملك الاندلس لذريق » ص ١٥٦ (١٤٤) ٠

واذا كان المؤرخون قد عدلوا عن الاخذ بنظرية وجود معركة ثانية هامة ، هى معركة سيجويلا ، أو السواقى ، فانه من الطبيعى عدولهم بالتالى عن القول بقيام مروان بن موسى بقتل الملك القوطى لذريق ٠

---

(١٤٢) انظر فى ذلك مقدمة كتاب ابن الكرديوس ص ٢٧ — ٤٠ ٠ وكتاب دراسات ص ٣١ — ٣٧ ٠ وفى تاريخ المغرب والاندلس ص ٦٥ — ٦٨ ٠ وانظر كذلك رأى الدكتور أحمد بدر فى « دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٩ ٠ الطبعة الثانية » دمشق ١٩٧٢ م ٠

(١٤٣) انظر الصفحات من ١٠٧ الى ١٠٩ ٠

(١٤٤) انظر حاشية د ٠ مؤنس فى فجر الاندلس ص ٩٩ ، وحاشية د ٠ سالم فى تاريخ المسلمين ص ٩٩ ، وعبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلس ص ٨٤ ٠

وحيث أن أيا من المؤرخين لم يشر الى ذلك فقد رجعت الى كتاب الامامة والسياسة لارى نص عبارته ، ووجدت أنه لم ينص على اسم الملك لذريق ، وأن ما هو مدون هو قول موسى بن نصير للخليفة سليمان « ان ابنى أتى بملك الاندلس (١٤٥) دون تحديد لاسم هذا الملك فى الوقت الذى يشير فيه نفس الكتاب الى أن موسى حين عودته الى المشرق حمل مئات من ملوك المنطقة منهم « عشرين ملكا من ملوك جزائر الروم ، وخرج معه مئة من ملوك الاندلس ، ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم » (١٤٦) ٠

من هنا نستطيع أن نشكك فى هذه الرواية ، على اساس أنه موقف مباهاة ، ومن ثم يمكن أن يكون قد بالغ فى الحديث عن أولاده ونطق بعبارة « ملك الاندلس » بدلا من قوله مثلا « قد أتى بملك من الاندلس » ٠

جانب آخر يزرع الشك فى روايات هذا الكتاب ، وخاصة ما يتعلق منها بالاحداث والاساطير التى ينسبها الى موسى بن نصير انما مرجعها الى أحفاد موسى بن نصير من نسل ولديه عبد العزيز ومروان والتى يحاولون فيها تصوير جدهم موسى على أنه بطل شهيد لم يجد جزاء حسنا على خدماته للدولة الاموية ، ولقد أثبت الدكتور محمود على مكى أن الفصول الخاصة بفتح الاندلس الواردة فى كتاب ابن قتيبة انما هى فى الحقيقة من تأليف معارك بن مروان النصيرى حفيد مروان بن موسى بن نصير (١٤٧) ٠

---

(١٤٥) يروى ابن قتيبة ان سليمان بن عبد الملك سأل موسى بن نصير : من خلفت على الاندلس ؟ قال له : عبد العزيز بن موسى ٠ قال ومن خلفت على أفريقية وطنجة والسوس ؟ قال : عبد الله ابنى ٠ فقال له سليمان : لقد أنجبت يا موسى ، فقال له موسى : ومن أنجب منى يا أمير المؤمنين ، ان ابنى مروان أتى بملك الاندلس ، وأبنى عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية ، وأن ابنى مروان أتى بملك السوس الاقصى ٠ انظر ج ٢ ص ٧٣ ٠

(١٤٦) ابن قتيبة ٠ المصدر المشار اليه ج ٢ ص ٦٨ ٠

(١٤٧) انظر مقالة الدكتور محمود على مكى : مصر والمصادر الاولى بتاريخ الاندلس « المنشورة بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية =

ونختم القول فى هذه القضية بايراد رواية مختلفة ، يقصها ابن سماك العاملى المتوفى فى الربع الاخير من القرن الثامن الهجرى عن لقاء موسى بن نصير وسليمان بن عبد الملك ، وفى هذه الرواية يتباهى موسى بأن ابنه « عبد العزيز » وليس « مروان » هو الذى اتى بملك الاندلس لذريق » (١٤٨) وبذلك يمكن لنا العودة ثانية الى الروايات المتباينة حول مصير الملك لذريق والتى سبق الاشارة اليها ، دون قول فصل فيها ٠

بعد فترة من الاقامة فى طليطلة ، استجمت فيها جيوش المسلمين أنفاسها واستردت قواها ، وأعادت تنظيمها ، وانصرم الشتاء ، تقدمت الجيوش الاسلامية على قسمين أحدهما يقوده طارق بن زياد ، والآخر موسى ابن نصير فى اتجاه الشمال نحو مدينة سرقسطة وذلك فى حدود شهر جمادى الثانية من عام ٩٥ هـ ، وتمكن من افتتاح مدينة سرقسطة وأعمالها ، وقام التابعى حنش بن عبد الله الصنعانى بتخطيط ووضع قبلة مسجد المدينة ، والذى أصبح له شهرة كبيرة فى تاريخ الثغر الاعلى الاندلس (١٤٩) ٠

= فى مدريد ، العدد الخامس لعام ١٩٥٧ م ، الصفحات ١٥٧ — ٢٤٨ ٠ تحت عنوان ٠

Egipto Y los origenes de lahistografia Arabigo-Espanola; Revista. I.E. E.I. de Madrid, V. 157-248

وانظر كذلك حاشية الدكتور محمود على مكى الواردة ضمن تحقيقه لكتاب ابن سماك العاملى ، الزهرات المنثورة ص ١١٩ ٠ وتعليقاته عن عبد الله ومروان ابنى موسى فى نفس الكتاب ص ١٢٠ ٠

(١٤٨) ابن سماك العاملى : الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة ، تحقيق الدكتور محمود مكى ، نشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م ٠ ص ١١٩ — ١٢٠ ٠ بعد أن يورد نص المحاورة التى دارت حول سؤال سليمان موسى عمن خلفه هناك يقول : قال سليمان لقد أنجبت يا موسى فقال له : ومن أنجب منى يا أمير المؤمنين ؟ ان ابنى عبد العزيز أتى بملك الاندلس لذريق ، وأتى ابنى عبد الله بملك ميورقة ومينورقة وصقلية ، وسردانية وأتى ابنى مروان بملك المغرب والسوس الاقصى ، فهم مفترقون فى الامصار وغيرها ، فيأتون من السبىء ما لا يحصى ٠ فمن أنجب منى ؟ ٠

(١٤٩) انظر البيان المغرب جـ ٢ ص ٩٦ ، وكذلك التاريخ الاندلس للحجى ص ٩١ ٠

ولقـد أثار تقـدم المسلمين خوف سكـان المدينـة وأسقفها Bencio ومن معه من الرهبان ، فهربوا من المدينـة ومعهم مـا أمكنهم حمله من كنوزهـا ، وقـام موسى بن نصير بتأمينهم ، واعادتهم الى المدينـة ، ولعل ذلك يناقض وينفى ما يرويه الدكتور حسين مؤنس من أن الفتح قـد تحـول الى الشـدة بحيث « نسـمع من الآن فصـاعدا عن نهب البلاد واحراقها ورعب أهلهـا وخروجهم منهـا على وجوههم (١٥٠) ٠

ويلخص المقـرى جهـاد طارق وموسى فى شـمال الاندلس على الوجـه التالى ارتقى الى الثغـر الاعلى ، وافتتح سرقسطة واعمالهـا ، وأوغل فى البلاد وطارق أمامه ، لا يمران بموضع الا فتح عليهمـا ، وغنمهمـا الله تعالى ما فيـه ، وقـد القى الله الرعب فى قلوب الكفرة فلم يعارضهمـا أحـــــد الا بطلب الصلح ، وموسى يجىء على اثـر طارق فى ذلــك كله ، ويكمـل ابتدائه ويوثق للنـاس ما عاهدوه عليه ، فلمـا صفـا القطـر كلـه ، وطا من نفوس من اقام على سلمه ، ووطأ لاقدام المسلمين فى الحلول بـه ، أقـام لتمييز ذلـك وقتـا وأمضى المسلمون الى افرنجة ففتحوا وغنموا حتى انتهوا الى وادى رودنه فكـان اقصى اثـر للعـرب ومنتهى موطئهم من أرض العجم (١٥١) ٠

---

(١٥٠) فجـر الاندلس : ص ١٠٢ ٠

(١٥١) المقرى : النفخ جـ ١ ص ٢٧٣ — لكن عـددا من المؤرخين ينفـى دخول موسى وطارق الى أرض الفرنجة ، لان المسلمين استوحشوا هـذه البلاد وأرادوا العـودة ، وانضم اليهم حنش الصنعانى رضى الله عنه (انظر فجر الاندلس ص ١٠٣) ٠ ويقول ابن الرقيق فى كتابه المذكور : فنهض موسى يفتح مدائن الاندلس مدينـة بعـد مدينـة حتى انتهى الى مدينـة أربونة فأراد لقـاء ملك الفرنجة ، فأخـذ حنش الصنعانى بلجامه وقال : سمعتك أيهـا الامير تقول حين فتحت طنجة : لـم يكن لعقبة ولا لابى المهـــاجر من ينصحهمـا ، حتى أتيت أنصحك اليوم فارجـع فانك قـد توغلت بالمسلمين (انظر المنشور من الكتـاب ضمن مقالة د ٠ حسين مؤنس فى مجلة المعهـد المصرى ص ١٠٨) ٠

ويروى ابن قتيبة فى كتابه المذكور : أن موسى لمـا وغل وجاوز سرقسطة ، اشتد ذلـك على النـاس وقالوا : أين بذهب بنـا ، حسبنـا ما بأيدينـا ، اشتد ذلـك على الناس وقالوا : أين بذهب بنـا ، حسبنـا ما بأيدينـا ، =

وفى تلك الاثناء وصل مغيث الرومى ، رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وابلغ موسى رسالته من الخليفة التى تقضى بالعودة شخصيا الى دمشق ، لكى يقدم بنفسه تقريرا مفصلا الى الخليفة ، ورأى موسى أن الوقت غير مناسب للعودة ، وأنه من الواجب الاستمرار حتى استكمال عملية الفتح ، وطلب من مغيث الرومى الانتظار حتى ينتهى من الفتح على أن يعود معه بعد ذلك الى دمشق (١٥٢) .

= وكان موسى قال حين دخل افريقية ، وذكر عقبة بن نافع : لقد غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، اما كان معه رجل رشيد ؟ فسمعه حبيش الشيبانى قال : فلما بلغ موسى ذلك المبلغ ، قام حبيش فأخذ بعنانه . ثم قال : أيها الامير انى سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول : لقد غرر بنفسه وبمن معه ، أما كان معه رجل رشيد : وأنا رشيدك اليوم أين تذهب : ؟ تريد ان تخرج من الدنيا ، أو تلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل ، وأعرض مما فتح الله عليك ، ودوخ لك ، انى سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملأوا أيديهم ، وأحبوا الدعة . قال فضحك موسى ثم قال : أرشدك الله ، وكثر فى المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسى يومئذ : أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدى ان شاء الله . » ج ٢ ص ٦٦

(١٥٢) يلقى الدكتور حسين مؤنس كثيرا من اللوم على مغيث الرومى ، ويبين بأنه كان متحاملا على موسى ، وربما صور الامر على غير حقيقته للخليفة (انظر فجر الاندلس ص ١٠٤) لكننى أميل الى ان سبب استدعاء الخليفة لموسى يرجع الى قلق الخليفة الوليد على المسلمين ، ولا بد ان نضع فى أعتبارنا أنه كان مترددا فى السماح بعملية الفتح نفسها حتى لا يغرر بالمسلمين ، ولا شك ان طول المدة وقلة الاخبار هى التى اثارت قلق الخليفة ، ودعته الى نداء موسى اليه .

ويحلل أنور شحنى ذلك بقوله : بعد أن وصل موسى الى ليون وغاليسيا ، واجبر الباقين من اعدائه بزعامة بلايو Pelayo على الالتجاء الى اشتورياس Asturias فانه كان يطمع فى العودة الى دمشق مخترقا القارة الاوربية حتى القسطنطينية ، ومن ثم الى آسيا الصغرى ، وهو مشروع اثار هواجس الخلافة فى دمشق ، ودعا الخليفة =

اتجه موسى بعـد ذلـك لفتح المناطق الشمالية من الاندلس ، والواقعة فى حوض نهـر الابرو Ebero مستخدما الطريق الرومانى Ebero (١٥٣) ثـم عرج على الطريق الرومـــانى القـــديم المعروف باســـم Calahorra حتى وصل الى مدينــة ليون Leon ، ومنهـا الى استرقة Asturga ومنها الى مدينــة لوغـو Lugo ، ودخلت فى طـــاعته كـل المـــدن والاقـــاليـم الواقعــة فى هـذه الجهات (١٥٤) ٠

وأكمـل طـارق بن زيـاد فتح منــاطق أراغـون Aragon وأسلم بذلـك حاكم المنطقة المسيحى الكونت Casio أو ابنه فرتون Fortun وكان هـذا الرجل اصلا لاسرة اسلاميــة مشهورة هم بنوقسى ، وســيكون لأفرادهـا دور هـــام جـدا فى مسـار تاريخ الاندلس عامــة ، والثغـر الاعلى خاصــة ٠

= الى ايفـاد رسله حاملين امرا الى موسى بالعودة ، وربمـا جـال فى ذهـن الخليفة بأن الفتوح الاسلامية قـد وصلت الى غاياتهـــا وانهـا قـد وصلت الى مسافات بعيـدة عن عاصمة الخلافـة ، ومـع ذلـــك فقـد قـام موسى بعدة عمليـات حتى أصبح آمنـا مطمئنـا على سلامـة الفتح الاســلامى للمنطقـة ، واستقرار الامور فى المنـاطق المفتوحـة ومن ثـم قـرر العودة الى دمشـق ٠ انظـر

Anwar, G. Chijne : Historia de Espania Musulmana, p. 20.

ويورد المقرى أنه نمى الى الخليفـة خبر مـا ينويه موسى فاشتد قلقه بمكـان المسلمين من دار الحرب ٠ ورأى ان ما هم به موسى غـرر بالمسلمين ، فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ، وأمـر الى سفيره أن يرجـع بالمسلمين ان لـم يرجـع ، وكتب لـه بذلك عهـده ٠ ففت ذلـــك فى عـــزم موسى ، وقفـل عن الاندلس بعـد أن انزل الرابطة والحاميــة بثغورهـا ٠ (النفح ج ١ ص ٢٣٤) ٠

(١٥٣) Suarez Fernandez :Op. cit., p. 11.

(١٥٤) Suarez Fernandez;: Ibid, p. 11.

وانظر فى فتوح الشمـال : عبد الجليـل عبد الرضـا الراشـد : العلاقـات السياسية بين الدولة العباسية والاندلس ٠ ص ٣٩ ، الرياض ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ٠

(*) انظر فى فتح المسلمين لمنطقـة الثغـر الاعلى رسالة خليـــل ابراهيم صالح السامرائى : الثغـر الاعلى الاندلسى — بغـــداد ١٩٧٦ م الصفحـات من ٦٧ — ٩٢ ٠

استكمل القائدان معا بعد ذلك فتوح بعض مدن قشتالة القديمة ، ومنها الى مناطق البشكنس الشمالية حتى وصلا الى خليج بسكاية ، والى مناطق جليقية الجبلية ، ومن المحتمل انهما اثناء وجودهما فى هذه المناطق يسعيان لاستكمال فتح جليقية آتاهما رسول ثان من قبل الخليفة الوليد يستحث موسى على العودة الى دمشق .

ويعطى المقرى رواية قريبة لذلك ، وان اختلفت فى تحديد المكان الذى وصل فيه رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك فيقول : كانت نفس موسى بن نصير فى ذلك كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية ، فبينما يعمل فى ذلك ويعد له ، اذ اتاه مغيث الرومى ، رسول الوليد بن عبد الملك يأمره بالخروج عن الاندلس ، والاضراب عن الوغول فيها ، ويأخذه بالقفول اليه ، فساءه ذلك ، وقطع به عن ارادته ، اذ لم يكن فى الاندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية، فكان شديد الحرص على اقتحامها ، فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة، وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه فى الدخول اليها ، والمسير معه فى البلاد أياما ، ويكون شريكه فى الاجر والغنيمة ، فافتتح حصن باذوا Viseu وحصن لك وهى Lucum Astrum وتسمى اليوم Maria de Lugo فأقام هناك ، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى Pana de pelayo على البحر الاخضر ... ... وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى فى القفول ، وكتب اليه يوبخه ، ويأمره بالخروج ، والزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ، ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس (١٥٥) وبدأ يستعد للعودة الى دمشق تنفيذا لامر الخليفة .

---

(١٥٥) المقرى : نفح الطيب . ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

ـ ح مناطق جنوب شرق وشرقى الاندلس .

قبل ان نمضى مـع القائدين الظفرين موسى بن نصير وطارق بن زياد فى طريق عودتهمـا الى عاصمـة الخلافـة الاسلاميـة ، يحسن بنـا ان نتوقف قليـلا لنلقى الضوء على كيفية افتتـاح المسلمين لبعض مناطق الجنوب الشرقى للاندلس ومنطقـة El Levante أى شرق الاندلس .

هناك تضارب واضح فى المعلومات الواردة فى مصادرنـا التاريخيـة حول الفتح الاسلامى للمناطق الشرقيـة ، والجنوب الشرقى لاسبانيـا بالاضـافة الى قلة المعلومات التى تـرد عن هـذه الاحداث وتكررهـا بصورة تكـاد ان تكون لفظية من مؤرخ الى آخـر .

وتتناول الغالبية من مصادر التاريخ الاندلسى فتح المسلمين لهـذه المناطق بعـد حديثهـا عن انتصـارات طارق بن زيـاد على الملك لذريق فى معركـة وادى لكة ، وتقدمـه الى منطقـة استجة ، وقضـائه على المقاومة فى هـذه المنطقـة ، وهناك يقول لـه يليـان : قـد فرغت من الاندلس ، ففرق جيوشك ، وسر انت الى طليطلة ، ففرق طارق جيوشـه من مدينة استجة وبعث جيشـا الى قرطبة ، وجيشـا الى غرناطـة ، وجيشـا الى مالقـة وجيشـا الى تدمير ، وسـار هو فى معظم الجيش الى جيـان يريد طليطلة فلمـا بلغ طليطلة وجدهـا خاليـة ، وقـد لحق من كـان بهـا بمدينة خلف الجبل يقال لهـا ماية (١٥٦) .

فأما الجيش الذى سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة فى سورها فدخلوا البلد وملكوه (١٥٧) .

وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبهـا واسـمه تدمير ، وسـميت باسمه ، وكان اسمهـا أوريولة ، وكان معه جيش كثيف ، فقاتلهم قتالا

---

(١٥٦) لعله يقصـد مائدة ، ويتفق ذلك مـع ما سبق الاشـارة اليه من وصول طارق بن زيـاد الى مدينـة تسمى « مدينة المائدة » .

(١٥٧) راجع ما ذكـرناه حول تفاصيـل فتح قرطبة فى الصفحـات السـابقة ص ١١٢ وما بعدهـا .

شـديدا ثـم انهزم وقتـل من اصحابه خلق كثير ، فأمـر النسـاء فلبسن السلاح ، ثـم صالح المسلمين عليهـا . وفتح سائـر الجيوش ما قصدوا اليـه من البلاد (١٥٨) .

ولا تختلف روايات المصـادر الاندلسية عن روايـة ابن الاثير الا فى بعض التفاصيل ، واورد رواية ابن عذارى على سبيـل المثال فانه يقـول بعـد ان يتحدث تفصيليـا عن فتح قرطبة :

« فتح مالقـة : بعث اليهـا طارق من استجة جيشـا وقـود عليـه قائـدا ، وجعل معه دليـلا من رجـال يليـان ، فاستفتحهـا وجميـع اعمـال ريـة ، ولجـأ علوجهـا الى جبال رية الشـامخة المنيعة .

فتح غرناطة قاعـدة البيرة : بعث اليهـا طارق الجيش من اسـتجة فحاصرهـا حتى افتتحهـا .

فتح مرسية : ثـم تقـدم هـذا الجيش بعـد فتح اغرناطة الى تدمير ، وهى مرسية ، وانمـا سميت تدمير باسـم العلج صاحبهـا ، وكـان اسمها اوريولة وهى كانت مدينتهـا القديمـة ، فقاتل العلج تدمير المسلمين قتالا شديدا ، وكان فى قوة ، ثـم انهزم فى فحص لا يسترهم شىء ، فوضـع المسلمون فيهم السلاح حتى افنوهم ، ولجـأ من بقى منهم الى مدينـة اوريولة : Orihuela وكان تدمير بصيرا بابواب الحـرب فلمـا رأى قلة من معه من اصحابه ، امـر النسـاء فنشرن شـعورهن ، وأعطـاهن القصب ، ووقفن على سور المدينـة ووقف معهن بقيـة الرجـال . ثـم قصـد بنفسـه الى جيش المسلمين كهيئـة الرسول واستأمن فامن وانعقـد لـه الصلح ولاهل بلده ، فافتتحت مدينـة تدمير صلحـا . فلمـا انعقـد الصلح وتم ، ابرز لهم نفسـه وقال : « أنـا تدمير صـاحب المدينـة » ثـم ادخلهم البلد ، فلم يروا فيـه احدا عنـده مدفـع فنـدم المسلمون وأمضوا على ما اعطوه من الامـان ، وكتبوا بالفتح الى الامـير طارق ، وأقـام بتدمير رجـال من اهل العسكر ، وصاروا مـع أهلهـا ، وتقـدم معظم الجيش

---

(١٥٨) ابن الاثير : الكامـل فى التاريخ جـ ٤ ص ٥٦٣ .

الى طليطلة فلحق بطارق وهو عليها (١٥٩) ٠

وكان من الممكن ان تكون هـذه الروايـات هى التى يؤخـذ بهـا فى الكتابة عن فتح هـذه المناطق الهامـة لولا ان المقـرى أورد لنـا نصـا آخـر يقـول فيه : « وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحهـا والى غرناطة ومالقة وكورة ريـة ففتح الكـل ، وقيـل انه لـا حاصر مالقـة وكان ملكهـا ضعيف الرأى قليـل التحفظ ، كـان يخرج الى جنان لـه بجانب المدينة طلبا للراحـة من غمـة الحصار من غير نصب عين وتقديم طايعة وعرف عبد الاعلى بأمـره ، فاكمن له فى جنبـات الجنة التى كان ينتابهـا قومـا من وجوه فرسـانه ذوى رأى وحـزم أرصدوا لـه ليـلا فظفروا به وملكوه فاخـذ المسلمون المدينـة عنوة ، وملاوا أيديهم غنيمـة (١٦٠) ٠

---

(١٥٩) ابن عذارى : البيـان المغـرب ج ٢ ص ١١ ، وانظـر ايضـا نفس الرواية فى اخبار مجموعـة ص ١٢ ـ ١٣ ، وتنطبق عليهـا روايات المقـرى الواردة فى نفح الطيب ، ولا تزيـد عليهـا الا فى اعطـاء مزيـد من التفصيلات حول استعانة المسلمين باليهود فى فتح اغرناطـة ، وان المسـلمين ضموا اليهود الى قصبة غرناطة ، وصار لهم ذلـك سنة متبعـة فى كـل بلد يفتحونه ، ان يضموا يهودهم الى القصبة مـع قطعـة من المسلمين لحفظهـا ، ويمضى معظم النـاس الى غيرهـا ، واذا لـم يجدوا يهـودا ، وفروا عددا من المسلمين الخافين لحفظ ما فتح ٠ النفح ج ٢ ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ ٠ ويعتمد على هذه الرواية عدد من المؤرخين المعـاصرين من امثال شكيبارسلان خلاصـة تاريخ الاندلس ص ٢٦ ٠ ، وعلى حموده فى : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ٤٨ ـ ٤٩ ٠ وغيرهمـا ٠

(١٦٠) المقـرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٥ ٠ ويـرد ذلـك النص فى طبعـات النفح المختلفـة ، انظـر طبعـة القاهرة للشيخ محمـد محيى الدين عبد الحميـد ، ج ١ ص ٢٥٧ ٠ ١٩٤٩ م ، وبهـا ايضـا رواية فتـح تدمير السابق الاشـارة اليها ج ١ ص ٢٤٧ ٠

وقـد أورد ابن الخطيب الروايتين : الاولى بأن طارقـا أرسـل بعض جيشه من استجة لفتح هـذه المدائن ، والثانية نقـلا عن معاوية بن هشام فوجه ابنـه عبد الاعلى فى جيش الى جهـة تدمـير فافتتحهـا يقول فيهـا : ان ما ذكـر تأخـر الى دخول موسى بن نصير فى سـنة ٩٣ ، ثم مضى الى البيرة فافتتحهـا ، ثم توجه الى مالقة « انظر اللمحة البدرية =

وقـد تكون لهـذا النص اهميتة على اعتبار انه يقـدم لنـا اسـم القـائد الذى يمكن ان ينسب اليه فتوحـات هـذه المنطقـة ، والتى اشارت اليهـا المصادر باستمرار ، دون تحديـد لاسم فاتحهـا ، لكنه فى الحقيقة قـد زاد الامـور تعقيـدا ، لان المصـادر التاريخيـة قـد احتفظت لنـا بالنص الكامـل لمعاهـدة الصلح التى عقدت مـع تدمير حاكم الاقليم ، وكان الذى وقـع هـذه المعاهـدة وعقدهـا باسمه هـو عبد العزيـز بن موسى بن نصير ، وتاريخ توقيعه هـو شهر رجب من عام ٩٤ هـ (١٦١) ٠

كذلـك ينقـل لنـا الدكتور الحجى نصـا عن ابن عبد المنعم الحميرى أكثـر صراحـةفى ان عقـد الصلح كان مـع عبد العزيـز هـذا نصـه : بقرطاجنة هـذه — قرطاجنة الخلفـاء ، مينـاء كوره تدمير — هـزم عبـد

= فى الدولة النصرية ٠ ص ٢٥ — ٢٦ ٠ منشورات بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م٠ الاحاطـة فى أخبـار غرناطـة جـ ١ ص ١٠١ ، الطبعة الثانيـة ، الخانجى بالقاهرة ١٩٧٣ م ٠

(١٦١) الضبى : بغية الملتمس ص ٢٧٤ ، الترجمة رقم ٦٧٥ ٠ حين يترجم لحبيب بن ابى عبدة الذى ثبت اسمه فى كتاب الصلح الـذى كتبه عبد العزيـز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبوش الـذى سميت باسـمه تدمير اذ كان ملكهـا ، ونسخة ذلـك الكتـاب : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش أنه نـزل على الصلح ، وأنه لـه عهـد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليـه وسـلم الا يقـدم له ولا لاحـد من اصحابه ولا يؤخـر ولا ينزع عن ملكـه وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ، ولا يفـرق بينهم وبين اولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ، ولا ينزع عن ملكـه ما تعبـد ونصح وأدى الذى اشترطنا عليه ، وأنه صالح على سبع مدائن أوريولـة ، وبلنته ، ولقنت ، ومولة ، وبقسرة ، وأنة ، ولورقـة وأنه لا يؤدى لنـا ابقـاء ولا يؤوى لنـا عدوا ولا يخيف لنـا آمنـا ولا يكتم خبر عـدو علمـه ، وان عليـه وعلى اصحابه دينارا كل سـنة واربعـة امـداد قمح ، واربعة امداد شعير ، وأربعة اقسـاط طـلاء واربعـة اقسـاط خـل ، واربعة اقسـاط عسـل ، وقسطى زيت ، وعلى العبد نصف ذلـك ٠ شـهـد على ذلك عثمـان بن ابا عبده القرشى ، وحبيب بن ابى عبدة بن ميسرة الفهرى ، وأبو قائم الهذلى وكتب فى رجب سنة ٩٤ من الهجرة ٠

العزيز بن موسى بن نصير تدمير بن عبدوس ، الذى سميت به تدمير ، هزمه واصحابه ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، يقتلونهم كيف شاءوا ، حتى نجا تدمير فى شرذمة من قلال اصحابه ، أمر النساء فنشرن شعورهن وامسكن القصب بأيديهن فيمن بقى من الرجال ، وقصد بنفسه كهيئة الرسول وأستأمن ، فأمن ، وانعقد الصلح له ولاهل بلده ، وفتحت تدمير صلحا ، فلما انفذ أمره عرفهم بنفسه وادخلهم المدينة ، فلم يروا بها الا نفرا يسيرا من الرجال ، فندم المسلمون على ما كان منهم ، وكان ما انعقد من صلح تدمير مع عبد العزيز على اتاوة يؤديها ، وجزية عن يد يعطيها ، وذلك على سبع مدائن منها : أوريولة ، ولقنت ، وبلانة وغيرها ، وتاريخ فتحها سنة ٩٤ هـ (١٦٢) ٠

واعتمادا على تلك النصوص ، فان الدكتور حسين مؤنس ، قد اخذ بالروايات القائلة بأن فتح هذه المناطق قد تم على يد عبد العزيز ابن موسى بن نصير ، وصاغ فكرته فى فتح هذه البلاد على الاساس التالى : « ويذهب بعض المؤرخين الى ان طارقا ارسل فى هذا الوقت حملة فتحت جنوب شرقى الاندلس ، وكبار مدائنه مثل مالقة وغرناطة وأوريولة ٠ ولكن ذلك غير صحيح ، لان المسلمين لم يفتحوا هذه النواحى الا فى ولاية عبد العزيز بن موسى ، ولا يستبعد ان يكون قد بعث سرايا صغيرة الى هذه النواحى وغيرها لمجرد الاستطلاع لا الفتح (١٦٣) ٠

---

(١٦٢) الحميرى : الروض المعطار ص ١٥١ — ١٥٢ ٠ وانظر عبد الرحمن الحجى فى كتابه : التاريخ الاندلسى ، ص ٧٩ ٠ كما يعتمد ايضا فى هذه الرواية على نصوص اخرى اوردها العذرى فى نصوص عن الاندلس أما المدائن السبع لتى اشار اليها عقد الصلح فتطلق عليها بالاسبانية الاسماء التالية : Orihuela, Mula, Lorca Valentilla, Alicante, Ello, Elche.

ولقد أورد د ٠ حسين مؤنس اسم مدينة Anaya بدلا من Ello و Begastro بدلا من Elche ٠ وانظر تعليقى على نص معاهدة الصلح فى مقالتى : الحضارة الاندلسية : مرحلة التكوين (ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ٠ المجلد الثانى ٠ ص ٢٨٦ ، دار المعارف ١٩٨٣ م) ٠

(١٦٣) حسين مؤنس : فجر الاندلس ٠ ص ٧٧ ٠

وحين ينتقل الى الحديث عن فتح هذه المناطق فانه يتناول بدء عبد العزيز بفتح مالقة التى اسلمها صاحبها للمسلمين دون كبير عناء ثم قصد غرناطة ويقال ان حاميتها كانت من اليهود ففتحوا للمسلمين ابوابها دون مقاومة ٠ ثم اتجه عبد العزيز الى اقليم مرسية حيث كان يحكم قائد قوطى يسمى تدمير Teodimero ، ثم يتحدث عن مقاومة تدمير الى ان يصل الى اتفاقه ، وعقده للصلح مع عبد العزيز بن موسى موردا نص الوثيقة ، ثم يصدر الحكم التالى ضمن تعليقه على تاريخ الصلح : « بقيت ملاحظة صغيرة عن تاريخ هذه المعاهدة الوارد نصها ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ فان الوثيقة صريحة بأنها عقدت على يد عبد العزيز وانه عقدها بصفته عامل الاندلس ، ولو كان عقدها فى حكومة ابيه لاشير الى ذلك فى صلبها ٠ فاذا صح ذلك كان من الميسور أن نشك فى التاريخ الذى تورده الوثيقة فى نصها ٠ فهى تذكر رجبا سنة ٩٤ هـ ، ورجب هذا يقع فى ابريل ٧١٣ م ٠ فلو ذكرنا ان عبد العزيز فتح فى هذه الغزوة وقبل وصوله الى بلاد تدمير حصنين كبيرين هما غرناطة وما لقة ولا بد كذلك ،ن شيئا من الوقت قد ضاع مع تدمير حتى تم الاتفاق معه اذا حسبنا لذلك كله ثلاثة اشهر كان من الضرورى ان يكون عبد العزيز قد خرج بهذه الغزوة فى يناير أو فبراير على أكثر تقدير ، وهذا وقت لم تجر العادة بالخروج للغزو فيه فى تلك العصور ٠ وأسلم الآراء فى هذا الموضوع هو ان نضع تسليم تدمير - وهو آخر حلقة من حلقات فتح المسلمين للاندلس - فى أوائل سنة ٩٦ هـ ، لان موسى لم يبرح البلاد الا فى ذى قعدة سنة ٩٥ هـ (١٦٤) ٠

ويشارك الدكتور مؤنس فى ذلك الدكتور عبد العزيز سالم حيث يقول : ينسب الرازى فتح مالقة وغرناطة الى جيش وجهه طارق بن زياد ، بينما يذكر المقرى ان موسى هو الذى ارسل ابنه عبد الاعلى الى غرناطة وكورة رية وتدمير فافتتحها جميعا ٠ غير اننا لا نرى هذا الرأى فقد ثبت ان عبد العزيز بن موسى هو الذى سار الى تلك المنطقة

---

(١٦٤) حسين مؤنس : المصدر السابق ، الصفحات من ١١٢ - ١١٧ ٠

وافتتحهـا ، وقـد حفظ لنـا نص معاهدته مـع ملك تدمير (١٦٥) . ثـم يعتمـد بعـد ذلـك على رأى الدكتور حسين مؤنس فى تعديـل تاريـخ الوثيقـة وجعله أوائـل سنة ٩٦ هـ — ٧١٤ م ، حيث يتفق ذلـك مـع الآراء التى قال بهـا المؤرخ الاسبانى سافدرا (١٦٦) .

ومع التقديـر الكامـل لرأى الاساتذة الاجلاء ، فـان هـذه المسألة تحتاج الى المزيـد من البحث والدراسـة حتى يمكن تجنب التناقض الموجود بين هـذه الروايـات التاريخية ، امـا التفسير الذى اعتمده د . مؤنس لكى يذهب هـذا المنحى فانه يحتاج الى اعـادة نظـر ، كمـا أنه غير مقنع فى بعض جوانبه ومنهـا :

أولا — اهمـال المؤرخين لذكـر اسـم عبد العزيـز بن موسى كقائـد لجيش هـذه المناطق ، والاقتصار فقط على ورود الاسـم ضمن كتـاب الصلح ، فى الوقت الذى نجـد تركيزا واهتماما بأخبار مغيـث الرومى وقيامه بفتح قرطبة ، ولو كان عبد العزيـز هـو قائـد الجيش فى الحملة لمـا قـال صـاحب « اخبار مجموعة » عنـد حديثـه عن قيـام تدمير بالتباحث مع أمير الجيش الاسلامى بأنه لـم يزل يراوض أمـير ذلـك الجيش حتى عقـد على نفسـه الصلح وعلى أهل بلده (١٦٧) لان أمـير الجيش هنـا ليس نكـرة ولا يمكن الاشـارة اليـه بمثـل هذا الاسلوب .

---

(١٦٥) عبد العزيز سـالم : تاريخ المسـلمين وآثارهم ص ١١٠ الحاشـية ٣ .

(١٦٦) عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ص ١١١ ، ويميـل الى هذا الرأى أحمـد مختار العبادى فى كتابه « فى تاريخ المغـرب والاندلس » ص ٧١ — ٧٢ ، ودراسـات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٨ ، حيـث يقول : « أمـا شرق الاندلس **El Levante** فقد فتح على يـد الامير عبد العزيـز بن موسى بن نصير الذى خلف على ولايـة الاندلس ، على الرغم من أن الدكتور العبادى يشير ضمن تحقيقه لكتـاب ابن الشباط الى أن صديقه الاستاذ الدكتور خواكين بالبيه ، المستشرق الاسبانى يقوم بتحقيق مخطوطـة عن تاريخ مالقة لابن عساكـر ، وان ابن عسـاكر يؤكـد ان عبد الاعلى بن موسى هـو الذى فتح مالقة فى عهـد والـده ، انظـر ص ١٤٤ ، من تاريخ ابن الكردبوس ، الحاشـية رقم ١ . وكذلـك يذهب الدكتور بيضون فى كتابه تاريخ الدولة العربيـة فى اسبانيـا ص ٨٨ .

(١٦٧) أخبار مجموعـة ص ١٣ .

ثانيا — عـدم وجود تفسير مقنـع لمـا نصت عليه بعض المصـادر التاريخيـة من أن الجيش الذى قـام بفتح هـذه المنـاطق قـد كتـب بالفتح الى الامير طارق (١٦٨) ٠

ثالثا — عـدم وجود تفسير مقنع لاهمـال ما نصت عليـه بعض المصادر صراحة من أن عبد الاعلى بن موسى هو الذى ارسـل من قبـل والده لفتح هـذه المنـاطق ، وهى من المصـادر المعتمـد عليهـا فى كتابة التـاريخ الاندلسى (١٦٩) ٠

رابعـا — تورد الوثيقـة التى اعتمـد عليهـا فى رواية فتح هـذه المنطقـة حقيقتين اساسيتين همـا : أن الذى كتبهـا عبد العزيـز بن موسى وانهـا كتبت فى رجب من عـام ٩٤ هـ ، واذا كان لنـا ان نأخـذ بمـا فى أولهـا ومتنهـا كان لزامـا علينـا ايضـا أن نأخـذ بمـا جاء فى آخرها ، امـا اذا شككنـا فى جزء منهـا ، فانه يصبح لزامـا علينـا ايضـا ان نشك فى باقى ما ورد فيهـا ٠

خامسا — ان حلول الشتاء ليس بالعائق الجوهرى الذى يعطـل حركـة الفتح الاسلامى ، وخاصـة ان هـذه المناطق من جنوب اسبانيـا وجنوبها الشرقى ليست من المناطق الشديدة البرودة علاوة على ذلـك فـان المسلمين لـم يوقفوا عمليـات الفتح خـلال الشـتاء — اللهم الا عودة طـارق الى طليطلة لانتظـار موسى بن نصير — ودليلنـا على ذلـك ان حمـلات موسى ابن نصير لـم تتوقف منذ عبوره فى رمضـان من عام ٩٣ هـ ٠ يونية ٧١٢ م حتى غادر الاندلس فى ذى القعـدة من عام ٩٥ هـ ، سبتمبـر ٧١٤ م ٠

---

(١٦٨) ابن عذارى : البيـان جـ ٢ ص ١١ ، وأخبار مجموعـة ص ١٣ ٠

(١٦٩) انظر فى ذلـك ابن الخطيب فى كتابه اللمحة البدريـة المشـار اليه ص ١٠١ ، وكتابه الاحـاطة فى اخبار غرناطة ، الطبعة الثانيـة جـ ١ ص ١٠١ ، والمقرى فى نفح الطيب جـ ١ ص ٢٧٥ ، وخاصـة انـه يورد رواية طويلة عن كيفيـة اسر « ملك مالقة » على يـد عبد الاعلى على الرغـم من قول الدكتور مؤنس : غير اننـا نستبعـد ان تكـون مالقـة قـد فتحت فى أيـام موسى ، وعلى يد ابنـه هـذا (انظـر فجـر الاندلس ، ص ١١٢ ، التعليق رقم ١ ٠) وابن الكردبوس ص ١٤٤ الحاشية رقم ١ ٠

سادسا — كافة المصادر التاريخية الاندلسية والمغربية تكاد تتفق فى صمتها تماما حين حديثها عن ولاية عبد العزيز بن موسى ، ولا تذكر له ما قام به من فتوحات ، وأهم ما اشير اليه فى هذا المجال هو قول صاحب الاخبار المجموعة « وقد افتتح فى ولايته مدائن كثيرة (١٧٠) وما رواه المقرى عن أعمال عبد العزيز فى الاندلس يأتى فى الصورة التالية أنه » ضبط سلطانها وضم نشرها ، وسد ثغورها وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقى على ابيه موسى منها (١٧١) وليس معنى ذلك عدم قيام عبد العزيز بنشاط لاستكمال الفتح ، فهناك الادلة الوافية على جهاده فى شمال الاندلس ومنطقة الغرب ، وليس هذا مجال التصدى لذلك · وليس فى امكانى تقديم التصور النهائى الذى يمكننا من تلافى التناقض بين هذه الروايات التاريخية ، ومن ثم فان اقصى ما اطمح اليه من تقديم بعض الافكار فى هذا المجال ، هو الدعوة لمزيد من البحث والدراسة حول هذا الموضوع ·

يذهب الدكتور عبد الرحمن الحجى من ان موسى بن نصير قد ارسل ابنه عبد العزيز لاستكمال فتح شرق الاندلس ، قبل توجه موسى الى ماردة وبعد ان ادى عبد العزيز مهمته وعقد الصلح المذكور مع تدمير فانه يلتحق بأبيه فى حصاره لماردة · وبعد فتح ماردة يوجهه الوالد للقضاء على ثورة اشبيلية (١٧٢) ·

وهذا الافتراض معقول لولا انه لا يقدم تفسيرا لورود اسم عبد الاعلى فى الكثير من المصادر بدلا من اسم عبد العزيز ، أو لتلك الحملات التى خرجت بأوامر من طارق بن زياد لفتح هذه المناطق ، ولذلك فاننى اعرض بعض النقاط للمناقشة وفتح باب الحوار حول هذه النقطة التاريخية ·

---

(١٧٠) خبار مجموعة ص ٢١ ·
(١٧١) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٨١ ·
(١٧٢) انظر التاريخ الاندلسى ، الصفحات من ٧٨ — ٨٣ ·

أولا - ان يكون طارق بن زياد بعد ان انتصر على المقاومة فى معركة استجة ، قد وجه السرايا الى هذه المناطق لفتحها فى الوقت الذى ارسل الى موسى بن نصير بأخبار الفتح ويدعوه الى نجدته فى الاندلس (١٧٣) • وأن موسى بن نصير قد طلب من ابنه مروان أن يجوز الى الاندلس ويلحق بطارق ، ومن المحتمل أن يكون عبد العزيز وعبد الاعلى قد رافقا أخاهما فى هذه المهمة وانهم اتخذوا طريقهم للالتحام مع السرايا التى ارسلها طارق الى هذه الجهات ومن ثم شاركوا فى فتح غرناطة ثم مالقة ثم تدمير ، وكتبوا بهذه الفتوح الى أميرهم طارق بن زياد وبعد الانتهاء من هذه المهمة لحق القسم الاول من الجيش بطارق فى طليطلة ، ولحق عبد العزيز ومن معه بوالده أثناء حصاره لمدينة ماردة ، وبعد سقوط ماردة يتولى عبد العزيز اعادة فتح اشبيلية ، ومن ثم بقى يمارس نشاطه فى غرب الاندلس •

ثانيا - أن نأخذ برأى المصادر القائلة بأن موسى ارسل ابنه عبد الاعلى لفتح هذه المناطق خلال قيام موسى نفسه بفتح أجزاء من غرب الاندلس ،•واذا اردنا تعديل ما جاء فى الوثيقة فيكون اسم عبد الاعلى بدلا من عبد العزيز ، ومن المحتمل أن المؤرخين أو من قاموا بنسخ المخطوطات قد أحلوا اسم عبد العزيز بدلا من عبد الاعلى لما لاولهما من شهرة اكتسبها بعد ذلك من ولايته للاندلس وانظر فى ذلك على سبيل المثال التذبذب بين اسمى عبد الاعلى وعبد العزيز بين طبعتى الاحاطة الاولى والثانية (١٧٤) • ويترجم ابن الخطيب حياة عبد الاعلى بن موسى بن نصير على الوجه التالى : « كان عبد الاعلى أميرا على سنن ابيه فى الفضل والدين ، وهو الذى باشر فتح غرناطة ومالقة واستحق الذكر لذلك • قال الرازى : وكان موسى بن نصير ، قد اخرج ابنه عبد الاعلى فيمن رتبه من الرجال الى البيرة وتدمير لفتحها ، ومضى الى البيرة ففتحها وضم اليها غرناطة اليهود ، مستظهرا بهم على النصر ، ثم مضى

---

(١٧٣) انظر ما اورده ابن قتيبة : ان الامم تداعت علينا فالغوث الغوث سبق الاشارة اليها •

(١٧٤) ابن الخطيب : الاحاطة الطبعة الاولى ج ١ ص ١٠٧ ، والطبعة الثانية ج ١ ص ١٠١ ، وانظر الحجى : التاريخ الاندلسى ص ٧٩ •

الى كورة رية ففتحها (١٧٥) ·

ثالثا — أن تكون هذه المناطق قد فتحت بالفعل على يد سرايا طارق بن زياد ، وأن موسى بعد عبوره بأبنائه قد وجه قسما من جيشه بقيادة عبد العزيز ومعه عبد الاعلى ، لتأكيد الفتح فى هذه المناطق وتوكيد الصلح فيها ، ثم اتجه عبد العزيز بعد ذلك الى ماردة حيث شارك والده فى فتحها ، وبعد ذلك توجه الى اشبيلية للقضاء على ما قام بها من ثورة وأن ذلك كله كان من خلال عام ٩٤ هـ كما ينص على ذلك تاريخ الوثيقة ولذا يشير المؤرخون الى كليهما كقادة للفتح فى هذه المناطق ·

أما عن تدمير امير هذه المنطقة ، فترتفع به المصادر الاسبانيه الى مصاف الزعماء العظام ، فهو النموذج المثالى فى الدفاع عن استقلال الوطن وحامى الديانة المسيحية ، والمرشح الاول للمملكة بعد لذريق ولقد كان والده Ergobardos نبيلا قوطيا من ابطال اسبانيا ، وقائد بعض فرقها العسكرية التى حققت انتصارات كثيرة فى عهد الملك غيطشة ، ولقد ظل تدمير من اجل ذلك وفيا مخلصا لابناء هذا الملك ، لايمانه بأنهم حكام اسبانيا الشرعيون ، ومن هذا المنطلق وقف ضد لذريق ، وتعاون مع يوليان ، وأنه قد خدع خدعة كبيرة حينما وجد أن العرب بعد انتصارهم الحاسم على لذريق وأعوانه ، لم يوافقوا على تنصيب اخيلا بن غيطشة ملكا على اسبانيا · ولقد استقر هذا الرجل حاكما على اقليم مرسية ، دون اعتراض شديد من العرب ، على أساس تبعيته لابن الملك غيطشة ، ولكنه ما لبث ان انتهى اقليمه بالخضوع الكامل للعرب كما سبق أن تبينا (١٧٦) ·

---

(١٧٥) ابن الخطيب : الاحاطة ، الطبعة الثانية ، جـ ٣ ص ٥٢٩ ، كما يجب الانتسى ذهاب ابن عساكر فى تاريخ مالقة الى نفس الرأى وكل منهما كان يكتب فى تاريخ المدينة ، حين سجل ذلك ولا شك انه كان يعتمد فى ذلك على مصادر لم تعد متاحة لدينا الآن ·

(١٧٦) Villa-Real : Historia Critica de Espana, p. 157.

العـودة الى المشرق :

من الصعب التوقف بالنقد والتقويم أمام الاحداث التاريخية ، وخاصة اذا كان لهذا الحدث أبعاده الممتدة الى مسافات بعيدة عبر الزمن أو كان له نتائج مباشرة أدت الى تغيير فى مسيرة التاريخ ٠

ومن هذه الاحداث التى يصعب وضعها فى الميزان التاريخى وتحديد نتائجها بدقة ، عودة قادة فتح الاندلس الى الشرق فى موكب اختلف المؤرخون فى تصويره ، ووضعه اختلافا بينا ٠

لقد أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك رحمه الله ، بل وألح على عودة موسى بن نصير من الاندلس الى دمشق ، وفى هذا القرار غرابة محيرة لانه ليس له شواهد كثيرة مع غيره من قادة الفتح الاسلامى الذين سبقوا موسى بن نصير فى سجل الخلود الاسلامى ، فقد استقر ابو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه فى بلاد الشام بعد فتحها حتى وافاه الاجل هناك ، وكذلك ظل عمرو بن العاص فى مصر بعد فتحها حتى أتم تنظيمها وترتيب أحوالها كما أقام معاوية بن ابى سفيان واليا منذ عهد عمر بن الخطاب الى عهد على بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين ٠

لقد ترتب على تلك العودة توقف مؤقت للزحف الاسلامى نحو مناطق شمال غرب اسبانيا ، وعاد القادة بجنودهم من هذه البلاد فى اتجاه الجنوب حين أخذ موسى بن نصير طريق العودة فى شهر ذى القعدة من عام ٩٥ هـ فالتقى بمغيث الرومى بنواحى ليون وهناك أدركهما طارق بن زياد فى عودته من استرقة ، فأقفله معه ، واتجه الجميع الى طليطلة ، ومنها انحدروا نحو قرطبة ، ثم قصدوا الى اشبيلية ، وهناك فى هذه المدينة ترك موسى ابنه عبد العزيز واليا على الاندلس ، وبدأ رحلة العودة الى الشام ٠

ولقد اختار موسى بن نصير مدينة اشبيلية لتكون مقرا لابنه عبد العزيز لانه رأى فيها القرب من بلاد المسلمين ، ولوقوعها على نهر عظيم لا يخاض ، فأراد ان تكون فيه سفن المسلمين ، وتكون باب

الاندلس (١٧٧) ٠

واشبيلية من أعظم مدن الاندلس ، وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون سكناها مع كل من قرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها (١٧٨) ٠

واختيار اشبيلية مقرا لعبد العزيز بن موسى ، ومنطلقا لقادة الفتح فى اتجاههم نحو بلاد الشام يثير عدة تساؤلات عن كيفية عودة القادة الى بلاد الشام ٠ وينصرف المؤرخون فى ذلك الى أكثر من اتجاه الاول منها أن موسى ركب البحر الى الشرق دون تحديد لمكان نزوله من البحر الى البر ، بمعنى هل ركب البحر الى أفريقية أو الى مصر أو الى سواحل الشام مباشرة ؟ وينقل لنا المقرى أن موسى استخلف ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس ، وأقره بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر نظرا لقربه من مكان المجاز ٠ وركب موسى البحر الى المشرق بذى حجة سنة ٩٥ هـ وطارق معه (١٧٩) ٠

ويمضى الاتجاه الثانى الى ان موسى بن نصير قد جاز البحر الى طنجة ، وبعد ذلك أخذ الطريق البرى الى الشام ، ويورد ابراهيم الرقيق النص التالى : فاجتاز موسى بالأموال والذهب والفضة والجوهر والمواكب الى طنجة ، ثم حملها على العجل ، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة ، تبدل عليها الازواج فى كل مرحلة (١٨٠) ويكتفى ابن

---

(١٧٧) أخبار مجموعة ص ١٩ ٠

(١٧٨) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٥٧ ٠ ، وشكيب أرسلان : الحلل السندسية ج ١ ص ٨٤ ـ٨٥ ٠

المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٧ ٠ والى نفس الرأى يذهب د ٠ مؤنس ولكن يقول بأن موسى « بارح الاندلس فى ذى القعدة سنة ٩٥ هـ / سبتمبر ٧١٤ ووصل مصر فى السابع من ديسمبر ، وبلغ دمشق فى السادس عشر من يناير ٧١٥ » فجر الاندلس ص ١٠٧ ٠ ويأتى د ٠ على حموده بنص المقرى دون زيادة أو نقصان ، انظر : تاريخ الاندلس ص ٩٥ ٠

(١٨٠)انظر ما نشره الدكتور حسين مؤنس من الكتاب المذكور فى مجلة المعهد المصرى ، العدد ١٨ ص ١٠٩ ٠

الكردبوس بالقــول « ثم جــاز البحــر ، وأجــاز معــه طــارق ، واستخلف على الاندلس ابنه عبد العزيــز بن موسى ، وقصــد دمشــق حيث أمــير المؤمنين الوليــد (١٨١) ٠

ولا يحدد أصحاب الاتجاه الثالث طريقــا لموسى بن نصير الا برجوعــه الى القيروان ، ومنهــا ينطلق الى الشــام ، فحين يعــود الرقيق القيروانى الى الحديث عن رحيل موسى ، فانه يقول « وشخص موسى قافلا الى الشــام فوصل مدينــة القيروان فى آخــر سنة ٩٥ هـ ، فلــم ينزلهــا ، ونزل منهــا على ميل من القيروان (١٨٢) ٠

ويذكــر المراكشى بأن موسى « رجع الى القيروان ثــم ســار منهــا بما حصــل له من الغنــائم ، وأعــده من الهدايــا للوليــد بن عبد الملــك ٠٠٠٠ ووصــل موسى الى طبرية سنة ٩٦ هـ (١٨٣) ٠

أما بقية المصــادر الاندلسية والمغــربية فانهــا تقتصر على الاشــارة الى عودة موسى وطارق الى المشرق دون تحديد لوسيلة العــودة أو طــريق الرجوع ومنهــا على سبيل المثال قــول ابن عبد الحكم « خــرج موسى بن نصير من الاندلس بغنائمــه وبالجوهــر والمائدة (١٨٤) ويقــول ابن القرطية : وتوجه موسى بن نصير ومعه أبنــاء الملوك العجم أربعمائه على رؤوسهم

---

(١٨١) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٥٠ ٠ ويتناول الدكتور سالم هــذه المسألة أيضــا دون تحديد لمكــان العبور فيقــول « وعبر القائدان الزقــاق الى افريقيــة يحمــلان معهمــا الغنــائم ، ويجران خلفهمــا موكبا طويلا من قــواد المسلمين ورؤســاء القوط المغلوبين : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ٠ والى ذلــك يذهب عبد الرحمن على الحجى فى التاريخ الاندلسى ص ١١٩ ٠

(١٨٢) نظــر ما جاء فى مقالة د ٠ حسين مؤنس المشــار اليهــا ص ١١١ ٠ ونستدل من التاريخ الوارد فى هــذه الملاحظــة ان موسى استغرق شهرا فى الطريق من اشبيلية الى القيروان أو نحــو شهر ، لان بعض المصــادر تذكــر رحيله من اشبيلية فى ذى الحجة وبعضهــا فى ذى القعــدة من عام ٩٥ هـ ٠

(١٨٣) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغــرب ص ٢٢ ــ ٢٣ ٠

(١٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيــا والاندلس ص ٨١ ٠

تيجـان الذهب ، وفى أوساطهم منـاطق الذهب (١٨٥) ٠

واعتمادا على تلك الآراء جميعهـا فانه من الممكن وضـع برنامــج زمنى وخط سير تقريبى لرحلة عـودة قائدى فتح الاندلس الى المشرق عـلى الوجه التالى :

— ركب موسى ومن معه المراكب من اشبيليـة فى نهـر الوادى الكبـير ومنهـا انحدر الى غـرب مضيق جبل طـارق فى العنق الواصـل بـين البحـر المتوسـط والمحيط من ناحية الغـرب وذلـك فى نهاية شـهر ذى القعدة من عام ٩٥ هـ (١٨٦) ، ثـم حط رحاله فى مدينـة سبتة لانهـا أقـرب الى موضـع نزولـه فى ميـاه البحـر المتوسط ✻ ٠

من سبتة اتجه موسى برا الى القيروان فوصلهـا فى نهاية شهر ذى الحجة من عـام ٩٥ هـ ، واستراح قليـلا بالقـرب منهـا ٠

— وصل موسى بن نصير الى الفسطاط فى يـوم الخميس الموافق للرابع والعشرين من شـهر ربيع الاول عام ٩٦ هـ /٧١٤١٢/١٧ م ٠

— من مصر رحل فى اتجاه فلسطين ووصـل الى بلدة طبريـة فى عــام ٩٦ هـ فى حدود شهـر ربيع الثانى ٠

---

(١٨٥) ابن القوطيـة : افتتـاح الاندلس ص ٣٦ ، والى نفس الرأى يمضى صاحب أخبار مجموعـة ص ١٩ ، وابن عذارى ج ٢ ص ٢٣ ، وصاحب ذكـر بلاد الاندلس ج ١ ص ١٠٠ ، والدكتور أحمـد مختار العبادى « دراسات فى تاريخ المغـرب والاندلس ص ٣٧ ، والدكتور أحمـد بدر فى دراســات فى تاريخ الاندلس وحضارتهـا ص ٢٧ ، وكذلـك الدكتور محمـد زيتون : الفتـح الاسلامى للاندلس ص ٣٢٣ ٠

(١٨٦) أشـار بعض المؤرخين الى شـهر ذى القعـدة كتـاريخ لرحيـل موسى انظـر فجر الاندلس ص ١٠٧ ٠

(✻) نص ابن الاثير صراحة على نزول موسى فى سبتة ، ج ٤ ص ١٢٤، فاذا أضفنـا الى هذا قـول ابن عذارى حين يتحدث عن رحيل موسى من الاندلس ثم مضى حتى وصـل الى الخضراء وأمـر بالعجل ٠٠٠ ٠٠٠ » ج ٢ ص ١٨ أمكننـا أن نكون مطمئنين الى أن موسى قـد عبر من الخضراء الى سـبتة ثم واصـل طريقه الى المشرق ٠

- وصل موسى الى دمشق فى أوائل شهر جمادى الاول من عام ٩٦ هـ ، وسلم الغنائم الى الوليد بن عبد الملك ، الذى توفى فى حدود أواسط جمادى الآخرة من عام ٩٦ هـ ٠

ومن المناسب العودة الى مناقشة الاسباب التى أدت الى هذه العودة لارتباطها ببعض الامور الهامة رغم سبقى للاشارة الى هذه المسألة فيما مضى من صفحات ، وذلك لخطورة هذه القضية على مصير الفتح الاسلامى للاندلس عامة ومناطق شماله الغربى خاصة ، ولكونها منعطفا تاريخيا أساسيا لعب دوره فى أحداث الاندلس التالية بصورة مباشرة الى درجة جعلت الدكتور بيضون يعرض لهذه المسألة على الوجه التالى : ولا يستطيع أحد تفسير دوافع الخلافة اذا ما كانت نتيجة اجراء خاص من الوليد الذى أراد الوقوف مباشرة على انجازاته - أى موسى - فى الاندلس فى وقت ربما شعر فيه الخليفة باقتراب نهايته ؟ أم أن المسألة ابعد من ذلك ، ولها ارتباط باستراتيجية الدولة التى خشيت من انتشار العرب فى بلاد بعيدة ؟ وليس ثمة شك فى ان القرار كان فى غير محله ، وأضاع فرصة التاريخ التى لن تتكرر من أيدى العرب باجتياح القارة الاوربية (١٨٧) ٠

ترجع جذور هذا القرار الى المراحل الاولى لفتح الاندلس حين يكتب موسى بن نصير الى الخليفة الوليد يعرض عليه فكرة فتح الاندلس ، ولم يكن الامر هينا على خليفة المسلمين ، فما زالت تضحيات المسلمين الكبيرة من أجل فتح افريقية ماثلة أمام عينيه ، وما زالت الامور فى افريقية لم تستقر تمام الاستقرار ، وسوف يعبر المسلمون البحر لاول مرة منذ انطلاقتهم الخالدة من شبه الجزيرة العربية ، ولذلك نراه يكتب الى موسى « أن خضها بالسرايا حتى تختبر ، ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال » (١٨٨) ويرد موسى مطمئنا الخليفة « أنه ليس ببحر وانما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر » ، ومع ذلك

---

(١٨٧) ابراهم بيضون : الدولة العربية ، ص ٨٣ ٠

(١٨٨) أخبار مجموعة ص ٥ - ٦ ٠

يرد الخليفة « وان كان ، فاختبره بالسرايا » (١٨٦) ٠

وتمضى الايام والشهور فى الاستعداد والعمل ويعبر طارق الى الاندلس ، ويحرز نصره الخالد على لذريق فى معركة شذونة ، ويكتب بالنصر الى موسى بن نصير ، « فكتب موسى الى الوليد بن عبد الملك يعلمه بذلك (١٩٠) ومع أخبار النصر ، تصل المعلومات الاخرى بأن موسى قد رحل الى الاندلس فى جيش جرار يزيد على الثمانية عشر ألفا من المسلمين ويثير ذلك كله فى نفس الوليد بن عبد الملك بعضا من القلق ، لان فى ذلك بعض التناقض الظاهرى ٠ ويعبر موسى الى الاندلس ، ويحقق المزيد من الانتصارات ، ويدخل الكثير من المعارك ، ويمضى ما يزيد على العامين منذ بلغ الخليفة خبر الفتح على يد طارق ، فماذا يحدث فى الاندلس ؟ وما صحة تلك الاخبار التى تترى من هناك ؟ ثم يصل اليه أولاد الملك غيطشة بعهد طارق وتأكيد موسى ، ويترهم الوليد على ما فعل القائدان (١٩١) ولكن مع ذلك فاننى أميل الى ان صورة ما يحدث فى الاندلس لم تكن واضحة المعالم فى عاصمة المسلمين وقد يكون ذلك هو أساس الرواية التى ينقلها ابن قتيبة حيث يقول « وذكروا ان الوليد بن عبد الملك لما بلغه خبر مسير موسى بن نصير الى الاندلس ، ووصفت له ، ظن أنه يريد أن يخلع ويقيم فيها ، وليمتنع بها ، وقيل له ذلك ، وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطيئه لفتح البلاد ٠ فأمر الوليد القاضى أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته ٠ وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها (١٩٢) ، وأوفد معه وفدا ، فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر ، فدخل المسجد فالفى القاضى يدعو على موسى فقال ، أيها الناس ، الله الله فى موسى ، والدعاء عليه ، والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة ، وانه لفى طاعة أمير المؤمنين (١٩٣) ٠

---

(١٨٩) نفس المصدر ص ٦ ٠

(١٩٠) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والاندلس ، ص ٧٦ ٠

(١٩١) المقرى : النفح ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ٠

(١٩٢) على بن رباح بصرى تابعى ، ويكنى أبا عبد الله ، وهو لخمى ، ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة ٠ النفح ج ١ ص ٢٧٨ ٠

(١٩٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٢ ٠

وليس من المستبعد ان تصل الى الوليد روايات مثل هذه أو غيرها وكذلك روايات اخرى عن طموحات موسى بن نصير فى غزو باقى الامم الاوربية ، وعزمه على ، ان يخترق ما بقى عليه من بلد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا أن يتخذ بتلك الارض طريقا مرصعا يسلكه أهل الاندلس فى مسيرهم من المشرق واليه على البر لا يركبون بحرا (١٩٤) وليس من شك أن ذلك كان فى مخيلة الوليد بن عبد الملك من مراسلات موسى ، ومن الرسل المترددة عليه ، وارتباط ذلك بما لديه من تاريخ صراع المسلمين مع البيزنطيين برا وبحرا ، وما قد يتطلبه مثل هذا المشروع الضخم من مدد كبير ، والشقة التى كان على المسلمين أن يتحملوها قبل ان يمضوا فى طريق غير مدروس دراسة كاملة . ويتزاحم ذلك كله فى مخيلة الوليد بن عبد الملك مع وصف موسى ابن نصير لفتح الاندلس « انها ليست الفتوح ولكنها الحشر (١٩٥) . فاذا اضفنا الى ذلك كله أن الخليفة قد وصلته بعض الانباء عن خلاف بين طارق وموسى ، واعتمدنا — بحذر — على ما يذهب اليه د . مؤنس من أن مغيثا الرومى لم يصور الامر على حقيقته تماما يمكن لنا أن نصل الى تصور ما قد دفع بالوليد بن عبد الملك الى أن يطلب من موسى بن نصير العودة الى دمشق والمثول أمامه شخصيا (١٩٦) يعرض عليه الوضع كما هو ، ويسأله عن حقيقة

---

(١٩٤) المقرى : النفح جـ ١ ص ٢٧٧ . وانظر كذلك قول ابن قتيبة على لسان موسى حين وقف حنش الصنعانى أمام موسى يمنعه من التقدم : اما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدى ان شاء الله ، جـ ٢ ص ٦٦ .

(١٩٥) ابن الشباط : وصف الاندلس ص ١١٦ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٨٥ .

(١٩٦) يؤيد ذلك المؤرخ الاسبانى لويس سواريث فرناندويث ويقول : بان الخليفة قد أمر بالعودة الى دمشق لكى يقدم تقريرا عن الاعمال العسكرية ، ولكن القائد قبل عودته قد قرر افتتاح شمال اسبانيا حتى وصل الى مدينة لك Lugo واستسلمت لهما كل هذه المناطق ، وهذا ألحت عليهما أوامر الخليفة بالعودة ، وكان على الفاتحين أن يطيعا الاوامر » انظر تاريخ اسبانيا فى العصور الوسطى ، المشار اليه ، ص ١١ — ١٢ .

ما يجرى هناك . ولم يغب ذلك عن فطنة موسى بن نصير ، فقد أدرك أن الخليفة غير مطمئن تماما على مجرى الامور فى الاندلس ، ولهذا لم يستجب للنداء مباشرة ، بل اراد ان يعود وصورة الفتح أكثر وضوحا واستقرارا ، فطلب من مغيث الرومى أن يتريث حتى يستكملا فتح شمال الاندلس، ولم يعترض مغيث على ذلك - وفى هذا دليل واضح على أن الدعوة الى دمشق كانت لتوضيح موقف المسلمين فى الاندلس - ويظل مغيث مع موسى يستكملان فتح الشمال الأندلسى ، وتصل الخليفة مرة اخرى أخبار موسى وعزمه على الاستمرار فى الفتح ، فيشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ، ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين ، فأرسل له رسولا ثانيا كنيته أبو نصر مع رسالة شديدة اللهجة مليئة بالتوبيخ والانصراف ، وأمر سفيره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع موسى ، وكتب له بذلك عهده (١٩٧) .

ويرى موسى فى لهجة الخليفة وخطابه تغيرا ، فى الوقت الذى اصبح فيه مطمئنا على رسوخ أقدام المسلمين فى الاندلس ، فيقرر العودة ويأخذ بعد ذلك طريقه الى دمشق .

تتبقى نقطة هامة ومثيرة للتساؤل فى هذا الموضوع : لماذا عاد طارق بن زياد مع موسى بن نصير الى الشام ، ولم يبق بالاندلس ؟

يذهب بعض المؤرخين الاسبان الى المبالغة الشديدة فى تصوير الخلاف بين موسى وطارق الى درجة القول « بالحرب الاهلية بين كل منهما بغية حفاظهما على مكانتهما مما دعا الخليفة الى اخراجهما من الاندلس وأمرهما بالعودة والمثول امامه وتقديم الحساب هناك (١٩٨)

كما يروى الدكتور حسين مؤنس عند تعليقه على ما قيل من خلاف بين موسى وطارق :

وطارق ، بأن مغيثا الرومى هو الذى نقل شكوى طارق الى الوليد بن عبد الملك ، وأن الخليفة قد كتب يهدد موسى ، ويدعوه للمثول بين يديه

---

(١٩٧) انظر ابن خلدون . تاريخ ج ١ ص ١١٧ - ١١٨ ، المقرى ج ١ ص ٢٣٤ .

(١٩٨) وانظر شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٥٦ .
Villa-Real : Op. cit., pp. 163-166.

فخاف موسى وأطلق طارقا ، ثم يلبث ان عاد ليؤدى عند الخليفة حسابا عسيرا على ما فعل (١٩٩) ٠

وفى صفحة اخرى يتحدث عن عودة مغيث من دمشق « ومعه أمر لموسى وطارق بأن يشخصا الى دمشق ، وأحس موسى بما وراء هذه الدعوة وعرف أن مغيثا مولى عبد الملك بن مروان لابد وأن يكون قد تقول عليه شيئا ٠٠٠ (٢٠٠) ٠

ان معظم الروايات التاريخية الاندلسية وغيرها لا تتحدث الا عن دعوة الوليد لموسى بن نصير وحده بالعودة الى دمشق دون أن تنص على عودة طارق معه ، باستثناء نص لابن القوطية يقول « ثم أتاهما عهد الوليد بن عبد الملك بالانصراف ، فانصرفا وقد دار الخلاف بينهما (٢٠١) ومن تلك الروايات نتبين أن موسى بن نصير خلال عودته من شمال اسبانيا وافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فاتقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول (٢٠٢) بينما يقول ابن الكردبوس : « ثم جاز البحر ، وأجاز معه طارق » (٢٠٣) ٠

ويمكننا ارجاع عودة طارق الى احتمالين : اما الاخذ برواية ابن القوطية القائلة بأن الخليفة الوليد قد طلب من القائدين العودة معا الى دمشق ، أو ان عودة طارق الى الشرق كانت بناء على رغبته ويحملنى على هذا الرأى رواية الرازى « أن الذى ازعج موسى عن الاندلس ، أبو نصر رسول الوليد ، فقبض على عنانه ، وثناه قافلا ، وقفل معه من أحب الى المشرق (٢٠٤) ٠

---

(١٩٩) حسين مؤنس ٠ فجر الاندلس ص ٦٨ ٠ اعتمادا على رواية لابن عبد الحكم التى يفندها د ٠ حسين مؤنس ، ويأخذ بقول ابن حيان فى ان الخلاف كان بسيطا بين الرجلين ٠

(٢٠٠) حسين مؤنس : نفس المصدر ص ١٠٦ ٠

(٢٠١) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ، ص ٣٦ ٠

(٢٠٢) المقرى : النفح ج ١ ص ٢٧٦ ٠

(٢٠٣) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٥٠ ٠

(٢٠٤) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٠ ٠

ولعل ابن زيـاد الذى لـم يسبق لـه زيارة الشرق ، قـد رأى الفرصـة سانحة لرؤية الخليفـة ، ورؤية عاصمـة المسلمين ، كمـا ان عودته مـع موسى كانت تتيح لـه قطف بعض ثمـار جهـاده الطيب بالاشتراك فى موكب العودة والنصر ٠

موكـب النصر :

من الظواهـر النادرة فى تاريخ الفتوحـات الاسلاميـة ، وترتبط بتـاريخ الفتح الاسلامى للاندلس ، موكب عودة موسى بن نصير وطارق بن زيـاد الى المشرق ، وهو موكب فخم مهيب يتفق فى الاسهاب فى وصف مظـاهـر عظمته جلة المؤرخين وان اختلفوا فى بعض التفاصيـل مثـل عـدد العجـل الذى يحمـل الغنـائم أو عـدد الاسرى الذين قادهم موسى الى المشرق ٠ ويصف ابن قتيبة هـذا الموكب فى العبارات التاليـة « وذكروا ان يزيد مولى مسلم مولى موسى ، اخبرهم أنه لمـا جـاز موسى الحصن أمرهم بصناعـة العجل ، فعملت لـه ثلاثون ومئـة عجلة ، ثـم حمـل عليهـا الذهب والفضـة والجواهـر ، وأصناف الوشى الاندلسى ، حتى أتى افريقية ٠٠٠٠٠٠٠٠ وأخرج معه ابنه مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مئة رجـل من اشراف النـاس ، من قريش ومن الانصـار وسائر العـرب ومواليهـا ، ومنهم عياض بن عقبـة ، وعبد الجبار بن ابى سلمة بن عبد الرحمن عـوف ، والمغيرة بن ابى بـردة ، وزرعـة بن ابى مدرك ، وسليمان بن نجـدة ، ووجوه من النـاس واخرج معه من وجوه البربر مئة رجل منهم بنوكسيلة ، وبنـو قصدر وبنـو ملوك البربر ، وملك السوس ، ومزدانة ملك قلعة أرساف ، وملك ميورقـة ، وخرج بعشرين ملكـا من ملوك جـزائر الروم ، وخرج معه مئة من ملوك الاندلس، ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم ٠ وخرج معه أيضـا بأصنـاف ما فى كل بلد من بزهـا ، ودوابهـا ، ورقيقهـا ، وطرائفها ما لا يحصى فاقبـل يجر الدنيـا وراءه جرا لـم يسـمع بمثله ولا بمثل ما قدم به (٢٠٥)٠

وتـأتى عبارات ابن الكردبوس أكثـر تواضعـا فيقـول : وقصـد دمشق — أى موسى — حيث أمير المؤمنين الوليـد ، وحمـل جميـع ما جلبـه

---

(٢٠٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٧ — ٦٨ ٠

من الاندلس ، وذلك ثلاثون عجلة موقرة ذهبا وفضة ، ومن الاعلاق النفيسة من الياقوت والدر والزبرجد ، والذخائر الرفيعة من الملابس ، ومائة ألف من سبى الرجال والنساء والصبيان ، منهم أربعمائة رجل من ملوك العجم متوجين (٢٠٦) ٠

ويصل موكب النصر الى مصر ، حيث أقام ثلاثة أيام « تأتيه أهل مصر فى كل يوم ، فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا ، وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم ، وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ، ثم سار حتى آتى فلسطين ، فتلقاه آل روح ابن زبناع فنزل بهم فبلغنى انهم نحروا خمسين جزورا ، وأقام عندهم يومين ، وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم ، وأجاز آل مروان ، وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف ، وغير ذلك من الطرف (٢٠٧) ٠

« لقد كان ركب موسى فى عودته ركب قائد مظفر أوسع الله عليه فى الخير والغنائم ، فكان لا يلقى أحدا الا اعطاه شيئا ، ولسنا نعلم على وجه التحقيق من أى مال كان يعطى لكن الذى نعلمه أن أحدا من الفاتحين المسلمين لم يبلغ هذا المبلغ من السخاء وكثرة الهبات (٢٠٨)

وفى الطريق – وعند اقترابه من دمشق – كانت أخبار وصوله قد سبقته الى دمشق ، والوليد على فراش الموت وافت موسى بن نصير رسالتان ، احداهما من الوليد تستحثه على السير والاسراع بالوصول والاخرى من ولى عهده سليمان بن عبد الملك تطلب منه الابطاء والتثبط فى مسيره والايعجل فلما آتى موسى كتاب سليمان قال : « خنت والله وغدرت وما وفيت ، والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى أسير بمسيرى ، فان وافيته حيا لم أتخلف عنه ، وان عجلت منيته فأمره الى الله » (٢٠٩) ٠

---

(٢٠٦) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٥٠ ٠
(٢٠٧) ابن قتيبة ، جـ ٢ ص ٦٨ ٠
(٢٠٨) حسين مؤنس ٠ فجر الاندلس ص ١٠٧ ٠
(٢٠٩) ابن قتيبة ، جـ ٢ ص ٦٩ ٠

ويصـل الموكب الى دمشق ، فيذهل الناس بمـا فيه من الخيرات والمغـانم بل يجمـع المؤرخون على ان أحـدا من الفاتحين المسلمين لـم يعـد بغنائم تشبه – بعـد فتح فارس – غنائم موسى (٢١٠) ٠

والـرب ضـارة نافعـة :

ليس من شـك أن الكتابة التاريخيـة لا يمكن ان تعتمـد على « لو » لكن المؤكـد ان صورة التاريخ الاسلامى فى الاندلس واوربا كـانت ستكون شيئا آخـر « لو » قـدر الله للقائدين موسى وطـارق أو أحدهمـا البقـاء فى الاندلس ، واذا كان لنـا ان نحبس فى صدورنا رنة أسـف أو أسى عـلى قـرار اعادتهمـا – رغم كل التبريرات التاريخيـة المقنعـة – فـان ذلـك يذهب ويحـل محله شعور بالرضى للتأثير الايجابى الـذى لعبه هـذا الموكب الظافـر فى مجريات تاريخ الاندلس ٠ ففى الوقت الذى يـرى بعض المؤرخين فى هـذا الموكب سابقـة فى تاريخ الفتوح الاسلاميـة ، انفـرد فيها موسى باعطـاء انتصـاراته فى افريقيـا واسبانيـا هـذا الصدى الكبير من الدعاية ، الامـر الذى ينسجم مع نزعته الارستقراطية وميله الى مظـاهر الفخامة » (٢١١) أرى فى ذلك الموكب الخالد ومـا صحبه من مظـاهر الاجلال والتبجيـل والترحيب مظهرا من مظـاهـر مكافأة اللـه سبحانه وتعـالى للمجاهدين المخلصين فى سبيـل الله والاسلام ٠

نقطة اخـرى ايجابيـة وهامـة لهـذا الموكب الضخم ، يمكن ان تفسر لنـا احدى النقاط الغامضـة فى التاريخ الاندلسى ، وهى كثرة العنصر العربى المسلم فى الاندلس ، بصورة تفوق كثيرا الاعداد لتى حفظتهـا لنـا المدونات التاريخيـة عنـد حديثهـا عن الجماعـات العربيـة المسـلمة التى دخلت الاندلس ، وعرفت فى التاريخ باسـم « الطوالع » وهى ثلاث رئيسـية طالعة موسى بن نصير وطالعـة الحـر بن يوسف الثقفى وهى قليلة العـدد وطالعة بلج القشيرى وهى فى جميعهـا لا تصـل الى اكثـر من ثلاثين ألفـا من العرب ، « ولكننـا لا نكاد نمضى فى استقصـاء أخبار الاندلس حتى نجده يموج بالعـرب موجـا ٠ نجـد جماعـات عربيـة ضخمـة فى نواحى

---

(٢١٠) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ص ١٠٨ ٠
(٢١١) ابراهيم بيضون ٠ الكتاب المشـار اليه ص ٨٥ ٠

قرطبة واشبيلية والجزيزة الخضراء وتدمير وسرقسطة ، غير جاليـات أخرى صغيرة فى كل ناحية تقريبا (٢١٢) ٠

ويتسـاءل الدكتور مؤنس : فمن اين اتى هؤلاء العـرب ؟ وكيف بلغ من كثرتهم أنهم احتلوا معظم سهول البلاد حتى لـم يبقى للبربر غـير القليـل منهـا ، وسـهول الاندلس واسـعة لا يملؤهـا الا مئات الآلاف ، ويفسر ذلـك بافتراض وجود تيـار من المهاجرين العـرب الى الاندلس (٢١٣)

واضيف الى رأى استاذى أن هـذا التيار الذى بدأ مـع أخبار انتصارات طـارق بن زيـاد ، قـد ازداد حجمـه ، وارتفـع موجه نتيجة ذلـك الموكـب الكبير الذى اخترق تلك المسـافات الشـاسعة من المحيط الاطلنطى الى بلاد الشـام مارا بمصر وفلسطين ومعظم المدن الشـامية حتى دمشـق وكـان ما رآه النـاس من الخيرات والغنـائم خير دليـل على ثراء هـذه المناطق وكثرة ارزاقهـا فهاجروا الى هنـاك ليضعوا الاسـاس المتين لبنـاء دولـة اسلامية استمرت ثمانيـة قرون كاملة ٠

موسى وطـارق فى دمشق :

دخل موسى بن نصير وموكبه مدينـة دمشق فى أوائـل جمادى الاول عام ٩٦ هـ ، واستعدت المدينـة لاستقباله ، ويصف ابن قتيبة دخـول الموكب ولقـائه مـع الخليفـة الوليـد بن عبد الملك فيقـول : « وذكروا أن موسى لمـا قـدم على الوليـد ، وذلك يوم الجمعـة ، فى حين جلوس الوليـد على المنبر وكان موسى قـد قـال لبعض من وفـد معـه بـأن يلبس كل رجل من الاسرى تاجـا ، وثيـاب ملك ذلـك التـاج ، ثـم يدخلوا معه المسـجد ٠ قال : فالبس ثلاثين رجـلا ثلاثين تاجـا ، وهيأهم هيئـة الملوك ، وأمر بأبنـاء ملوك البربر فهيئوا ، وامـر بأبنـاء ملـوك الجزائر والروم فهيئوا كذلـك ، ولبسوا التيجان وأمـر بأبنـاء ملوك الاشبان فهيئوا بمثـل ذلـك ، وأمـر بالاموال والجوهـر واللؤلؤ والياقـوت والزبرجد

---

(٢١٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١٢٦ ، وانظـر ايضـا الصفحـات ٣٥٥ ومـا بعـدهـا ٠

(٢١٣) نفس المصـدر والصفحة ٠

والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، فوقف الجميع بباب الوليد ، وأبناء ملوك الفرنجة ، واقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق ، والوليد على المنبر ، يحمد الله وهو موهون — أى ضعيف — قد أثرت فيه العلة ، وأنهكه المرض ، وانما كان متحملا لاجل قدوم موسى ومن معه ٠ فلما رآهم بهت اليهم ، وقال الناس : موسى ؟ موسى ؟ ثم اقبل حتى سلم على الوليد ، ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ٠ ثم أن الوليد أخذ فى حمد الله والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره ، فتكلم بكلام لم يسمع بمثله ، وأطال حتى فات وقت الجمعة ، ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ، ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات ، وأجازه بخمسين ألف دينار ، وفرض لولده جميعا الشرف ، وفرض لخمس مئة من مواليه ، ثم أدخل عليه رءوس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب ، فأحسن جوائزهم وفرض لهم من الشرف ،ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ٠ ثم ان الوليد هلك (٢١٤) ٠ تولى سليمان بن عبد الملك بعهد من أخيه الوليد فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة ، وكان مولده فى سنة ستين من الهجرة (٢١٥) ٠ ويصفه السيوطى بأنه كان فصيحا مفوها ، مؤثرا للعدل محبا للغزو ٠ وأن من محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير ، وكان يمتثل أوامره فى الخير (٢١٦)

ومع ذلك فان المصادر التاريخية تتحدث عن المعاملة القاسية التى لقيها موسى بن نصير على يديه الى درجة القول بأنه « حقد عليه وأهانه ، وأمر باقامته فى الشمس حتى كاد يهلك ، وأغرمه

---

(٢١٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٤ — ٧٥ ٠

(٢١٥) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ٠

السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢١٠ ، دار الفكر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ولكن ابن ماجه يجعل توليته فى النصف الاول من ربيع الاول أو الآخر من سنة ٩٦ هـ — انظر تاريخ الخلفاء ص ٣١ ، تحقيق محمد مطيع حافظ الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م ٠

أموالا كثيرة ودس الى اهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على الاندلس (٢١٧) • وترجع الروايات ذلك الى إن سليمان كان يود أن يتريث موسى بن نصير فى عودته الى الشام حتى يموت الوليد ، ومن ثم يدخل على سليمان فى أول ولايته بما حمل من غنائم الاندلس ، فيكون ذلك بشارة طيبة • وأن رفض موسى لطلب سليمان قد أحقد عليه سليمان وأحنقه ، ودفعه للايقاع به •

جانب آخر ترجع اليه المصادر التاريخية سبب غضب سليمان على موسى ويتمثل فى قيام مغيث الرومى وطارق بن زياد بشكواه الى الخليفة واتهامه بالاسراف فى توزيع الغنائم على الناس والتى هى من حق بيت مال المسلمين • كما انهما اتهما موسى حين نسب الى نفسه الاستيلاء على مائدة سليمان (٢١٨) •

ويقف النقد التاريخى الحديث موقفا حذرا أمام تلك الروايات المسرفة التى سجلها المؤرخون القدامى ، والتى سجلوها كما سمعوها بصرف النظر عما بها من مبالغة أو من مناقضة للتفكير العقلى المتأنى ورحم الله المقرى حين يقول : وأياك والاغترار بما هو غير مقبول فى كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس (*) ومن هنا فان غالبية المؤرخين المعاصرين يلقون بظلال من الشك على تلك الروايات

---

(٤١) المقرى : النفح ج ١ ص ٢٨١ • هذا ولقد تباينت أقوال المصادر فى هذا الشأن • يقول ابن القوطية : فلما صار الامر الى سليمان حبس موسى بن نصير وأغرمه وعهد الى خمسة من وجوه العرب بالاندلس بقتل ابنه عبد العزيز ، ص ٣٦ • أما ابن الكردبوس فيقول وسطا عليه سليمان ، وطالبه بمائتى ألف دينار ص ٥١ • ويقول ابن عذارى بأن سليمان أرسل الى موسى وعنفه بلسانه « والله لأفلن غربك ولأفرقن جمعك ، ولاصغرن من قدرك •••••• فأمر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر ، وكان موسى رجلا بدنا ، ضخما ذا نسمة فوقف حتى سقط مغشيا عليه • ج ٢ ص ٢٠ •

(٢١٨) مثال هذه الروايات وافرة فى معظم المصادر التاريخية المشار اليها •

(*) المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٢ •

على أساس أن من المستبعد « ان يعاقب الخليفة سليمان بن عبد الملك تابعيا جليلا كموسى بن نصير ، أسس ملكا من عدمه ، وقضى سنى حياته مجاهدا فى سبيل الله ، لمجرد قالة أو وشاية فى حقه (٢١٩) ٠

« ان التحرى الدقيق لروايات المؤرخين يجعلنا لا نطمئن الى هذه الدعاوى التى تلصق بالخلفاء الامويين فى عقاب قادتهم وفى محاسبتهم ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وانما مما يدل على عدم صحة هذه المحاسبات والمخاصمات هو التردد من المؤرخين فى رواياتهم بين قدوم موسى على سليمان مرة ، وعلى الوليد مرة اخرى ، وبين الرضا عنه مرة والسخط عليه مرة اخرى ٠٠٠ ٠٠ ٠٠ كل هذا يدل على الاختراع والتزيد فى الروايات مما يشوه معه جلال تاريخنا الاسلامى (٢٢٠) ٠

ومن المهم هنا ان ننوه بأن تاريخنا الاسلامى أعظم وأجل من أن يشوه اذا ما ذكرت فى صفحاته أمثال تلك الحوادث التى ان صحت فهى لا تعدوا نوازع بشرية بما فى النفس البشرية من نقص أو خطأ يغفره الله تعالى أو يحاسب عليه ، وفى تاريخنا الاسلامى أمثلة ناصعة من التضحية والفداء ، والمواقف الانسانية الفذة والفريدة ، ولا يمكن أبد ان يضار هذا التاريخ بموقف أو أكثر لا يرتفع الى مستوى المسئولية ومن هنا يجب ان ننتبه الى الخطأ الذى قد نقع فيه حين نلقى بالشك كثيرا على مصادر تاريخنا الاسلامى دون ان تكون لدينا الادلة الواضحة والمؤكدة التى تثبت هذا الشك ، ولقد كان سلفنا رحمهم الله أكثر ادراكا فى تسجيلهم لما وصل اليهم من معلومات أو حقائق ، سلبية كانت أم ايجابية ، وختموا عباراتهم باستمرار بكلمة « والله أعلم » ، لانه هو وحده الذى يلم بالحقيقة كما هى ، وتركوا للاجيال باستمرار الحكم على صحة الحدث من عدمه ، وبذلك تواصل

---

(٢١٩) عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١٠٧ ، وعبد الرحمن الحجى التاريخ ص ١٢٦ وما بعدها ٠

(٢٢٠) محمد محمد زيتون : تحليل لما يذكره المؤرخون عن موسى أبن نصير مقال سبق الاشارة اليها ص ٣٦٦ — ٣٦٨ — وانظر كذلك د ٠ عبد الرحمن الحجى فى كتابه المشار اليه الصفحات من ١٢٦ وما بعدها ٠

البحث التاريخى واستمر الى يومنا هذا . والخطورة كل الخطورة تتمثل فى عدم تسجيل التاريخ كما حدث ومحاولة تمييع الحقائق أو تفسيرها تفسيرا غير واقعى لمجرد الظن بأن ذلك قد يرضى ما فى نفوسنا من محبة لسلفنا ، لاننا فى هذه الحالة لن نكون أمناء على تاريخنا ، ولا يعنى هذا قولى بالاخذ بكل ما سطرته مصادر التاريخ دون مناقشة أو اعمال الفكر والذهن للوصول الى الحقيقة لان فى ذلك مخالفة لابسط قواعد منهج البحث التاريخى ، وانما يجب علينا أن نتعرض للحقيقة مهما كان ايلامها لمشاعرنا ، ومخالفتها لآمالنا وطموحاتنا ، وفى ذلك ايضا فائدة لا بأس بها ، اذا ما تعلمنا الخطأ من دروس التاريخ ، ثم عملنا على علاجه وتفاديه ، وفى هذا ربح عظيم ، ويا ليتنا نتعلم التاريخ ونستوعبه بما لنا فيه وما علينا .

ونعود الى مناقشة ما اوردته المصادر التاريخية عن ما حدث بين الخليفة سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير قائد فتح الاندلس . لنجد أن الروايات التاريخية تتباين الى درجة كبيرة فى سردها لما حدث بين الرجلين ، كما انها تناقض بعضها البعض فى أحيان اخرى ، وهذا كفيل بأن لا يجعلنا نقبل هذه الروايات على علاتها ، ومن ناحية اخرى فليس فى امكاننا ان نصل الى حد الانكار لهذه الروايات انكارا تاما لاجماع كل المصادر التاريخية على حدوث شىء ما بين الرجلين ومن هنا كان علينا ان نتلمس هذا الشىء ودوافعه بعيدا عن قصة الغنائم أو اتهام موسى بالغلول فيما أفاء الله عليه ، ومن الممكن ان نقول برأى بعض المؤرخين بأنه من المحتمل « ان يكون سليمان قد حاسب موسى على تصرفه فى بعض الغنائم خلال سيره من الاندلس الى دمشق — لا لاستحوازه على شىء منها — بل لانه اعطى منها فى الطريق لمن التقى به . وقد يكون قد وضع عليه غرامة مالية أو الغاها عنه . لان بطولة موسى وخدمته للاسلام وجهاده فيه — ان صح ما قيل — لا يبيح له التصرف فى أموال المسلمين (٢٢١) .

---

(٢٢١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ص ١٢٦ — ١٢٧ .

تبرير آخر لدوافع سليمان ضد موسى يتعلق بمسألة ولاية العهد لان الوليد بن عبد الملك أراد عزل اخيه سليمان عن ولاية العهد وتولية ابنه عبد العزيز ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم وخواص من الناس ، فأشار على الوليد بعض خاصته أن يستقدم سليمان ، ويريده على خلع نفسه وبيعة عبد العزيز فكتب اليه فاعتل ، فاراد الوليد ان يسير اليه ، فأمر الناس بالتأهب ، ولكن منيته حالت دون ذلك ، ومن هنا كان الجفاء الشديد بين سليمان والحجاج ومن على رأيه (١٢٢) ومع انه ليس لدينا أى نص يشير الى أن موسى بن نصير قد عبر عن رأيه فى هذه القضية، الا انه لا يستبعد ان تستغل هذه المسألة من قبل بعض حاسديه (٢٢٣) .

جانب آخر حاولت البحث فى ثناياه لتفسير هذه المسألة وهو موقف الخليفة سليمان من العربية القيسية أو اليمنية . ولقد جاء سليمان الى الخلافة ولديه قناعة تامة بأن أخاه الوليد قد تآمر ضده لابعاده عن ولاية العهد ، وكان بطل التأييد لهذه المسألة الحجاج بن يوسف الثقفى حاكم المشرق الاسلامى وابرز شخصيات الحزب القيسى فى ذلك الحين . ولذلك وقف موقفا مغايرا من زعماء القيسية ، الا اننا نجد موسى بن نصير يمنيا من قبيلة لخم ، أو على الاقل من مواليها (٢٢٤) مما يدل على عدم وجود علاقة لذلك بموقف سليمان من موسى .

من هذا نتبين وجود عدة عوامل قد يكون أحدها ، أو جميعا قد تضافرت لتغيير قلب الخليفة سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير ونضيف اليها

---

(٢٢٢) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الامم الاسلامية جـ ٢ ص ١٧٦ . وانظر المسعودى جـ ٣ ص ١٧٣ فى بعض الاشارات الى امنية سليمان وفاة أخيه الوليد . وحسن ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى فى موقف سليمان من ولاة الوليد جـ ١ ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .

(٢٢٣) انظر فى ذلك ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٤ ص ١٣٨ ، ومحمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية جـ ٢ ص ١١٧ وما بعدها .

(٢٢٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى ص ١٤٦ . ابن خلكان وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٣٨ . ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الانساب جـ ٣ ص ١٣٠ ، والزركلى الاعلام جـ ٧ ص ٣٣٠ ، وابراهيم بيضون : الدولة العربية ص ٨٥ .

سببا آخر يشير اليه المقرى حين يترجم لحياة موسى فيقول : وكان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه وتعالى به على ما بنى له من المجد المشيد ، والذكر الشهيد المخلد ، الذى لا يبليه الليل والنهـــار ولا يعفى جديده بلى الاعصار ، الا نه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه ، وهو الحقـد والحسد والمنافسة التى لا تخلو من ذلك (٢٢٥) ٠

من هنا نتبين سوء العلاقة بين سليمان وموسى ، على الاقل فى بداية حكم الخليفة سليمان ، ثم تدخل يزيد بن المهلب ، وهو صديق لكلا الرجلين ، فضمن موسى فيما وقع عليه من غرامة مالية ، وتضافر مع قبيلته فى سداد ما أغرمه به الخليفة (٢٢٦) ثم بدأت العلاقات فى التحسن وأصـــبح موسى ممن يجالس الخليفة سليمان باستمرار ، ويستشيره سليمان فى بعض الامور الهامة (٢٢٧) كما تحتفظ لنا المصادر بالكثير من المساجلات التى دارت بين الخليفة وموسى ، والتى سادها جو من الود والوفاق بين الرجلين (٢٢٨) وتبين سليمان انه قد اسرف فى أمر موسى وخاصة بعد مقتل عبد العزيز بن موسى ، فاهدر عنه بقية القضية التى كان سليمان قد قاضاه عليها ، وكان سليمان قد آل قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ، ثم لا يليان معه من

---

(٢٢٥) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٦ ٠ ومن هنا لا نعجب مما أورده ابن قتيبة فى السياسة والامامة بأنه لما استخلف سلميان بعد أخيه الوليد فكـان أخنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير ، وكان يحلف لئن ظفر بهمـا ليصلبهما ، وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره ٠ ج ٢ ص ٧٥ ٠

(٢٢٦) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٢٤ ٠

(٢٢٧) انظر ما أورده الحجى ص ١٢٧ من استشارة ســليمان لموسى ومسلمة بن عبد الملك فى أمر فتح مدينة القسطنطنية ٠ ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن عمر بن عبد العزيز قد توسط لدى سليمان بن عبد الملك حتى عفى عن موسى بن نصير ٠ انظر تاريخ المسلمين ص ١٠٧ ٠

(٢٢٨) تحفل المصادر التاريخية عن اخبار تلك المسامرات بين موسى وسليمان بن عبد الملك ومنهـا سؤال سليمان لموسى عن الشعوب التى قاتلهـا وعن الغنائم التى حازها وعن هلال رمضان وعن اولاده الذين استخلفهم بالمغرب والاندلس وغير ذلك ٠ انظـر ابن قتيبة : الامامة ج ٢ ص ٨١ ، وما بعدهـا وابن عذارى : البيـان المغـرب ج ٢ ص ١٩ ومـا بعـدها ٠ وابن سـماك العاملى : الزهرات المنثورة ص ٧٦ — ٧٧ ٠ وغير ذلك من الكتب التاريخية ٠

الناس شيئا ، فلما رضى عن موسى جعل يقول : ما ندمت على شىء ندامتى ان لو كنت خلوا من اليمين على موسى فى ان لا اوليه شيئا ، ما مثل موسى استغنى عنه (٢٢٩) ٠

ويواصل ابن قتيبة القول : ما زال موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده ، فلما كان سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج ، وأمر موسى بالشخوص معه ، فذكر له انه ضعيف ، فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازا ، وبحجرة من حجره وجائزة ، فحج سليمان وحج موسى معه ٠٠ ٠٠ ٠٠ قال فحدثنى بعض أهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من يشق فيهم : ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعنى الخليفة ، فلما كان اليوم الثانى ، لم اشعر وأنا فى مسجد الرسول — صلى الله عليه وسلم — حتى سمعت الناس يقولون : مات موسى بن نصير ، فاذا هو ، وصلى سليمان عليه ودفن ، رحمه الله (٢٣٠) ٠

وهكذا مضى واحد من كبار المجاهدين المسلمين بعد ان رفع راية الاسلام على أجزاء واسعة من الارض فى المغرب والاندلس ، ولقد كرمه الله بجعل خاتمة حياته فى اراضيه المقدسة ، نفس الارض التى تحوى رفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وفى هذا مكافاة أخرى من الله سبحانه وتعالى لمن احسنوا عملا والله عنده خير الثواب (٢٣١)

وماذا عن طارق بن زياد ؟

أما المصير الذى اطبقت عليه صفحات التاريخ ، ولم تنبس ببنت شفة عنه فهو مصير القائد الفذ طارق بن زياد ، ومن عجب ان تجمع كل المصادر

---

(٢٢٩) ابن قتيبة ، جـ ٢ ص ٨١ ٠

(٢٣٠) ابن قتيبة جـ ٢ ص ٨٤ — ٨٥ ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ ١ ص ١١٢ ٠ واختلفت فى تاريخ الوفاة فجعله ابن بشكوال عام ٩٧ ، والحميرى فى سنة سبع أو تسع وتسعين ص ٣٣٨ ٠ وجعله الضبى عام ٩٧ هـ ص ٤٥٨ ٠

(٢٣١) لا أجد خيرا من كلمات ابن العماد عن موسى حيث يقول : الامير الذى افتتح الاندلس وأكثر المغرب ، ولم يهزم له جيش قط ، وكان من رجال العلم حزما ورأيا وهمة ونبلا وشجاعة واقداما ٠ (شذرات الذهب جـ ١ ص ١٢٢)

التاريخية قديمها وحديثها على ذلك الصمت الرهيب ، وعجزت جميع الدراسات عن ان تلقى ضوءا ولو بسيطا عن نهاية هذا الرجل الذى يستحق كل تكريم وتبجيـــل ٠

ولم تخرج دراساتى وبحثى عن ذلك كثيرا ، ولم أجد له ذكرا الا فى اربع ملحوظات قليلة وذلك بعد عودته الى المشرق مع موسى وهى :

أولا : شكواه الى الخليفة الوليـد ، بأنه هو الذى حاز مائدة سليمان وأن موسى قـد ادعى ذلـك لنفسـه ، وكان ذلـك من الاسباب التى أخـذت على موسى كمـا سبق أن تبينا (٢٣٢) ٠

ثانيا : ورد اسـمه فى القضية التى قامت بين الخليفة سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير حيث طالب به وبماله موسى بن نصير ورفض سليمان ذلك (٢٣٣) ٠

ثالثا : ان الخليفة سليمان بن عبد الملك قـد رغب فى ان يعهـد اليـه بولاية الاندلس ، ويعيده اليها ، واستشـار فى ذلـك مغيث الرومى الـذى بالغ فى ثنائه على طارق مما كان له اثـر سلبى على قرار الخليفة فعـدل عن تولية طارق الاندلس ، ولا ندرى اذا كان ذلـك أثنـاء ولاية عبد العزيز بن موسى على الاندلس أم كان بعـد مقتله فى سنة ٩٧ هـ ؟ (٢٣٤) ٠

---

(٢٣٢) انظر فى ذلك المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٨٠ وغير ذلك من المصادر المشار اليها ٠

(٢٣٣) حين يتحدث ابن قتيبة عن هذه القضية فانه يورد اربعة مطالب لموسى بن نصير هى : الا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية لمدة سنتين ، وان كل ما جـاء به عبد الله وعبد العزيز فهو لى فيمـا قاضيت عليه أمير المؤمنين وان تدفـع الى طارقا مولاى ، وأكون املا به عينا وبماله ٠ فقال سليمان أما ما سالت من اقرار عبد الله وعبد العزيز فذلك لك ، وأمـا ما سالت من دفع طارق اليك فتكون املا عينـا به وبماله فليس هـذا جزاء أهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ، ولا مخل بينك وبين عقوبته ، ولا آخـذ ماله ٠ فقاضـاه موسى على مال ، فأحله فى تلك ، وخلى سبيله ٠ جـ ٢ ص ٧٧ ٠

(٢٣٤) انظر المقرى جـ ٣ ص ١٣ حيث يقول : « ان سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق فى شأن سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد =

ويشير الدكتور مؤنس الى رغبة مغيث فى ان يتولى هو الاندلس ، والى هذه الرغبة ارجــع موقف مغيث من كل من موسى وطارق « ولكنه على كل حال لم يفز من ذلك بشىء ، لانه عاد الى الاندلس فيما بعد ليعيش فى بلاطه وأملاكه ولكى ينجب الكثير من الابناء سيكونوا لهم شأن عظيم فى تاريخ الاندلس»(٢٣٥)

رابعا : هناك احتمال ان يكون طارق قـد عـاد الى الاندلس ، وأنه يمكن هـذه البلاد فى هدوء غطت عليه بعـد ذلـك احداث الفتن التى تعرضت لهـا هـذه المنطقــة خلال عصر الولاة ، ويشير المقـرى الى وجود ذريته وعقبه بالاندلس ، وأن هؤلاء كانوا ينكرون ولاء طارق انكارا شديدا (٢٣٦) وهكذا تنتهى قصة هذين البطلين بهـذا الصمت والغموض (٢٣٧) وان ظـــل اسمهـا خالدا فى سـجل المجد ، ما بقيت صفحات هـذا السجل يطالعهـا باعجاب وفخـر كل من الاعداء والاصدقاء .

استكمــال فتح الاندلس على عهـد عبد العزيز بن موسى .

عاد موسى الى المشرق بعــد ان ترك ابنه عبد العـــزيز واليا على الاندلس ، واختار له مدينة اشـــبيلية لتكون مقرا له ، ولا تتوفر لدينا معلومات كثيرة عن عبد العزيز بن موسى ، رغم دوره الكبير فى الفتـح الاسلامى للاندلس ، ورغم كثرة ورود اسـمه فى المدونـات التاريخيـة مثلـه فى

= ان يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغص عليه فاستشار سليمان مغيثا فى تولية طارق ، وقال له : كيف أمره بالاندلس ؟ فقال : لو أمر أهلها بالصلاة الى أى قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا انهم كفروا ، فعملت هذه المكيدة **فى نفس سليمان ، وبداله فى ولايته فلقيه بعد ذلك طارق ، فقال له : ليتك وصفت أهل الاندلس بعصبيائى ولم تضمر فى الطاعة ما أضمرت . فقال مغيث : ليتك تركت لى العلج فتركت لك الاندلس ..**

(٢٣٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١١٠ .

(٢٣٦) المقرى : النفح ج ١ ص ٢٥٤ . حين حديثه عن موسى بن نصير يقول : فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طـارق بن زياد ... وقيـل انه ليس بمولى لموسى ، وانمـا هو من صـدف ، وقيل مولى لهم . **وقد كان بعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا . وانظر كذلك عبد الرحمن الحجى فى التاريخ الاندلسى — ص ١٢٨ .**

(٢٣٧) العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى . دار النهضة ، بيروت ١٩٧٢ . ص ٢٨٥ .

ذلك مثل فاتح الاندلس الاول طارق بن زياد . فلا نعرف مثلا عام مولده ولا نشأته ، ولا حتى دوره فى فتوح المغرب ، أو قيادة السرايا التى كان يرسلها والده الى مناطق السوس ، اللهم الا اشتراكه فى القتال عند فتح قلعة « سجوما » وأن مروان حين تقدم لمبارزة أحد ملوك هذه القلعة قد ترك اللواء فى يد عبد العزيز (٢٣٨) فى الوقت الذى كان فيه مروان وعبد الله ابنى موسى يقومان بدور بطولى هام فى استكمال فتح المغرب وغزو البربر . فان اسم عبد العزيز بن موسى لا يبدأ فى الظهور بصورة واضحة الا منذ انتقاله الى الاندلس مع والده ، حيث رحل الى جوار والده مع كل من أخويه عبد الاعلى ومروان ، ومعهم وجوه قريش ، وأشراف العرب والبربر (٢٣٩) .

وفى الاندلس نجد أن عبد العزيز يحتل مكان الصدارة فى أكثر من عمل حربى فهو الذى يعهد اليه الوالد باخماد ثورة أهل اشبيلية حين خرجوا عن طاعة المسلمين ، ثم بعد ذلك يقوم بفتح لبلة وباجة (٢٤٠) كما يرد اسمه فى كتاب الصلح الخاص بمنطقة تدمير كما سبق أن طالعنا فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب ، ثم يدفع به والده الى قمة مجده حين يعهد اليه بأمور الاندلس ليصبح بذلك أحد قادة الفتح الاسلامى لبلاد الاندلس بعد طارق وموسى ، وعلى يديه تختتم مرحلة الفتح (٢٤١) ، أو ليصبح أول ولاة الاندلس ومنظميها بعد الفتح (٢٤٢) .

---

(٢٣٨) انظر القصة عند ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٥ .

(٢٣٩) مجهول : ذكر بلاد الاندلس ج ١ ص ٩٩ . وانظر كذلك مقالة د . حسين مؤنس فيما نقله عز ابن الرقيق القيروانى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية العدد المشار اليه ص ١٢٩ .

(٢٤٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٧ ، وفجر الاندلس ص ٩٥ - ٩٦ . وغيرهما .

(٢٤١) حسين مؤنس : محاضرات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٤٠ ، وانظر ايضا **Watt, M. : Historia de la Espana Islamica. p. 22.**

(٢٤٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ص ١٧ .

بدأ عبد العزيز نشـاطه فى الاندلس اعتبارا من ذى الحجـة عـام ٩٥ هـ بعـد ان غادره والده وأخواه وتركوا لديه مهمتين أساسيتين كـان عليـه أن يواجههمـا : الاولى استكمـال فتح الاندلس ٠ والثانيـة هى استكمال تنظيمـه اداريـا ، ويحدد الحميـدى مهمـة عبد العـزيز فى العبارات التالية : « واستخلف على الاندلس — أى موسى — عبد العزيـز بن موسى ، وترك معه من العساكر ووجـوه القبائل من يقـوم بحماية البلاد ، وسـد الثغور وجهاد العـدو » (٢٤٤) ٠

لقـد كان عبد العزيز قائـدا ممتـازا « وكـان مثـل ابيـه وجـده خيرا فاضـلا » (٢٤٥) ولذلـك فان فترة حكمـه لبلاد الاندلس رغم قصرهـا تعـد من الفترات الهامـة والاساسية فى استقرار المسلمين ونجاحهم فى شبه الجزيرة الايبريـة ٠

نهض عبد العزيز لاداء رسالته فى استكمـال فتح الاندلس ، وان كانت المدونـات التاريخيـة لا تحدد لنـا بدقـة الاعمـال التى قـام بهـا بعـد عـودة والده ، وتخلط بين نشـاطه وهو فى الولايـة ، ونشـاطه أثنـاء وجود الوالد على ارض الاندلس ٠ فيجمـل صـاحب أخبار مجموعـة عمـل عبد العزيز بقوله : « وقـد افتتح فى ولايته مدائن كثيرة (٢٤٦) ٠ ولا يزيـد قول المقرى عن أنه » ضبط سلطانهـا — أى الاندلس — وضم نشرهـا ، وسـد ثغورهـا ، وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة ممـا كـان قـد بقى على ابيه موسى منهـا »(٢٤٧) ٠

ومن المؤكـد أنه استكمـل فتح غـرب الاندلس ، كمـا أنه من المحتمـل أن يكون قـد عاد الى شرق الاندلس ، ومن هنـاك صعـد بقواته الى الشمال الشرقى حيث أخضع اقليم قطالونيـا خضوعا كامـلا ، ويرى المـؤرخ

---

(٢٤٤) الحميـدى : جذوة المقتبس ، ص ٤ — ٥ ٠

(٢٤٥) اسماعيل بن ابراهيم : ابن أمير المؤمنين ٠
كراس فى التاريخ الاندلسى ٠ مخطوطـة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ٢٥٣٦ ، الورقة ٢٠ ظهر ٠

(٢٤٦) أخبار مجموعـة ، ص ٢١ ٠

(٢٤٧) المقـرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٢٨١ ٠

الاسبانى سواريث أنه قام بحملات جديدة ، وان كانت المعلومات التى لدينــا لا تسـمح لنــا ان نحــدد بدقــة خط هــذه الحمــلات أو تاريخهـــا ، ومن المحتمــل جدا أنه خــلال عامى حكمــه قــد خضعت قطالونيــا Cataluna كمــا توغل المسلمون فى اشتورياس Asturias حيث ترك هنـــاك قائدا يعــرف باســم « مونوسا » الذى اتخــذ مقــر اقامتــه فى مدينـــة خيخون Gijon » (٢٤٨) .

ويلخص الدكتور السيد عبد العزيز ســالم نشــاط عبد العزيز الحربى بأنه ما كــاد يتولى امارة الاندلس فى ذى القعدة سنة ٩٥ هـ ، حتى قــام بحملة لاستكمــال فتح بلاد غــرب الاندلس وأنه قــام فى سنة ٧١٤ م بافتتاح يابــرة Evora وشنترين Santarem وقلمريــة Ciombra وظل متجهــا الى أقصى المغــرب لكى يلتقى مــع الفرق الاسلاميــة الاخرى فى أسترقة Astorga ، ويعتمــد على فرنسيسكو كوديرة فى قوله : «أنه طالع مخطوطــا عربيــا جــاء فيــه أن عبد العزيز خــرج مــع الناس فى حملة حتى بلغ أربونة « وهى أول مــرة يرد فيهــا خبر صريح عن وصـــول المسلمين الى هــذه الجهــات ، ويورد مــا يؤكــد أن عبد العزيز قـــد أستأنف القتــال مع البشكنس Los Vascos مستندا على آراء ســافدرا وكذلك على نص ورد فى كتاب تاريخ علمــاء الاندلس لابن الفرضى بأنه وجــدت شهادة على بن رباح ، وحنش الصنعانى فى عهــد بنبلونة ، ولمـــا كانت هــذه المدينــة قــد سقطت فى أيــدى المسلمين قبل عــام ٧١٨ م ، وهــو عــام وفاة حنش فيحتمــل أن يكون فتحهــا قــد تم فى عهــد عبد العزيز لان موسى كان قــد أوغل فى بلاد البشكنس » حتى أتى قومــا كالبهـــائم « وذلــك لانهم كمــا يقــول الحميرى « يتكلمون بالبشقيــة لا يفهمـــون » ويقصــد بذلــك أهل بنبلونة (٢٤٩) .

ويبدو أن فتوحــات عبد العزيز فى الاندلس كانت من الاهميــة بحيث يرى أنهــا جديرة بأن يكتب بأخبارهــا الى والده وهــو فى الطريق الى

---

(٢٤٨) Suarez, Fernandez, : Op. cit, p. 12.
وانظر أيضــا مونتوغمرى وات
Watt, M. Op. cit., p. 22.

(٢٤٩) عبد العزيز ســالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١٠٩ — ١١٢ ، والمصــادر التى اعتمــد عليهــا .

دمشق حيث تشير المصادر الى أن موسى وهو فى طريقه الى المشرق قد نزل بالقرب من القيروان فى مكان يعرف « بقصر الماء » ثم قعد مجلسه وجاءته جيوش العرب من القيروان ، فمنهم من سار معه ، ومنهم من تخلف مع ابنه عبد الله بأفريقية • فقال لاصحابه : أصبحت اليوم فى ثلاث نعم : منها كتاب أمير المؤمنين بالشكر والثناء ••• ••• ثم كتاب ابنى عبد العزيز يصف ما فتح الله عليه فى الاندلس بحمد الله ، فقاموا اليه فهنوه وأما الثالثة •• •• » (٢٥٠) •

ومن ذلك نتبين ان عبد العزيز قد أنفق معظم أيام ولايته فى استكمال فتح شبه الجزيرة الاندلسية « لان الفاتحين الكبيرين قضيا على دولة القوط ، ووصلا الى الحدود من كل ناحية ، غير أنه بقيت بعد ذلك أجزاء كاملة من شبه الجزيرة فى شرقها وغربها دون فتح ، وكان لابد من استكمال فتحها ، وقد قام بهذه المهمة عبد العزيز بن موسى ، لذلك فنحن نعتبره ثالث فاتحى الاالاندلس ، وتعتبر فترة الولاة تبدأ بانتهاء ولايته سنة ٩٧هـ/٧١٦ م (٢٥١) •

أما الجانب الآخر الذى لعب فيه عبد العزيز دورا خالدا على التاريخ فانه يكمن فى كفاءته الادارية ، وحسن سياسته النابعة من روح الاسلام والتى تمكن بفضلها من أن يجنب المسلمين كثيرا من مقاومة الاسبان العسكرية ، التى كان يمكن أن تظهر نتيجة احساسهم بظلم الفاتح الجديد ، لقد عمل عبد العزيز منذ البداية على التقرب من الشعب الاسبانى ، وجعله يشعر بمدى التغير الهائل فى معاملة الحكام ، اذا ما قارن المسلمين بسابقيهم من القوط • بدأ عبد العزيز نشاطه هذا بزواجه من « ايخيلونا **Egilona** » أرملة الملك القوطى السابق لذريق ، وقلده فى ذلك كبار رجال الجند ، وكذلك الجند المسلمون وكانت أرملة

---

(٢٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٤٤ ، وانظر ايضا نفس الرواية فى النص الذى نقله د • مؤنس عن الرقيق القيروانى بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ص ١١١ — ١١٢ •

(٢٥١) حسين مؤنس : محاضرات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤٠ •

الملك القوطى ، وكنيتهـا أم عاصـم قـد صالحت على نفسـهـا وأموالهـا وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينهـا فى ظل نعمتهـا الى أن نكحهـا الامير عبد العزيز فحظيت عنـده (٢٥٢) وسكن بزوجته فى مسـكن له اتخـذه فى جانب من جوانب كنيسـة أسـماها ابن القوطيـة « ربينة (٢٥٣) وابن‌عذارى » رفينة (٢٥٤) كمـا اتخـذ مسجدا لـه عـرف فى المصـادر باسـم مسجد ربينة (٢٥٥) .

وكان لذلـك اثره فى التقريب بين الشعبين المسلم والاسبانى وخلـو علاقاتهمـا من الكراهية ، ويعترف بذلـك كثير من المؤرخين الاسبان ، فيشير بعضهم الى « تسـامح المسلمين وأعطائهم الحريـة للاسبان فى شعائرهم وعـدم اجبارهم على اعتناق الاسلام ، كمـا ان المسلمين عاملوا المهزومـين معاملة انسانيـة ، وتركوا لهم الحريـة الكاملة فى شئون أرضـهم وعلاقاتهم (٢٥٦) .

---

(٢٥٢) المقـرى : النفح جـ ١ ص ٢٨١ ، وانظـر ايضـا ابن الاثير : الكامـل جـ ٥ ص ٢٢ ، وابن القوطية : افتتـاح الاندلس ص ٣٧ . ، ويسمى ابن عذارى امرأة ملك القوط باسـم « أيلة » انظـر البيـان المغرب جـ ٢ ص ٢٣ . ، كمـا أن ابن عذارى ينقـل عن الواقدى أن هـذه المرأة لـم تكن زوجة لذريق وانمـا هى ابنته ، وأنهـا جائته من الدنيـا بمـا لا يوصف انظر ص ٢٤ .

(٢٥٣) حين يتحدث ابن القوطية عن مصرع عبد العزيـز بن موسى يقول : « فى كنيسـة ربينة ، واذ نكح امرأة من القوط تسمى : أم عاصم كان يسكن معهـا فى هـذه الكنيسـة ، وكان قـد ابتنى بهـا المسـجد الذى قتل فيـه وكان دمـه هناك الى عهـد قريب » . افتتاح الاندلس ص ٣٧.

(٢٥٤) ينقـل ابن عذارى عن الرازى قولـه : لمـا قفـل موسى بن نصير استخلف ابنـه عبد العزيز على الاندلس ، فضبط سلطانهـا ، وسـدد ثغورهـا وافتتح مدائن كثيرة ، وكان خير الولاة ، الا ان مدته لـم تطل لوثوب الجند عليـه وقتلهم لـه ، لاشـياء نقموهـا عليـه ، وكان قتلـه صدر رجب من عام ٩٧ هـ بمدينة اشبيلية ، بمسجد رفينة . « البيـان المغـرب جـ ٢ ص ٢٤ . وانظـر كذلـك تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١١٢ — ١١٣ .

(٢٥٥) انظر ابن القوطيـة ص ٣٧ ، وتاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ١١٣ .

(٢٥٦) Suarez, Fernandez, L. Op. cit., p. 13.

ومع ما يتميز به المؤرخ الاسبانى **Villa-Real** من روح التعصب الشديد ، والانحياز الكامل الى جانب الاسبان الا انه حين يتحدث عن فترة عبد العزيز بن موسى فانه يجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بأن الوالى الذى اتخذ من أشبيلية بلاطا له قد « كرس جهده من أجل أن تعود الحياة فى الاندلس الى مجراها الطبيعى — بعد اضطرابات الفتح — وأنه نجح فى ذلك الى حد بعيد ، فقد أعاد تنظيم الادارة فى البلاد بطريقة رائعة ، وعين جباة لجمع الضرائب ، كما أحاط نفسه بجماعة من كبار القوم تساعده فى عمله ، وترك مهمة العدالة والقضاء الى أهل العدل والقضاة .

وتزوج عبد العزيز من الحسناء القوطية **Egilona** أرملة الملك القوطى لذريق وكناها بأم عاصم ، وكان لهذا الزواج أثره الطيب فى المعاملة الحسنة التى لقيها المسيحيون من المسلمين فى الاندلس . فقد تمتع المسيحيون بدرجة كبيرة من التسامح الدينى ، وعوملوا معاملة أهل الذمة ، وأحتفظوا بكنائسهم ورجال دينهم (٢٥٧) .

أما مونتجومرى وات فانه يرى أن عملية التشتت والتفكك التى أصابت البلاد بسبب الفتح ، قد عادت الى التماسك والترابط تحت الحكم الاسلامى وأنه قد تم وضع شبكة ادارية كاملة مع كل ما يسندها من القوة العسكرية وغطت هذه كل شبه الجزيرة الايبيرية تقريبا ، مع درجة عالية من التحكم الكفء مارسته السلطة الاسلامية المركزية فى دمشق ، حتى أنه يمكننا القول بكل تأكيد ، بأن سلطة خلفاء المسلمين على الاندلس قد أصبحت أقوى كثيرا من السلطة التى كان يمارسها الملوك القوط فى فترة حكمهم الأخيرة (٢٥٨) .

نهاية عبد العزيز :

تعرض عبد العزيز بن موسى لنهاية مأساوية على يد جماعة من كبار رجال جنده منهم حبيب بن أبى عبده الفهرى ، وزياد بن النابغة التميمى حيث تربصوا به حين خروجه لاداء صلاة الفجر وقتلوه ، وحملوا رأسه

---

(٢٥٧) Villa -Real. : Op. cit., p. 166.

(٢٥٨) Watt, M. Op. cit, p. 22.

الى دمشق (٢٥٩) وتتباين الآراء تباينــا شديدا حــول الاسباب التى دفعت بهــذه الجماعــة الى ارتكــاب هــذه الجريمــة ، وقتــل الامير عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ونشير الى أهم الآراء فى هــذا المجال ٠

أولا : الشك الذى تمكن من قلوب قادة الجنــد بأن عبــد العزيــز قــد تنصر ، أو على الاقل قــد أصبح طيعــا سهلا فى يــد زوجته الحســناء وتروى المصادر التاريخيــة فى ذلــك قصصــا هى أقــرب الى الخيــال منهــا الى الحقيقــة ، وكيف أن هــذه المرأة قــد حملته عــلى أن يجعــل الناس يسجدون لــه حين يدخلون عليــه ، وألبسته التــاج على رأســه تشبها بملوك القوط (٢٦٠) ٠

---

(٢٥٩) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والاندلس ٠ ص ٨٤ — ٨٥ ٠ ، ابن القوطية : افتتــاح الاندلس ص ٣٦ ٠ ، وأخبار مجموعــة ص ٢٠ ٠ ، الحميدى : الجذوة ص ٤ — ٥ ٠ ، الضبى : بغية الملتمس ص ٣٨٦ ٠ ، ابن الاثير : الكامــل ج ٤ ص ١٢٤ ٠ ، المراكشى : المعجب ٠ ص ٢٣ ٠ ، المقــرى : نفــح الطيب ج ١ ص ٢٨٠ وما بعدهــا ٠

(٢٦٠) ينقل ابن عذارى عن الواقدى : « أن التى نكح بعــد خروج أبيه هى ابنــة لذريق فجاءته من الدنيــا بمــا لا يوصف ، فلمــا دخلت عليــه قالت لــه : ما لى لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ، ولا يسجدون لــك ، كمــا كان أهل مملكة أبى يفعلون لــه ، فــأمــر بباب فنقب فى ناحيــة قصره وجعله قصيرا ، فكان يأذن للنــاس عنه ، فيدخل الداخل منكســــــا رأســه قبالته لقصر البــاب ، وقــد جعــل لهــا مجلســا ، تنظــر منــه الى الناس اذا دخلوا عليــه من حيث لا يرونهــا ، فلمــا رأتهم على ذلــك ، ظنت أنهم يسجدون لــه ٠ فقالت لعبــد العزيز : الآن قــوى ملكك « فبلغ الناس ما أراد بذلــك البــاب فثار عليه حبيب بن أبى عبده الفهرى ٠٠٠ » ج ٢ ص ٢٤ ٠ ، وانظــر رواية ابن الاثير حــول قضيتى السجود ، ولبس التــاج فى كتابه الكامــل ج ٥ ص ٢٢ ٠

أما بالنسبة لوضع التاج على الرأس فيقول ابن عذارى أيضــا وتزوج بعــد خروج أبيــه أم عاصم آمرأة رذريق (واسمهــا أيلة) وســكن معها باشبيلية ، فلمــا دخل بهــا قالت لــه : « ان الملــوك اذا لم يتوجــوا ، فلا ملك لهم ، فلو عملت لك ممــا بقى عنــدى من الجوهر والذهب تاجــا ؟ « فقــال لهــا ليس ذلــك فى ديننــا » فقالت لــه : « ومن اين يعــرف أهل دينك ما أنت فيــه فى خلوتك ؟ « فلم تزل به حتى فعــل فبينمــا هو ذات =

ثانيـا : أن الخليفـة سليمـان بن عبد الملك هـو الذى أوعز الى الجند بالتخلص من عبد العزيز خشية تمرده ، أو أن يعمـد الى الاستقلال بالاندلس نتيجـة لما حـدث لوالده موسى بن نصير ولذلـك نرى أن ابن القوطيـة يربط بين الحدثين ربطا مباشرا حيث يقول : « فلمـا صار الامـر الى سليمـان حبس موسى بن نصير وأغرمه ، وعهـد الى خمسـة نفر من وجوه العـرب بالاندلس بقتل ابنـه عبد العزيـز منهم حبيب بن أبى عبده الفهرى ، وزيـاد بن النابغـة التميمى مقصدوا اليه ... (٢٦١) .

= يوم جالس معهـا ، والتاج على رأسه ، اذ دخلت عليـه أمرأة كـان قـد تزوجهـا زيـاد بن النابغـة التميمى ، من بنـات ملوكهم فعاينته والتاج على رأسـه . فقالت لزيـاد « ألا أعمـل لك تاجـا ؟ » فقـال لهـا : ليس فى ديننـا استحلال لباسه ، فقالت لـه ودين المسـيح ، انه على رأس ملككم وأمامكم » . فاعلم بذلـك زيـاد حبيب بن أبى عبـده ، ثـم تحدثا بذلـك حتى علمـه خيـار الجنـد ، فلم يكن لهم هم الا كشـف ذلك حتى رأوه عيانـا . فقالوا تنصر « ثـم هجموا عليه ، فقتلوه . ج ٢ ص ٢٣ — ٢٤ . ويضيف ابن عذارى قائـلا : واكثـر النـاس عـلى أن هـذه الحكاية لا تصح « ونضيف أن أكبر دليـل على وضعهـا صعوبة التفـاهم اللغوى فى ذلـك الوقت بين النسـاء العجم وبين رجـال الجيش الاسلامى فى تلك الفترة الباكرة جـدا من التاريخ الاندلس ، ثـم تلـك المصـادفـة التى تجعل من زوجـة زيـاد ، وهى من بنـات الملوك هى التى تدخل على عبد العزيز ومعه امرأته ، وكيف سمح عبد العزيز كمسلم لامرأة أجنبية بالدخـول عليـه وهو فى خلوته مع امرأته ؟ .

(٢٦١) ابن القوطية : افتتـاح الاندلس . ص ٣٦ . وذكـر ابن عذارى نقـلا عن الرازى « أن سليمـان بعث الى الجنـد يأمرهم بقتلـه عنـد سخطـه على ابيـه ، وأنهم لمـا قتلوه حزوا رأسـه ، وقـدم به على سليمان حبيب بن أبى عبده الفهرى ، فقيـل أنه عرض الرأس على والده وهـو فى محنته ، فتجلد لحـر المصيبة ، وقـال هنيئا لـه الشـهادة ، فقتلتـم والله صواما قواما ! » . ج ٢ ص ٢٤ . وانظـر ايضـا روايـة الضبى فى بغية الملتمس ص ٣٨٦ ، وابن الفرضى : تاريخ علمـاء الاندلس ص ٢٧٦ . ورواية ابن الاثير : الكـامل ج ٥ ص ٢٢ . أمـا ابن قتيبـة فيمـا ينسـب اليه من كتـاب الامامة والسياسة فانه أكثـر الروايـات تفصيلا فى هـذا =

لكن الحقيقة التاريخية التى تعرض لها عدد من الباحثين تثبت أن اتهام سليمان بن عبد الملك بانتورط فى تدبير مقتل عبد العزيز ، انما هو اتهام مبالغ فيه ، بل ان هناك من النصوص التاريخية التى تثبت عدم علم الخليفة بما حدث بل ورفضه لهذا الاثم ، وعمله على محاسبة الضالعين فيه ، ولدينا فى هذا المجال نصان صريحان نتبين من دراستهما بعد سليمان عن هذه القضية . الاول من هذين النصين أنه حين الخلاف بين موسى بن نصير وسليمان بن عبد الملك ، ومطالبة الخليفة سليمان لموسى بمبالغ كبيرة من المال ، اشترط ابن نصير للوفاء بذلك أربعة شروط كان منها : لا تعزل عبد الله بن موسى عن أفريقية، وجميع عمله سنتين ، (٢٦٢) وأن كل ما جباه عبد الله بأفريقية ، وعبد العزيز بالاندلس فهو لى فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين ... ... فقال له سليمان : أما ما سألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك ، ثم يكتب نص القضية ، والاتفاق بينهما ، ويشهد على ذلك كل من ولدى الخليفة سليمان ، أيوب وداود ، وكذلك عمر بن عبد

= المجال ، وأن كان فى روايته شيء من الاهمية ففى اشارته الى أن الجند الذين قتلوا عبد العزيز لم يكونوا من جند الاندلس ، وانما كانت اقامتهم بالقيروان مع عبد الله بن موسى ، وكتب اليهم سليمان بما بلغه من نية عبد العزيز خلع طاعة الخلافة والاستقلال بالاندلس وطلب اليهم التوجه الى هناك للتخلص من عبد العزيز فى نفس الوقت الذى كتب فيه الى عبد الله بن موسى بضرورة ايفاد هؤلاء النفر الى الاندلس لمساعدة عبد العزيز فى الجهاد ضد العدو ، وكتب الى عبد العزيز يأمره بحسن استقبال هؤلاء وأن يعتمد عليهم فى الجهاد . وحين وصل هؤلاء الى الاندلس أحسن عبد العزيز لقاءهم وأوسع لهم فى مجلسه . وأشرك هؤلاء فى مؤامرتهم أيوب بن حبيب ابن أخت موسى ، فقبل وبايعوه على ذلك ، ثم كمنوا له فى صلاة الفجر وضربوه ، وأصبح الناس فاعظموا ذلك ، فأخرجوا كتاب سليمان بذلك ، فلم يقبله الناس » . انظر ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢٦٢) ويعنى هذا ايضا بقاء عبد العزيز لنفس المدة ، لان الاندلس كانت حتى ذلك الوقت جزء من ولاية أفريقية التى كان يتولاها عبد الله بن موسى ، واللافت للنظر هنا أن مقتل عبد العزيز كان بعد أكثر من سنتين .

العزيز رضى الله عنه ، وغيرهم من كبار المسلمين (٢٦٣) ٠

أما النص الثانى فهو أنه « لما بلغ سليمان مقتل عبد العزيز بن موسى شق ذلك عليه ، فولى أفريقية عبيد الله بن زيد لقريش — لا أدرى لمن من قريش — والى أفريقية كان أمر الاندلس وطنجة وكل ما وراء أفريقية وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبى عبده ، وزياد بن النابغة من قتل عبد العزيز بأن يتشدد فى ذلك ، وأن يقفلهما اليه ومن شركهما فى قتله من وجوه الناس » (٢٦٤) ٠

ويبقى الاحتمال الذى يمكن أن نطمئن اليه ، وهو أن مقتل عبد العزيز كان نتيجة لمؤامرة تم تدبيرها وتنفيذها فى الاندلس ، بعيدا عن الخليفة سليمان ، ربما لسوء علاقة نشبت بين عبد العزيز وكبار رجاله (٢٦٥) ، وربما لما فى طبيعة النفس البشرية من نقص أحيانا أو رغبة فى انتهاز فرصة أحيانا أخرى ٠ اذ ليس من المستبعد أن يكون بعضهم قد نفس عليه مكانته ، أو أن تكون أخبار ما وقع بين ابيه وبين الخليفة فى دمشق قد وصلت الى الاندلس محرفة ومبالغ فى تصويرها ، فحركت عوامل الطمع فى الملك ، وارضاء الخليفة ، بعض هؤلاء الجند ، وتصوروا أنهم بتصرفهم هذا انما يتقربون الى الخليفة ، ومن ثم ارتكبوا جريمتهم ، أو أن هذه الامور قد تفاعلت

---

(٢٦٣) انظر الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٦ — ٧٧ ٠

(٢٦٤) أخبار مجموعة ص ٢٢ ، ويرى د ٠ عبد العزيز سالم أن « أما ما قيل من أن سليمان هو الذى دبر قتله ، وهو الذى دس عليه من قتله ، وقدم برأسه عليه فأمر بعيد الاحتمال ، فلو كان سليمان هو المدبر لهذه الجريمة ، لكان قد بادر بتنصيب وال مكانه ، ولما مكث أهل الاندلس شهورا لا يجمعهم وال ، حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمى ، ولما شق على الخليفة نبأ مقتله ، فأمر والى أفريقية عبد الله ابن يزيد بالتحقيق فى مقتله ، والقبض على قتلته وهم حبيب بن أبى عبده، وزياد بن النابغة ومن شاركهما فى قتله ، ولما أسف على قتله بعد أن ثبت له براءته مما أتهم به » ٠ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ١١٥ ٠

(٢٦٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١١٣ ٠

فى نفوسهم ، بالاضافة الى ما قد يدور بخلدهم من شك فى بعض تصرفات الامير عبد العزيز غير الملائمة لهواهم ، فدبروا مقتله حيث يذكر الضبى : بأن الجند اجتمعوا على قتله لامور نقموها عليه وبلغتهم عنه ، فثاروا به ، وقتلوه ، وخرجوا برأسه الى سليمان (٢٦٦) • وفى هذه الحالة كان من الضرورى ايجاد مبرر معقول لتصرفهم ، ولذلك ليس من المستبعد المبالغة فى تصوير علاقة الامير المسلم بزوجته المسيحية الحسناء ، وخضوعه لها ، وابتكار قصة الباب المنخفض ، ولبس التاج ، والوصول بتلك المبالغة الى درجة اتهامه « بالتنصر » ومن ثم وجوب القتل عليه (٢٦٧) •

ومن ناحية أخرى يمكن أن نضيف الى هذه العوامل ، التحليل المقنع الذى أرتآه الدكتور عبد العزيز سالم « من أنه ولا بد أن عبد العزيز ابن موسى قد أظهر أمام أحد قواده شيئا من الامتعاض على تصرف الخليفة سليمان نحو أبيه ، أو أنه اضطر رغما عنه الى التنفيس عن نفسه بكلام خفيف أساء الى الخليفة ، فتناقل الناس هذا الكلام محرفا مشوها ، فوصل الى روساء الجند ••• ••• فأجمعوا على قتله غيرة على الخلافة الاموية ثم أبلغوا الخليفة بمقتله بسبب خروجه عليه (٢٦٨) •

---

(٢٦٦) الضبى : بغية الملتمس ص ٣٨٦ (ترجمة رقم ١٠٩٨) • وكذلك يقول المقرى فى بعض رواياته « الآ ان مدته لم تطل لوثوب الجند عليه لاشياء نقموها عليه » • النفح ج ١ ص ٢٨١ •

(٢٦٧) انظر رواية أخبار مجموعة ص ٢٠ ، فبعد أن يروى قصة التاج ومعرفة زياد بن حبيب بذلك « فلم تكن له همة الا كشف ذلك حتى رآه عيانا ورآه أهله صدقا ، فقالوا « تنصر » ، ثم هجموا عليه فقتلوه » •

(٢٦٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١١٤ • الذى لا يستبعد أيضا أن يكون القتل بدافع من الغيرة والحسد لما صار عليه أولاد موسى من تفوق وارتفاع مكانة ، فقتلوه ، وأختلقوا هذه الروايات كذبا • انظر نفس الصفحة الحاشية رقم (٣) • وأعيد القارىء الكريم =

طويت بذلــك صفحــة من صفحــات المجــد والعظمــة التى سجلها أبطال فتح الاندلس الثلاثة طارق بن زيــاد وموسى بن نصير ، وعبــد العزيــز بن موسى • بعــد أن أدى كل منهم دوره كامــلا ، ووفى برسالته ، وضرب مثلا عاليــا فى تثبيت جذور الاسلام فى أركان الاندلس ، ووضــع الاســاس المتين لحضــارة اسلامية شامخة ، شاء الله سبحانه وتعالى أن ترتفع الى ذروة عاليــة على هــذه الارض البعيــدة من ديــار الاسلام • رحم الله أبطــال الفتح الاسلامى للاندلس ، وبارك فى المجاهدين المغاويــر الذين حملوا رايــة الاســلام الى هــذه الاصقاع البعيدة •

أتوقف عند ذلك الحد ، مع علمى بوجود قضايا أخرى تستحق المناقشة والاشارة آملا استكمال النقص فى مناسبة أخرى ان شاء الله تعالى •

د • محمد عبد الحميد عيسى صقر

= الى تلك العبارات الى نقلها المقرى عن الحجارى حين أشادته بخــلال وسجايا موسى بن نصير « الا أنه كــان يغلب عليــه ما لا يكــاد رئيس يســلم منه ، وهو الحقــد والحســد والمنافســة التى لا تخلو من ذلــك » النفح ج ١ ص ٢٨٦ • وهــذا بالضبط هو ما أصاب عبد العزيز •

مراجع الكتـــاب

المراجع العـــربية :

● **ابراهيم بيضون «الدكتور»**
: الدولة العربية فى أسبانيا ، من الفتح حتى سقوط الخـــلافة ٩٢ ـ ٤٢٢ هـ / ٧١١ ـ ١٠٣١ م ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨٠ م .

● **ابراهيم العـــدوى « الدكتـــور »**
: موسى بن نصير ، مؤسس المغرب العربى ، العـــدد ٦٨ ، من سلسلة أعـــلام العرب ، القـــاهرة .

● **ابراهيم ياسر خضر الدورى**
: عبد الراحمن الداخل فى الاندلس وسياسته الخـــارجية والداخلية ، مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام بالعراق ، بغداد ، ١٩٨٢ م

● **ابن الاثـــير**
: عز الدين ، ابو الحســن على بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير الجـــزرى المتوفى ٦٣٠ هـ /١٢٣٢ م .
: الكامل فى التاريخ ، طبعة دار الفكر العربي بيروت ، ١٩٨٣ م .

● **ابن الاثـــير**
: اللباب فى تهذيب الانســـاب ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

● **ابن حـــوقل**
: أبو القاســـم محمد بن على بن حـــوقل النصيبى ، ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م .
كتاب صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

● ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى الغرناطى ، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م
الاحاطة فى اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ٠

● ابن الخطيب : اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ ٠

● ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى المتوفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ٠
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، طبعة القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م

● ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، المتوفى ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ٠
وفيات الاعيان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ٠

● ابن الرقيق : ابراهيم الرقيق القيروانى ، توفى بعد ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ٠
تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس ، ١٩٦٨ م ٠

● ابن سعيد : على بن سعيد الاندلسى المتوفى ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ٠
رايات المبرزين ،تحقيق نعمان القاضى نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠

● ابن سماك العاملى : أبو القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك المالقى ، النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى — الرابع عشر الميلادى ٠
الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة دراسة وتحقيق الدكتور محمود على مكى ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ٠

● ابن الشباط : محمد بن على بن محمد التوزرى المصرى ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ٠
صلة السمط وسمة المرط ، القطعة المنشورة ضمن كتاب تاريخ الاندلس لابن الكردبوس، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى ، مطبوعات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٧١ م ٠

● ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، ١٨٧ — ٢٥٧ هـ / ٨٠٣ — ٨٧١ م ٠
فتوح أفريقية والاندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، مطبوعات دار الكتاب اللبنانى بيروت ، ١٩٦٤ م ٠

● ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشى ، المتوفى ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م ٠
كتاب البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب تحقيق كولان ، وليفى بروفنسال، دار الثقافة بيروت ، بدون تاريخ ٠

● ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م ٠
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، طبعة دار السيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ٠

● **ابن الفـــــرضى** : أبو الوليد عبـد الله بن محمد يوســـف الازدى ، المتوفى ٤٠٣ هـ ٠
تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ٠

● **ابن قتيبـــــــة** : أبو محمد عبد الله بن مســـلم بن قتيبة الدينورى ٠
الامامة والسياســة ، تحقيق طه محمد الزينى مجلدان ، مؤسسة الحلبى ، القـــاهرة ، ١٩٦٧ م ٠

● **ابن الكـــردبوس** : أبو مروان عبد الملك ، المتوفى ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م ٠
تاريخ الاندلس ، تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٧١ م ٠

● **ابن ماجـــــه** : أبو عبد الله محمـــد بن يزيد ، المتـوف ٢٧٣ هـ / ٨٨٥ م ٠
تاريخ الخلفـاء ، روايـة أبى بكر السدوسى عنه تحقيق محمد مطيع الحافظ ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

● **أبو يوســـــف** : القاضى يعقـــوب بن ابراهيم ، المتـــوفى ١٨٣ هـ / ٧٩٨ م ٠
كتاب الخراج ، مطبوعات دار المعرفة ببيروت، ١٣٩٩ — ١٩٧٩ م ٠

● **أحمـد بدر « الدكتـــور »** : دراسات فى تاريخ الاندلس وحضـــارتها ، من الفتح حتى الخلافة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ومقدمتهـــا كتبت بدمشـــق فى ١٢/١٩٧٢ م ٠

● **أحمـــد ابراهـــيم الشريف** : دراسات فى الحضارة الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د ٠ت ،المقدمة ، ١٩٧٦م

● **أحمد فكرى** : « **الدكـــتور** »
: قرطبـــة فى العصر الاسلامى ، مؤسســـة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ م ٠

● **أحمد مختار العبـــادى** ٠ « **الدكـتور** »
: دراســـــات فى تاريخ المغرب والاندلس ، شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م ٠

● **أحمد مختار العبادى**
: فى تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٧٨ م ٠

● **الادريســـــــى**
: الشريف الادريسى المتوفى ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق طبعـة لين ، ١٩٤٨ م ٠

● **اســماعيل بن ابراهيـم**
: ابن أمير المؤمنين كان حيا بعد ١١٨٧ هـ ٠ كراس فى تاريخ الاندلس ، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ٥٢٣٧٠

● **البـــــــلاذرى**
: الامام أبى الحسن ، المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م فتـــوح البلدان ، مراجعة رضوان محمـــد رضوان مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ٠

● **حســـن ابراهيم حســـن** « **الدكتـور** »
: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقاف والاجتمـــاعى ، الطبعة الثانية ، مكتبـــة النهضـــة ، مصر ، ١٩٨٢ م ٠

● **حسين مؤنس** « **الدكتور** » : رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، مجلة العهد المصرى للدراسات الاســـلامية بمدريد العـــــدد ١٨ ، ١٩٧٤ — ١٩٧٥ م ٠ الصفحات ٧٩ — ١٣٠ ٠

● **حسين مؤنس « الدكتــــور »**
: فجر الاندلس ، الشركة العربية للطبـــاعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .

● **حسين مؤنس**
: محاضرات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨٠ .

● **الحميـــــدى**
: محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى المتوفى ٤٨٨ هـ .
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .

● **خــليل ابراهيم صـــالح الســـامرانى**
: الثغر الأعلى الأندلسى ، دراســـة فى أحواله السياسية ٩٥ – ٣١٦ هـ ، طبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٦ م .

● **الزركلى : خـــير الدين**
: الأعلام ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠ م .

● **الســيد عبد العزيز سالم « الدكتـــور »**
: المغرب الكبير « العصر الاسلامى » ، المجلد الثانى سلسلة تاريخ المغـرب الكبير ، دار النهضة بيروت ، ١٩٨١ .

● **الســيد عبد العزيز سالم**
: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١ م .

● **سعيد عبد الفتاح عاشــور « الدكتـــور »**
: أوربا العصور الوسطى ، الجـــزء الاول – التاريخ السياسى ، الطبعة التاسعة ، مكتبة الانجلو القاهرة ، ١٩٨٣ .

● السيد الناضورى « الدكتور »
: المغرب الكبير « العصور القديمة » المجلد الأول من سلسلة تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١ م ٠

● السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن ، المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ٠
تاريخ الخلفاء ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ٠

● شكرى فيصل « الدكتور »
: حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول ، الطبعة الثالثة ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٤م

● شكيب أرسلان : الامير
: تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٤ م ٠

● شكيب أرسلان
: الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية ٣ مجلدات ، مطبوعات دار مكتبة الحياة ، بيروت د ٠ ت ٠

● شكيب أرسلان
: خلاصة تاريخ الاندلس ، منشورات دار الحياة بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ٠

● الضبى : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة المتوفى ، ٥٩٩ هـ ٠
بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس طبعة دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧ م ٠

● الطاهر أحمد مكى « الدكتور »
: دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ

والفلسفة دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٠ م ٠

● **الطبـــرى** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ٠

تاريخ الامم والملوك ، دار الفكـر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م ٠

● **عبد الجليل عبد الرضـا الراشـــد**

: العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والاندلس فى القـرنين الثانى والثـالث للهجرة مكتبة النهضة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠

● **عبد الحـليم عويـس الدكتور**

: دراسة فى اجناس الحضارة الاسـلامية « البربر » مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ، العدد الثالث ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م (٢٣٩ ـ ٢٥٦) ٠

● **عبد الرحـمن على الحجى**

: التاريخ الاندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢ ـ ٨٩٧هـ / ٧١١ ـ ١٤٩٢ م) ، دار القلم بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ٠

● **العـــذرى** : أحمد بن أنس ، المتوفى ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م ٠

: نصوص عن الاندلس ، تحقيق د ٠ عبد العزيز الاهوانى ، طبعـة المعهـد المصرى للدراسـات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥ م ٠

● **على الجـارم**

: العـرب فى أسبانيا ، وهو كتاب « ستانلى بول » الطبعة التاسعة ، دار المعـارف ، القاهرة ، د ٠ ت ٠

● علی حبيبة : « الدکتور »

: مع المسلمين فى الاندلس ، الطبعة الثانيـة دار الشروق ، جـدة ، د · ت · المقدمـــة ١٩٧٢ م ·

● مجهـــول

: أخبار مجموعــــة ، تحقيق لافوينتى دى ألكنترا ، طبعة مكتبة المثنى المصورة عن طبعة مدينـة مجريط (مـــدريد) ١٨٦٧ م·

● مجهـــول

: ذكـر بـــلاد الاندلس ، تحقيق لويس مولينـا ، مجلـــدان ، طبعـة المجلس الاعلى للابحـاث العلميـة مدريد ، ١٩٨٣ م ·

● محمد الخضرى « الشيخ »

: اتمام الوفـاء فى سيرة الخلفـاء ، دار الفكر بيروت ، بـدون تاريخ ·

● محمـــد الخضرى

: محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٩·

● محمد عبد الحميد عيسى : « الدكتور »

: تاريخ التعليم فى الاندلس ، دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٨٢ م ·

● محمد عبد الحميـــد عيسى

: تعليق على « رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس للدكتور حسين مؤنس ، مجلـــة المعهـد المصرى للدراسات الاسلاميـة بمدريد العدد ١٩ ، ١٩٧٨ م · الصفحات ١٤١ — ١٤٤ ·

● محمد عبد الحميـــد عيسى

: الحضارة الاندلسية : مرحلة التكوين ، مقالة نشرت ضمن كتاب ندوة التاريخ الاسلامى

الوسـيط المجلد الثانى ، دار المعـــارف ، القـاهرة ، ١٩٨٣ م الصفحات من ٢٦٣ ـ ٢٩٨ ٠

● **محمد عبد الحميـد عيسى** : فتح الاندلس : رواية متجـددة ، مجلـة أوراق ، المعهـد الاسبانى العربى للثقافـة بمدريـد ، العـدد الخامس ، ١٩٨٣ م ٠ الصفحـات ٧٩ ـ ٨٨ ٠

● **محمـد عبد الله عنـان** : دولة الاسلام فى الاندلس ، مكتبة الخانجى القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ٠

● **محمد على حموده «الدكتور»** : تاريخ الاندلس : السياسى والعمـرانى والاجتماعى دار الكتـاب العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧ م ٠

● **محمـد على المغـربى** : عثمان بن عفـان ، المجلد الثالث من أعـلام الصحابة ، جـدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م ٠

● **محمـد على المغـربى** : عمر بن الخطـاب ، أمير المؤمنين ، المجلد الثانى من سلسلة أعـلام الصحابة ، جـدة الطبعة الاولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ ٠

● **محمـد محمد زيتـون « الدكتـور »** : الفتح الاسلامى للاندلس : دراســة وتحليل ، مجلة العلوم العربية والاجتماعية ، الرياض ، العـدد الرابـع ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ٠ الصفحات من (٣٠٣ ـ ٣٣١)٠

● **محمد محمد زيتون**
: تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى ابن نصير فى فتح الاندلس ، مجلة العلوم العربية والاجتماعية الرياض ، العدد الثانى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م الصفحات من ٣٥٩ — ٣٦٨ .

● **محمد الهادى العامرى**
: تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، تونس ١٩٧٤ م .

● **المراكشى**
: عبد الواحد ، المتوفى ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م
: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى الطبعة السابعة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨ م .

● **المسعودى**
أبو الحسن على بن الحسين بن على مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ق.ت .

● **المقرى**
: الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، المتوفى ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، ٨ مجلدات ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

● **الوثائق**
: مجلة دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالمغرب ، المجموعة الاولى ، الرباط ، ١٩٧٦ م .

● **اليعقوبى**
: تاريخ اليعقوبى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

المراجــــع الافرنجيــــة :

- **Anwar G. Chjne :**

  Historia de Espana Musulmana, Traduccion Espnola del titulo Original « Muslim Spain History » and Culure, Càtedra. Madrid 1980.

- **Arranz Velarde; F :**

  Lecturas de Historia de Espana y de la Civilizacion Espanola. Santander; 1935.

- **Lopez Anglado; Luis :**

  Canto de Tarik «Poema de la Coquista» Instituto Hispano-Arabe de Cultura Madrid- 1984.

- **Suarez Fernandez ; Luis :**

  Historia de Espana « Edad Media» Edicion Gredos-Madrid 1970.

- **Valdeavellano; Luis Garcia :**

  Historia de las Instituciones Espanolas de los orgines al final de la Edad media. Revista Occidente. Madrid. 1968.

- **Vilar Pierre :**

  Historia de Espana, 12àEdicion, Barcelona, 1891.

- **Villa-Real; Francisco de Paula :**

  Historia Critica de Espana. 2à Edicion; Granada 1899.

- **Watt. Montogomry :**

  Historia de Espana « Tra. Espanola de la Obra» History of Islamec Spain » Madrid 1982

الفهرست

الموضوع	الصفحة

شركة سعيد رأفت
للطباعة
شارع خالد بن الوليد - عرب الجسر
أمام فندق السلام - القاهرة

رقم الايداع ٨٥/٤٢٩٥
الترقيم الدولى ١-١٩-٠١٩-٤٧٨-٩٧٧